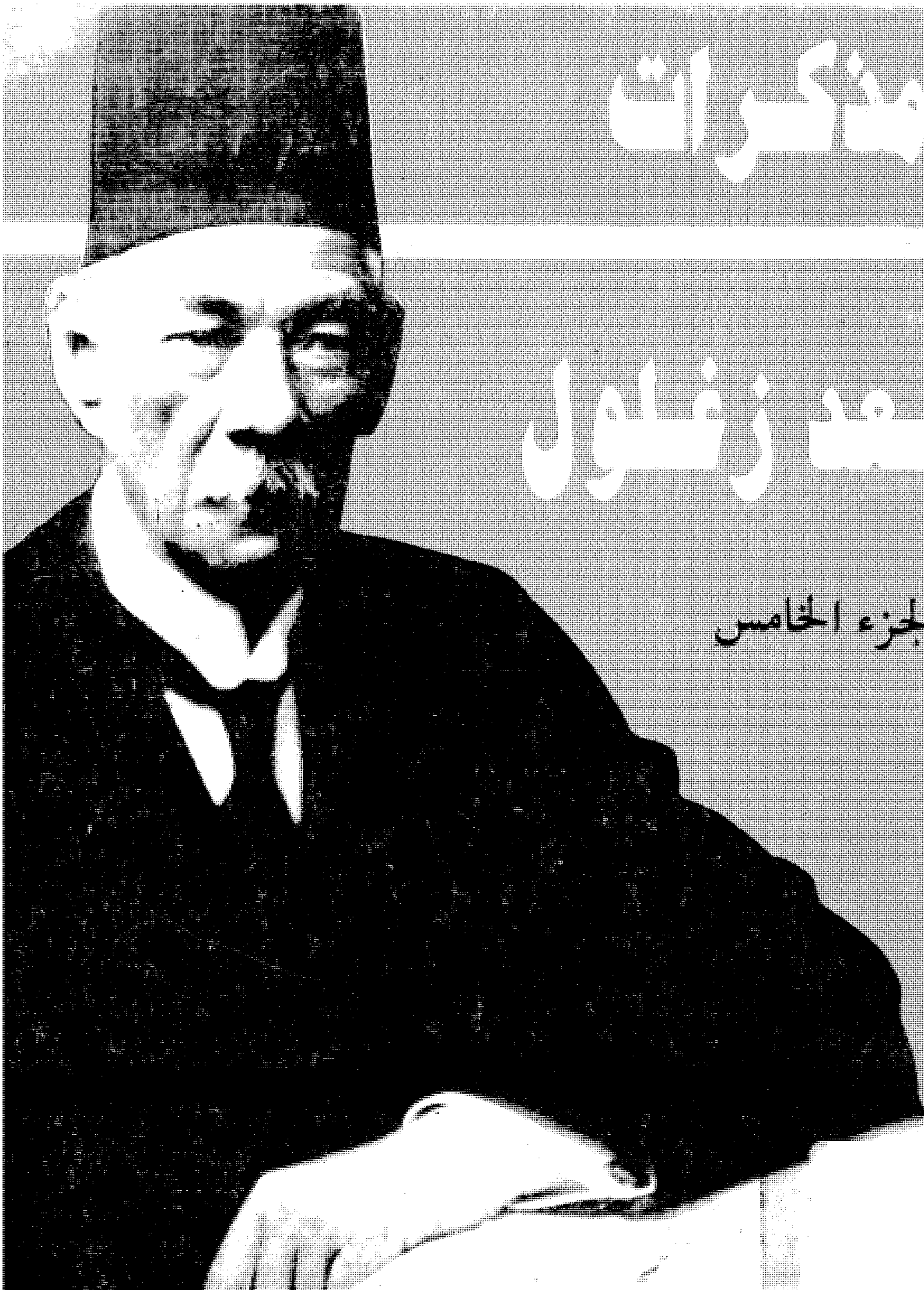
مذكرات

سعد زغلول

الجزء الخامس



تحقيق

د. عبد العظيم رمضان

ن وتاريخ مصر المعاصر

مذكرات سعد زغلول

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مذكرات سعد زغلول

الجزء الخامس

تحقيق

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

قام بقراءة الكراسات :

سامى عزيز
رمزى ميخائيل
ايزيس راغب
محمد حجازى
مصطفى الغاياتى
استر غالى
نبيلة الدسوقى

الإخراج الفنى

اسامة البدرى

١٩٥٣

ويل لى من الذين يطالعون من بعدى هذه المذكرات !

سعد زغلول

(كراس (٢٨) صفحة (١٥٨١)

١٩٥٥

٤

تقـــديم

يسرنى أن أقدم للقارىء الكريم هذا الجزء الخامس من مذكرات سعد زغلول ، وهو يتناول يوميات الزعيم الخالد من يوم ٨ مارس سنة ١٩١٥ إلى يوم ١١ أكتوبر سنة ١٩١٦ ، وهى فترة تقع فى أثناء الحرب العالمية الأولى . ومن هنا أهميتها ، لأنها تكشف أسرار فترة عاشت فيها مصر تحت ظلام الأحكام العرفية ابتداء من يوم ٢ نوفمبر ١٩١٤ ، وفرضت فيها الحماية البريطانية على مصر فى يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ، ورفعت سيادة تركيا عن مصر ، وخُلع الخديو عباس ونُصِّب الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، وعاشت البلاد فترة من القمع والمقاومة ، وتعرض الوطنيون لألوان من الاعتقال والنفى .

وقد عاش سعد زغلول هذه الفترة فى موقع قريب من السلطة ، باعتباره وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ، وصديقا للسلطان حسين كامل وأعضاء وزارة حسين رشدى باشا ، ولكنه عاشها أيضا من موقعه الوطنى القريب من الجماهير ، الناقد للسلطة نقدا مريرا ، والمتعاطف مع الذين يتعرضون للعسف والاضطهاد .

كذلك عاش سعد زغلول هذه الفترة فى ظروف نفسية تماثل تلك الظروف التى مر بها فى أعقاب استقالته ، عندما وجد نفسه بلا عمل ، وكان يصبو للتعيين فى بعض الوظائف ، حتى أتته انتخابات الجمعية

التشريعية ، وانتخابه بتأييد شعبى كاسح نائبا عن الأمة ، لتخرجه من هذه الحالة النفسية ، وتقتلع من ذهنه فكرة الوظيفة ، وتجعله يعاهد نفسه على أن يبقى خادما للأمة وحدها دون أى حاكم . ذلك أن تعطل الجمعية التشريعية عن الانعقاد ، وصعوبة التكهن بالمستقبل بعد انتهاء الحرب ، قد أعادت إلى سعد زغلول فكرة الوظيفة من جديد ، فرشحه السلطان حسين لوزارة الأوقاف ، ولكن اللورد كتشنر فى بريطانيا وقف فى سبيل التعيين ــ وكل ذلك تناوله سعد زغلول فى مذكراته بالتفصيل .

ويتضمن هذا الجزء الكراسات : ٢٤ و ٢٦ و ٢٥ على حسب الترتيب الزمنى ، وليس الترتيب الرقمى . ومع ذلك فقد تناولت هذه الكراسات أحداثا وقعت فى أزمنة مختلفة ، كما عودنا سعد زغلول فى مذكراته ، حيث يتناول فى الكراسة الواحدة بعض الوقائع ، ثم يتركها إلى كراسة أخرى ، ويعود إلى الكراسة الأولى فى فترة زمنية أخرى لمجرد أن فيها صفحات بيضاء ! ولعلنا نذكر ــ فى هذا الصدد ــ أن سعد زغلول لم يكتب مذكراته ليقرأها الجمهور ، وإنما كتبها لمجرد تسجيل خواطره وما وقع له من أحداث ، وبالتالى فقد كان كل مايهمه هو تسجيل الواقعة وليس نوع الكراسة التى يكتب فيها ، وما اذا كان قد سبق له الكتابة فيها أم لا !

وقد ترتب على ذلك أن هذا الجزء سوف يتناول وقائع حدثت فى أزمنة تنتمى للأجزاء السابقة . وهو أمر لم يكن لى حيلة فيه ، ذلك أن رداءة خط سعد زغلول لم يكن من شأنها اتاحة الفرصة لقراءة مذكراته كلها مرة واحدة ، وتجميع ماينتمى لفترة زمنية معينة ، وترتيبه ترتيبا زمنيا ، وإنما القراءة فى هذه المذكرات تسير ببطء شديد ، وصعوبة زائدة ، وكان من العسير الانتظار لحين قراءتها كلها ، وتحقيقها ، ثم نشرها . ومن هنا كان هذا الاختيار ، الذى يتيح للقراء الإطلاع على هذه المذكرات الهامة فى أقرب وقت ممكن ، مع تقبل مخاطرة الرجوع إلى

١٩٥٧

وقائع وقعت فى فترات زمنية سابقة .

وفى ضوء هذا التفسير ، فسوف يقرأ القارىء فى هذا الجزء رحلة سعد زغلول إلى أوروبا فى صيف عام ١٩٠٨.وقد كتبها باللغة الفرنسية فى الكراسة التى حصلت على ترقيم ٢٤ ، وهى عبارة عن أجندة فرنسية ، سجل فيها وقائع هذه الرحلة ، ثم تركها ، وعاد إليها فى ١٧ مايو سنة ١٩١٥ ليشغل صفحاتها البيضاء بيومياته فى هذا التاريخ وما تلاه حتى يوم ٢٢ سبتمبر ١٩١٥ .

وكانت قراءة هذا الجزء من الكراسة ٢٤ حافلة بالصعوبات والمتاعب ، بل والمشاكل أيضا ! فقد ترجمته الباحثة السيدة ايزيس راغب ، ولكنها غفلت عن أن ترقيم هذه الصفحات ، وهى من صفحة ١٢٧١ إلى صفحة ١٣١١ هو ترقيم عكسى ، وأن عليها أن تبدأ بصفحة ١٣١١ وتنتهى إلى صفحة ١٢٧١ ، فسرى التفكك والخلط فى ترجمة اليوميات ، واصبحت بمثابة أحاجى ومعميات . وكان علىّ الرجوع إلى الأصل الفرنسى ، فلاحظت الخلط ، وأخذت فى ترتيب الترجمة حسب الترقيم الصحيح ، مما ترتب عليه عملية قص ولصق شاقة لترتيب الفقرات ، حتى تمكنت من ذلك بعد وقت طويل .

ولما كانت الترجمة ليست مجرد نقل الكلمات من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، وإنما هى نقل المعنى بصورة فنية تتوفر فيها روح اللغة العربية ، فلذلك عهدت إلى السيدة نجوى عبد الرحيم باجراء ترجمة أخرى ، ومن خلال المقارنة بين الترجمتين ، ومراجعتهما على الأصل الفرنسى ، أمكن لى تصويب الأخطاء ، واعادة الصياغة من الناحية الفنية ، وتقديم ترجمة هذه الصفحات فى الصورة اللازمة .

على أنه كان للسيدة ايزيس راغب فضل ملاحظة الأخطاء الاملائية التى وقع فيها سعد زغلول عند كتابته باللغة الفرنسية . وقد لاحظت أن منشأ هذه الأخطاء هو أن سعد زغلول كان يكتبها وفقا لنطقها ، فقد

كان يتكلم الفرنسية بطلاقة ، ولكنه لم يكن يستخدمها كثيرا فى الكتابة . ومن هنا وقعت هذه الأخطاء . وقد رأيت أن الأمانة العلمية تتطلب الاشارة إلى هذه الأخطاء الاملائية فى الحواشى كما سوف يرى القارىء .

كذلك تضمنت الكراسة ٢٦ يومية واحدة ، هى يومية ٢٥ مارس ١٩١٢ ، رغم أن سعد زغلول سجل فى هذه الكراسة يومياته من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥ إلى ٧ أكتوبر ١٩١٦ . وقد شغلت هذه اليومية صفحتى ١٣٨٦ و١٣٨٧ ، وتقرآن عكسيا . والغريب فيهما أنهما تتوسطان الكراسة ٢٦ التى تبدأ من ص ١٣٥١ إلى ص ١٤١٧ . ولعل مادعا سعد زغلول إلى اختيار هذه الكراسة هو مروره بنفس الظروف المالية التى كان يمر بها فى مارس ١٩١٢ ، حيث تراكم عليه الدين لدرجة تفكيره فى الاقتراض من السلطان حسين كامل والبنك العقارى .

ويتضمن هذا الجزء صفحات مؤلمة ، سطر فيها سعد زغلول معاناته القاسية بسبب سقوطه فى رذيلة لعب الورق تحت الفراغ ، ومحاولاته التخلص من هذه العادة المخربة التى دمرته اقتصاديا وماليا ، حتى تمكن من الاقلاع عنها بعد أن أكلت الأخضر واليابس . وقد يرى علماء الاجتماع فى هذه الصفحات شيئا مفيدا من الناحية العلمية . ومن الغريب أن بعض الكتاب ، ممن ينسبون أنفسهم إلى التيار الدينى ، استغل هذه الصفحات ، دون أن يقرأها قراءة دارسة ، فى الهجوم على سعد زغلول ، والاساءة إلى تاريخه . ولو قرأوها لعرفوا أن سعد زغلول قد هاجم نفسه بأكثر مما يهاجمه عدو لدود ، ونقد نفسه بأكثر مما يمكن لغيره أن ينقده . لقد كانت محنة أليمة مرت فى حياة هذا الزعيم الكبير بكل آثارها التدميرية ، ولكنه عبرها إلى بر السلامة بارادة من فولاذ .

ولكن هذا الجزء أيضا يتضمن صفحات من الدفاع البليغ والقوى عن الحريات ، تضع سعد زغلول فى مصاف أكبر رموز المذهب الليبرالى فى العالم . وقد ساق سعد زغلول هذا الدفاع عن الحريات أمام السلطان حسين ورئيس الحكومة المصرية رشدى باشا وممثلى الاحتلال والحماية فى

مصر . وتعرض بسبب هذا الدفاع لغضب الجميع ، وعانى الكثير .

والمهم هو أننا اتبعنا فى تحقيق هذا الجزء نفس المنهج الذى اتبعناه فى الأجزاء الأربعة السابقة ، وذلك بتوضيح النص بعلامات الترقيم التى خلت منها تماما مذكرات سعد زغلول ، بما تطلب ذلك من دراسة النص دراسه دقيقة لمعرفة الجمل المستمرة بفصلات ، والجمل المنتهية بنقط . وأيضا مراجعة النص عدة مرات للتحقق من مطابقته التامة للأصل .

وقد أثبتنا شكل بعض الكلمات التى تعود سعد زغلول كتابتها ، مثل : أكطوبر ، بدلا من أكتوبر ، وأفريل بدلا من أبريل ، وأوغسطس ، بدلا من أغسطس ، وأن لا ، بدلا من ألا ، والدوكتور ، بدلا من الدكتور ، واسكندرية ، بدلا من الاسكندرية ، والتلفون بدلا من التليفون . وذلك ليعيش القارىء فى جو المذكرات وعصرها .

أما الكلمات التى تعذرت قراءتها ، فقد أشرنا إليها فى الحواشى وقدمنا اجتهاداتنا فى قراءة ما اختلطت علينا قراءته ، سواء بالترجيح أو التقريب . مع ملاحظة أنه سبقنى فى قراءة هذه الكراسات الباحثون فى مجموعة سعد زغلول ، وهم سامى عزيز ومحمد حجازى ورمزى ميخائيل وايزيس راغب واستير غالى ومصطفى الغاياتى ، ونبيلة الدسوقى . وبعضهم توفى ، مثل المرحوم محمد حجازى ، والبعض ترك المجموعة مثل الدكتور رمزى ميخائيل ونبيلة الدسوقى . وقد سبق لى أن ذكرت فى تقديمى لبعض أجزاء المذكرات السالفة أن من غرائب قراءة خط سعد زغلول أن الكلمة التى يتعذر على البعض قراءتها ، يقرؤها الآخر بسهولة ، دون أى سبب !

وبطبيعة الحال فإن قراءة الكثير من أسماء الأشخاص والأماكن والحوادث ، تتطلب قدرا كبيرا من المعرفة التاريخية ، لأنها تتعلق بوقائع تاريخية لايعرفها إلا مؤرخ متخصص . كما تحتاج أيضا إلى ثقافة عامة واسعة . وعلى سبيل المثال فقد احتاجت الكراسة الخاصة برحلة سعد

زغلول إلى أوروبا ، إلى كل خبرتى ومعلوماتى التى حصلت عليها من رحلاتى السنوية إلى أوروبا على مدى اثنى عشر عاما ، مع الاستعانة بأطلس الطرق فى أوروبا الذى لم يكن يفارقنى ، لأنه يغطى كل مدينة وقرية فى كل دولة أوروبية . وبدون هذا الأطلس كان من المستحيل قراءة أسماء معظم البلدان التى وردت فى المذكرات .

وكما هو الحال فى الأجزاء السابقة ، فلم أقف بنهاية الكتاب عند حدث معين ، وإنما وقفت به عند حجم مناسب وعدد معقول من الصفحات ، حتى لايشذ عن أحجام الكتب الأخرى ، ويثقل على القارىء . كذلك التزمت فى الانتقال من صفحة إلى أخرى من الكراسات بكتابة رقم الصفحة التالية ببنط أسود ، تمييزا له عن البنط الأبيض الذى تكتب به الصفحات المطبوعة ، وذلك بين قوسين مستقيمين .

كذلك اتبعنا فى ترقيم الصفحات نفس ما اتبعناه فى الجزء الرابع ، حيث مضينا بالترقيم من حيث انتهى الجزء الرابع ، مع تخصيص ترقيم مستقل للجزء الخامس . وبذلك يحمل الكتاب ترقيمين : الأول ، فى أعلى الصفحة ، وهو الترقيم العام للمذكرات ، والثانى فى أسفل الصفحة ، وهو الترقيم الخاص بالجزء .

كذلك فقد حرصنا على تصدير كل كراسة بأهم النقاط التى تحتويها من وجهة نظرنا ، وان كان هذا لايقلل من أهمية النقاط الأخرى بطبيعة الحال ، التى يمكن للقارىء الاسترشاد فيها بكشافات الكتاب ، وهى كشافات تفصيلية تشتمل على : كشاف للأعلام ، وكشاف للهيئات ، وكشاف للبلاد والأماكن ، وكشاف للحوادث ، وكشاف للدوريات . وقد عهدت بهذه الكشافات إلى مجموعة من الباحثين المشتغلين بالمذكرات ، كما هو موضح قرين كل كشاف . وسوف تجمع هذه الكشافات الخاصة بالأجزاء المختلفة فى نهاية الأجزاء ، فى شكل كشاف

عام للمذكرات .

وكنت قد وعدت ، فى مقدمتى للجزء الرابع ، بتقديم جدول حديث للكراسات ، يتضمن تقسيمات الكراسات حسب موضوعاتها الزمنية ، بعد أن ثبت لنا أن الجدول الذى ألحقناه بالجزء الأول لم يعد يقدم الصورة الصحيحة لترتيب الكراسات . على أنا عدلنا عن ذلك فى آخر لحظة ، وآثرنا الانتظار إلى نهاية الأجزاء ، نظرا لما يتكشف لنا تدريجيا من وجود أجزاء فى الكراسات تنتمى إلى أزمنة سابقة للزمن الرئيسى الذى تناولته الكراسة . وعلى سبيل المثال فإن الكراسة رقم ٢٤ فى هذا الجزء قد قسمت إلى جزئين : الأول ، يتناول الفترة من يونية إلى سبتمبر ١٩٠٨ ، وترتيبه يجب أن يقع عقب الكراسة رقم ١١ ، التى تناولت الفترة من ١١ يونية ١٩٠٨ إلى ٢٢ ابريل ١٩٠٩ ، وقد وردت فى الجزء الثانى من المذكرات . أما الجزء الثانى من الكراسة فيقع فى إطار زمنه الصحيح ، من ١٧ مايو ١٩١٥ إلى ٢٢ سبتمبر ١٩١٥ .

كذلك فإن الكراسة رقم ٢٦ قد قسمت إلى جزءين : جزء يتناول يومية وقعت فى ٢٥ مارس ١٩١٢ ، وموقعه الزمنى يأتى عقب الجزء الثالث من الكراسة ٢٠ ، وقد وردت فى الجزء الرابع من المذكرات . أما الجزء الثانى فيقع فى السياق الزمنى للمذكرات ، وهو الفترة من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥ إلى ١١ أكتوبر سنة ١٩١٦ .

وقد استعنت فى تحقيق هذا الجزء ، وتوضيح أحداثه وشخصياته ، بعدد ضخم من المصادر والمراجع ، العربية والأجنبية ، وقدمت ــ فضلا عن ذلك ــ تعليقاتى التاريخية وانطباعاتى واستنتاجاتى ، لمساعدة القارىء على الرؤية الصحيحة لما ورد فى المذكرات من وقائع وأحداث . وقد نظرت إلى هذا الجزء كجزء من كل ، وافترضت اقتناء القارىء لكافة أجزائه ، وبالتالى لم أكرر فيه ماسبق ترجمته للشخصيات فى الأجزاء السابقة ، اللهم الا حين تتطلب الحاجة ، مع الاشارة إلى

١٩٦٢
الحاشية السابقة فى الأجزاء الأخرى ، إذا كان القارىء فى حاجة إلى مزيد من التفاصيل .

وأخيراً فلا أملك إلا أن أقدم خالص شكرى للأستاذ الدكتور سمير سرحان ، رئيس هيئة الكتاب ، للمساعدة غير المحدودة التى يقدمها لمذكرات سعد زغلول ، إيمانا منه بأهمية هذه المذكرات الفريدة وموقعها الخاص بين الوثائق التاريخية المعاصرة عن الحركة الوطنية المصرية . كما أشكر الأستاذة سميرة عرابى ، وكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لشؤون المطابع بهيئة الكتاب ، التى لولا رعايتها لهذه المذكرات ، ومساندتها لها ، وتقديم كافة الإمكانات الفنية لها ، لما أمكن إخراجها بهذه الصورة المشرفة . كما أشكر قسم الجميع التصويرى بالهيئة ، ورئيسه الأستاذ هاشم الأشمونى ، لعنايته الفائقة بإخراج الكتاب على هذا النحو ، وتنفيذ كافة التوصيات التى أصدرتها فى هذا الشأن ، والتى تميز هذا العمل العلمى عن غيره من الأعمال الأخرى . وأشكر الأستاذ أسامة محمد البدرى على مجهوده فى الإخراج الفنى للكتاب . كما أشكر مجموعة الباحثين ، وعلى رأسهم الأستاذ سامى عزيز ، لما بذلوه من جهد شاق ، سواء فى القراءة أو المراجعة وعمل الكشافات . وأشكر السيدة أميرة خواسك ، لتطوعها بمساعدتى على مراجعة بروفات الكتاب على أصل الكراسات دون أى أجر . وأدعو الله تعالى أن يبارك فى هذا العمل وينفع به شعبنا المصرى خاصة وأمتنا العربية عامة .

والله الموفق

مصر الجديدة فى ٩ فبراير ١٩٩٢

أ. د. عبد العظيم رمضان
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بكلية الآداب ــ جامعة المنوفية
ورئيس اللجنة العلمية المشرفة على
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

٣٤

الكراسة الرابعة والعشرون

الجزء الأول

الكراسة الرابعة والعشرون
الجزء الأول

من ص ١٢٧١ ـ ص ١٣١١
(عدا تنازليا)

من يونية إلى سبتمبر ١٩٠٨

المحتويات :

ـ زيارة سعد زغلول لأوروبا فى يونية ـ سبتمبر ١٩٠٨

[ص ١٣١١]

لا أستطيع أن أصف حالتى النفسية . فمنذ عدة أيام وأنا معظم الوقت مهموم ، مستغرق فى التفكير ، ما من شيء يجذبنى أو يشدنى ، وكل شيء مظلم أمامى . وأنا أتساءل دائما : لماذا هكذا الحياة قصيرة ؟ لماذا يقوم الإنسان بهذا الصخب ، وهذا الصراع[١] ، وهذا التعب ، إذا كان وضعه مزعزعا[٢] لحد كبير (. . .)[٣] ؟

[ص ١٣١٠]

يوم السبت ٢٧ يونية ١٩٠٨[٤]

قد سافرنا من مصر إلى اسكندرية ، ومنها إلى تريستا ، على ظهر

---

(١) كتبها سعد زغلول lute وصحتها lutte .

(٢) كتبها سعد زغلول Pricaire وصحتها Précaire

(٣) كلمة مطموسة .

(٤) هذا التاريخ هو المطبوع فى الأجندة الفرنسية التى كتب فيها سعد زغلول هذه اليوميات والصفحات من ١٣١١ ـ ١٢٨٦ تقرأ عكسياً . وصفحة ١٣١١ مكتوبة بالفرنسية .

الباخرة كيلوباتره(٥) من بواخر شركة لويد النمساوية . وكان معنا كل من سعادة مصطفى باشا فهمى(٦) وحرمه ، ومنيرة كريمة اسماعيل باشا سرهنك(٧) .

وقد حضر بعض الذوات لوداع الباشا ، وفى(٨) مقدمتهم جورست(٩) ، والنظار . وحضر لوداعى بعض الأقارب والمعارف .

---

(٥) هكذا كتبها سعد زغلول .

(٦) **مصطفى فهمى باشا** ، والد صفية زغلول ، حرم سعد زغلول . كان محافظا للاسكندرية قبل أن يتولى منصب ناظر الأشغال العمومية فى نظارة محمد شريف باشا الثانية التى تألفت فى ٥ يوليه ١٨٧٩ ، ثم تولى منصب ناظر الخارجية فى وزارة محمد توفيق الثانية التى تألفت فى ١٨ أغسطس ١٨٧٩ ، واستمر ناظرا للخارجية فى وزارة مصطفى رياض باشا الأولى فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ ، ثم فى نظارة محمد شريف باشا الثالثة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨١ ، ثم فى نظارة محمود سامى البارودى باشا فى ٤ فبراير ١٨٨٢ بعد أن أضيف إليه نظارة الحقانية ، ثم ناظرا للداخلية فى نظارة شريف باشا يوم ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ ، ثم ناظرا للمالية فى وزارة نوبار الثانية فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ، ثم أضيفت إليه نظارة الداخلية فى ١٠ مارس ١٨٨٧ فى نفس نظارة نوبار ، ثم تولى رياسة النظارة للمرة الأولى من ١٤ مايو ١٨٩١ إلى ١٧ يناير ١٨٩٢ ، وللمرة الثانية من ١٧ يناير ١٨٩٢ إلى ١٥ يناير ١٨٩٣ ، وللمرة الثالثة من ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ إلى ١١ نوفمبر ١٩٠٨ .

(٧) **اسماعيل سرهنك باشا** (١٨٥٤ ــ ١٩٢٤) عديل سعد زغلول ، وهو ضابط ومؤرخ مصرى ، خدم بالبحرية المصرية ، وترقى فى وظائفها ، وعين ناظرا للمدارس الحربية ، وألف كتاب « حقائق الأخبار عن دول البحار ١٨٩٦ ــ ١٩٢٣ » .

(٨) فى الأصل : « فى » .

(٩) السير الدون جورست sir Eldon Gorst المعتمد البريطانى ، الذى خلف اللورد كرومر فى أول أبريل ١٩٠٧ حتى وفاته فى ١٢ يوليو ١٩١٢ . وكان قد عين

وأغلب من كان على محطة مصر كان من موظفى نظارة المعارف ، وخصوصا الإنكليز منهم .

ولما ابتعدت الباخرة من الإسكندرية قليلا ، لعبت بها الأمواج ، فأخذنا الدوار ، إلا قليلا منهم الباشا . ولزمت قمرتى مع زوجتى . ومكثنا طول الليل والمركب يرقص بنا زمنا[١٠] . وقد هدأت الأرياح نوعا فى الصباح ، وأخذنا نستعيد بعض قوانا .

وقد كان معنا فى السفر بعض قضاة المحكمة المختلطة ، وقليل جدا من المسلمين ، ومنهم عزيز الأرنؤوطى[١١] . وكان معنا منسفيلد باشا . وقرينته شركسية تنصرت وتزوجت به ، وتبين من ملامحها أنها كانت جميلة ، وتبلغ فوق الخمسين سنة ، وكانت تبدو عليها ــ من وقت لآخر ــ علامات الكسوف منا . ولم أكن أريد تعريف حرمى بها ، ولكن ضرورة السفر قضت بشىء من التعرف ، خصوصا وقد بدأت هى به ، حيث أحضرت شيئا من الدواء بنتيجة الدوار .

[ص ١٣٠٩]

يوم الأحد ٢٨ يونية ١٩٠٨[١٢]

كان الهواء جميلا فى هذا اليوم ، وبدأنا نلعب الطاولة مع حسين ،

سنة ١٨٩٢ فى منصب السكرتير المالى لنظارة المالية خلفا للورد ملنر ، وفى خريف ١٨٩٤ عين مستشارا للداخلية ، وأخذ فى تلك الأثناء يتعلم العربية ، واستمر فى هذا المنصب حتى عام ١٨٩٨ حين عين مستشارا ماليا خلفا للسير إلوين بالمر Elwin Palmer ، واستمر فى هذا المنصب حتى عام ١٩٠٤ .

(١٠) قراءة تقريبية .

(١١) قراءة تقريبية .

(١٢) هذا التاريخ هو المطبوع فى الأجندة .

ومع مدام مصطفى باشا ، ولم تظهر انكماشا من الناس ، على حسب عادة الشرقيات عند أول تكشفهن . وساعدها على ذلك أنه لم يكن فى المسافرين منا من المصريين من نعرفهم . وكان اللعب قليلا .

رأيت أربعة يلعبون البرانس(١٣) فحدثتنى نفسى بتعلمه . وقد كنت صحبت معى كتابا مهما(١٤) فتناولته ، وأخذت أطالع فيه . ثم حضرت اللعب مرة .

وكان كلامى مع الباشا قليلا ونادرا فيما يخص المسائل التى كانت موضوع حديثنا فى مصر غالباً . وقل تفكرى فى حوادث مصر . كان يجلس على المائدة ، على يسار القومندان ومصطفى باشا على يمينه ، وحسين على يمين الباشا . وكان القومندان أكولا ، سريع البلع ، كبير اللقمة ، قليل الحديث .

وقد مررنا آخر النهار « بجريد »(١٥) ، وبيتنا الليلة فى أمان الله .

[ص ١٣٠٨]

يوم الاثنين ٢٩ يونية ١٩٠٨

لم يحدث فيه شيء يستحق الذكر ، ولكن الهواء اعتدل جدا ، فانتعشت نفوسنا . ولم يكن الأكل جيدا ، ولكنه لم يكن تعافه النفس . وقد مررنا بكورفو(١٦) ويظهر عليها أنها مدينة جميلة .

---

(١٣) هكذا تقرأ .
(١٤) فى الأصل « مهم » . وقد تقرأ : « فيه » .
(١٥) يقصد : كريت وهى قراءة تقريبية .
(١٦) Corfu وهى جزيرة فى شمال غرب اليونان .

[ص ١٣٠٧]

يوم الثلاثاء ٣٠ يونية ١٩٠٨

وصلنا فى الساعة ثلاثة صباحا إلى برنديزى[١٧] . وخرجنا فى نحو الساعة أربعة إلى البر ، حيث اشتريت بعض الفواكه ، كالتين والمشمش . وكان الأول جيدا ، أما الثانى فلا . واستمر الهواء أن يكون جميلا . وقد صادف هذا اليوم مولد الجناب الخديوى ، فأرسل كل منا للسر تشريفاتى بإسكندرية تلغراف تهنئة . وفى هذا كان السرور شاملا لجميع ركاب السفينة .

[ص ١٣٠٦]

يوم الأربعاء أول يولية ١٩٠٨

فى الساعة ٧ من صبيحة هذا اليوم ، وصلت السفينة إلى فينزيا[١٨] ، حيث نزل منها كثير من الركاب . ثم أقلعت بنا السفينة إلى تريستا فى الساعة ٩ ، ووصلناها فى الساعة واحدة بعد الظهر . وقد رست بنا على المرفأ الجديد .

وكان مصطفى باشا حجز لنا محلات بأوتيل لاڤيل[١٩] فقصدناه ، وسلمنا متاعنا إلى وكيل « كوك » لحمله إلى المحطة . وفى نفس الأوتيل محل لوكالة كوك ، أردت أن آخذ منه محلات نوم فى قطار السكة الحديد ، الذى يسافر إلى ڤينا فى الساعة ٦ وثلاثين دقيقة . فلم أجد محلا

(١٧) Brindisi ميناء فى جنوب شرق إيطاليا .
(١٨) Venice البندقية وتكتب بالإيطالية Venezia .
(١٩) هكذا تقرأ .

خاليا . وقال لى موظف إنتظر إلى الساعة الثالثة ربما يخلو بعض المحلات المحجوزة . فلم يفد الإنتظار شيئا . ثم ركبت مع حرمى عربة . وزرنا سراى[٢٠] **ميرامارا** . وكانت هذه الزيارة الثانية بالنسبة لى ، والأولى بالنسبةلها ، فسرت بها . ثم عدنا «وتناولنا الطعام وذهبنا إلى المحطة[٢١] ، ولكن الخادمة تخلفت عنا ، فسبب ذلك لنا كدراً ، خصوصاً وكان معها حقيبة مصاغ الست . وقبل قيام القطار بقليل حضرت ، وفهمت منها أنها كانت خرجت مع خادم وخادمة الباشا للفسحة ، ولم تكن تعلم أن السفر تقرر بعد ساعتين . فنهرتها . وقام القطار ، وقد كان حُجز لنا قبل ذلك ثلاث مقاعد ، ولكنه كان يلزم أن نحول وجوهنا ضد إتجاه القطار ، مما لا أحتمله ، فرجوت خادم العربات أن يغير ذلك المحل ، ففعل (. . .)[٢٢] وقد نمت عقب قيام القطار على المقاعد المذكورة ، والست فى مقعد على متاع بجانبى ، .ولكن لم نذق النوم إلا قليلا.

[ص ١٣٠٥]

يوم الخميس ٢ يولية ١٩٠٨

وقد وصل القطار متأخرا فى صبيحة اليوم المرسوم أعلاه . فتوجهنا توا إلى أوتيل امبريال ، حيث كنا حنجزنا محلا . ولكننا لم نجد هذا المحل مناسبا ، لكونه كان وسخا جدا ، فغيروه لنا بآخر .

وفى المساء ، حضر الباشا ، ولم نكن نشعر عقب وصولنا بتعب ،

---

(٢٠) هكذا تقرأ .

(٢١) قراءة اجتهادية من أول « وتناولنا الطعام » بسبب طمس العبارة .

(٢٢) عبارة غير مقروءة .

لأننا ذهبنا فيه إلى الدكتور الشهير نوردون فى محل عيادته . وقد كان قد أبى الرد[٢٣] وقبل بسبب مخابرة ، فلما علم إننا نحن الذين تكلم (. . .)[٢٤] بخصوصنا ، أرسل مع كاتمة أسراره ــ وهى فتاة جميلة الصورة ، لطيفة الوجه ، خفيفة الحركات ــ فقالت : إن الدكتور لا يمكنه أن يقابلكم ، لأنكم لم تقيدوا أسماءكم من قبل ، ولكنه يمكنه أن يتوجه إليكم فى الأوتيل يوم السبت القادم . فاتفقنا على ذلك .

وكان معنا دليل ، فطلبت منه أن يرشدنا إلى محل تجارب[٢٥] فأرشدنا إلى محل واسع جدا ، حيث جلست ، وتحللت الخلاصة فى أقل من ربع ساعة ، وتبين أن هناك إثنين ونصف فى الألف من السكر. ثم (. . .)[٢٦] .

وعدنا إلى الأوتيل ، حيث وصل الباشا . وقد كنا وصلنا فوجدناه وقد أعياه التعب ، وبعد أن تحدثنا قليلا ، ذهبنا إلى مخدعنا . وكان يشغله فى كل ذلك المطالعة فى كتب إشتريتها (. . .)[٢٧] .

[ص ١٣٠٤]

يوم الجمعة ٣ يولية ١٩٠٨

ومكثنا بفينا إلى يوم الأحد ، حيث سافرنا منها إلى كارلسباد فى مسائه ، فى عربات النوم . ولم يحدث فى أثناء إقامتنا بفينا إلا أننى حللت

(٢٣) قراءة تقريبية .
(٢٤) اسم غير مقروء .
(٢٥) أى معمل تحاليل .
(٢٦) عبارة غير مقروءة .
(٢٧) عبارة غير مقروءة .

البول بعد ذلك ، فوجدت واحد فى الألف . وبحث الدكتور يوم السبت وقال : إن الحالة خفيفة ، ويمكن أن تزول . وأثنى[٢٨] على كارلسباد ، وكتبت خطاب إلى الدكتور (. . .)[٢٩] بأنه يلزمنى أن آخذ حمامات (. . .)[٣٠] .

[ص ١٣٠٣]

يوم السبت ٤ يوليه ١٩٠٨

لم يحدث شىء ، غير زيارة الطبيب كما سبقت الإشارة إليه .

[ص ١٣٠٢]

يوم الأحد ٥ يولية ١٩٠٨

تأهبنا إلى السفر ، وسافرنا فى مسائه ، وكان الدكتور دلنا على محلات تبيع خبزا طريا ومربات وحلويات للمرضى بالسكر ، فاشتريت من بعضها شيئاً من ذلك ، ووجدته جميلاً جدا ، ولكنه لا يخلو من سكر على الأغلب .

[ص ١٣٠١]

يوم الاثنين ٦ يولية ١٩٠٨

وصلنا كرلسباد متأخرين ساعة تقريبا . وتناولنا الفطور فى القطار لبنا

(٢٨) قراءة تقريبية .

(٢٩) اسم غير مقروء .

(٣٠) اسم غير مقروء ، ويمكن أن يقرأ « أسيد كربولك » .

وشايا . ولم نجد بإنتظارنا (. . .)(٣١) ، ولكننا وجدنا عربة وقائدها ، فسرنا إلى حيث نزلنا فى golden Harfe(٣٢) ملحق بأوتيل بوب .

وفى الدور الثالث وجدنا أربع محلات قيل لنا إنها هى التى أعدت لنا . فلم نستحسنها لعلوها وعدم نفوذ الشمس إليها إلا قليلا . وقيل لنا إنه ليس فى هذا المنزل سوى محل واحد للخدم ، وسيكون فيه ثلاثة غدا ، ولكم الخيار فى اتخاذ أود النوم والصالون كما تختارون . فاستحسنا قضاءنا ، وتنفذ ، ولكن المفروشات التى وضعت فى الصالون قليلة ، فتكلمت مع امرأة تدير المحل ، فخشّنت القول ، فأسمعتها من الملام ما حمّلها على زيادة المتاع .

وقدم الباشا مساءً ، وتعشينا جميعا فى الصالون . ولم يرق له المقام ، ولكنه لم يطل الكلام .

وبعد أن وصلنا استدعيت الطبيب ، فقابلنا بكلام حسن باش ، ووجه بسام . وبعد أن اطّلع على أوراق التحليل ، طمّن الخاطر ، وأشار علىَّ أن أحلل البول مرة أخرى ، فجاءت النتيجة ظهور ستة فى المائة ، فقال : ينقصنا دراسته بزيت كيماوى . فحللت فى اليوم التالى ، فلم يوجد شىء ، ولكنه حلل هو ، فوجد أنه لا تغير فيه . وقد أخذت فى الاستشفاء بالمياه وشربها وارتحت لها ، وكنت أستيقظ مبكرا فأكون فى العين ما بين الساعة خمسة وستة ، وأفصل ما بين المرتين ثلاثين دقيقة ، وأمشى نحو ساعة فى ظلال الشمس ، وساعةً بعد ساعة أذهب إلى الحانة مرتين للأكل ثلاثة أيام ، ثم أفطر مع الست والباشا وحسين فى الساعة ٩(٣٣) .

---

(٣١) اسم غير مقروء . . وقد يكون « بوب » .

(٣٢) هكذا تقرأ .

(٣٣) الفقرة كلها قراءة اجتهادية لرداءة الخط .

[ص ١٣٠٠]

وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلا نعود إلى البيت ، وهنا نلعب البوكر مع الست وحسين إلى الساعة واحدة ، ثم نذهب إلى الغداء فى مطعم بوب وقد أعد لنا محل فى أودة مخصوصة . ثم نعود إلى مخادعنا فننام إلى الساعة التى نكون إتفقنا على الخروج للنزهة فيها ، ثم نذهب إلى النزهة ، ونعود فى نحو الساعة الخامسة مساء . ونعود للعب إلى وقت العشاء ، ثم نتعشى فى الساعة ثمانية ، وبعد ذلك أتمشى قليلا فى كثير من الأحيان ، ثم أعود لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ . وكنت أنفعل كثيراً أثناء اللعب عند الخسارة ، (. . .)[٣٤] أن الزهر كان معاكس ، وكان زهر حسين سعيدا ، ولكن مع ذلك لعبت ولم أخسر . غير أن خسارتى كانت لمن طريقين : طريقى وطريق الست . لقد شاهدت أنى أنفعل محتد الإنفعال إذا خسرت مع حسين (!) .

[ص ١٢٩٩]

وكنا نتحدث باللعب ونتائجه على المائدة أمام الباشا ، فلم يكن يشترك معنا إلا قليلا ، والظاهر أنه كان غير مستحسن له ، لأنه كان يحرمه من الإجتماع بنا إلا على المائدة وفى أوقات النزهة .

وقد كنت منعت[٣٥] أن تُرسل الجرائد العربية إلىَّ مدة سفرى ، ولكن الجرائد الإفرنجية كانت ترد تباعاً . ورأيت أن فى الإنقطاع عن قراءتها فائدة وقيمة ، هى راحة الفكر . وساعدنى على نسيانها اللعب بالورق .

(٣٤) كلمة غير مقروءة .

(٣٥) قراءة اجتهادية .

واستمريت على ذلك إلى أن وصل فتحى[٣٦] ومحمد محمود[٣٧] فى ٢١ يوليو. وكان اجتماعنا معهم كل يوم فى الشقة ، فلم يكن يخلو الحديث من ذكر مصر وأخبارها ، وكلٌ يقص ما وصل إليه منها. فابتدأت أتكدر وابتدأ عيشتى يتنغص. وقد توارد كثير من أهل مصر اليوم ، وغيرهم ، وكان ذلك من أسباب مضايقتى ، لأن رؤية الواحد منهم كانت تؤلمنى ، وتثير فى نفسى هموما وأوهاما ، خصوصا وإنى كنت على كراهية [ص ١٢٩٨] إحساس حلت فى نفسى هذه الأيام ، وكنت أحس بغيره لغاية هذا العام.

---

(٣٦) أحمد فتحى زغلول باشا ، شقيق سعد زغلول (١٨٦٣ـ ١٩١٤) قانونى مصرى ، كان يسمى فى صغره فتح الله صبرى ،وأسماه أحمد خيرى باشا ناظر المعارف فى ذلك الوقت أحمد فتحى حتى يتسنى ادخاله المدرسة بعد فصله لاشتراكه فى الثورة العرابية ، وأوفد إلى فرنسا فى بعثة عام ١٨٨٤ لدراسة الحقوق ، وعين بعد عودته إلى مصر فى عام ١٨٨٧ بقلم قضايا الحكومة ، ورقى رئيسا لنيابة أسيوط ، وأصبح رئيس محكمة مصر الأهلية بعد تعيينه بها فى سنة ١٨٨٩ ، وعين فى محكمة دنشواى فى يونيه ١٩٠٦ ، فعينه الإنجليز وكيلا لنظارة الحقانية فى عام ١٩٠٧ ، وظل بها حتى مات فى ٢٧ مارس ١٩١٤ . وصفه محمد فريد بالاشتهار بالارتشاء وسوء السلوك والانهماك فى القمار (ص ٥٢ من أوراق محمد فريد) وربما كان هذا من أسباب سوء علاقة سعد زغلول به كما يتبدى فى كثير من المواضع من مذكراته (انظر ص ١٢٩٢ من هذه الكراسة) .

(٣٧) محمد محمود بك (باشا فيما بعد) ١٨٧٧ ـ ١٩٤١ . مدير الفيوم ، وكان على علاقة ود واحترام مع سعد زغلول ، وكان يحتفى به عند زيارته للفيوم وهو وزير للمعارف . وقد اشترك فى تأليف الوفد المصرى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ واعتقل ونفى إلى مالطة فى مارس ١٩١٩ وانشق على الوفد ، وكان من مؤسسى حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ ، وألف وزارة اليد الحديدية عام ١٩٢٨ ، وشكل وزارة الانقلاب فى ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ .

١٩٧٨

كنت إذا تغربت ، أتلهف على مصر من البداية ، وأجد من نفسى أثناءه سكينة وانعطاف نحو أمتى . فرحت مرة بلقاء بعض الأعراب فى جنينة الحيوان فى باريز ، ولم يمنعنى احتقارى للمظهر الذى كانوا فيه عن القرب منهم ، والإستئناس بهم . وحدث أنى كنت مرة فى جنيف سنة ١٨٩٥ ، وسمعت أن زكى بيك أحمد بمجلس النظار هناك ، فرغماً عما(٣٨) **كان بيننا من العزل ذهبت إليه وزرته .**

كل ذلك تبدل الآن ، وصرت أشعر بنوع من الألم كلما وقع بصرى على مصرى ! وأثقل شيء علىّ أن يزورنى ، فلا أرد الزيارة له إلا مكرها ! ولم يكن هذا الحال قاصرا على الأشخاص ، بل الخطابات كانت تؤلمنى ألماً خاصا لا أقدر أن أعبر عنه ، إلا أنها كانت تحدث فى نفسى ذكرى السيئات التى لا أبغيها من الذين كنت أنتظر منهم أن يقدروها حق قدرها(٣٩) .

[ص ١٢٩٧]

رأيت من مصطفى باشا ميلا عن وظيفته ، وميلا إلى مفارقتها ! فأخذت أراجعه ، فقال : إنى أصبحت لا أستطيع صبرا ، وأخشى أن يحدث ما لا أحب ، فيحدث منى ما لا أستحسنه . وقد كان الخديوى أولا مقيداً ، فأصبح اليوم مطلقاً ، يعاونه الذين سعوا من قبل فى تقييده ! ولا يمكننى أن أكون عونا له على أغراضه ، التى كلها ضرر عظيم للبلاد . ويدهشنى من الإنكليز أنهم يؤيدون الحاكم ضد رعيته بعد أن

(٣٨) فى الأصل : عن ما .

(٣٩) واضح أن هذه المشاعر التى يرويها سعد زغلول ناتجة عما كان يلاقيه من نقد وعدم تقدير لعمله كوزير للمعارف وقتذاك ، تحت دعايات الحزب الوطنى . وهو ما عبر عنه فى أماكن أخرى من مذكراته .

كانوا يأخذون بيد الرعية ضده ! وإنى أحتقر هذا التغيير ، وأعده غير موافق حتى للكرامة الإنكليزية .

فقلت : ولكنك إذا فارقت مركزك فى الأمة تشجع السفهاء على سفاهتهم ، وتشمت بنا الأعداء !

فقال : إن فى ذلك راحتى ، ولست مسؤولاً عن نتائج هذه الحالة .

ولم أر من اللباقة الإلحاح عليه ، حتى لا يتوهم أنى أريد الدفاع عن نفسى . وعزمى أن لا أفاتحه الكلام فى هذا الموضوع مرة أخرى .

[ص ١٢٩٦]

يخطر على بالى أن استعفاء مصطفى لا يوجب خروج غيره للاعتبارات الآتية :

أولا ، أن استعفاءه سيكون للصحة ، لا لأمر سياسى . فلا معنى لأن يسقط الآخرون .

ثانيا ، أن المنظور أن فخرى هو الذى يخلفه ، ولا معنى لأن يُسقط تعيينه النظار ، مع اتفاقهم فى الصورة معه .

ثالثا ، لأن فى تغيير الكل بآخرين ، إنهزاما لا يرضاه الإنكليز الجبناء للحركة القائمة فى البلاد ضدهم ، واغراء للخديوى على التمادى فى أغراضه .

وأما ما ينظر إلى شخصى[٤٠] ، فالظاهر أن الخديوى لم يكن فى ضيقه الماضى منى[٤١] . وجورست لا يفتكر أن أسقط لأن فى ذلك مساسا

---

(٤٠) يقصد : وأما ما يختص بشخصى .

(٤١) أضيفت « منى » لتوضيح العبارة .

بشهادته وشهادة كرومر من قبله .

ومع ذلك فإنى لا أخاف من الأمر شيئاً ، والله واسع عليم !

[ص ١٢٩٥]

قرأت بغاية السرور خبر منح الأمة التركية مجلسا نيابيا ، وشعرت من نفسى بفرح لا مزيد عليه ، وأخذت من ذلك الحين أتتبع أخبار هذه المسئلة .

[ص ١٢٩٤]

إنى أعجب غاية الإعجاب بالنظام الذى حافظ الأتراك عليه ، وبالرزانة التى ظهروا فيها فى هذه الحوادث ، وبالحكمة التى يسيرون بها فى هذا الإنقلاب الهائل . فلم يسلكوا طريق الإعلان عن أنفسهم ، بل إن رؤساء الحركة ، من بدايتها إلى الآن ، فى الخفاء ، ولم يعلم من أشخاصهم أحد . وقد تصافح الكل مصافحة الاخوان ، واتفقوا[٤٢] على اختلاف أديانهم . (. . .)[٤٣] يتهادون التهانى ، ويعلنون فرحهم واتفاقهم على تأييد النظام .

والجرائد الأوربية تلقت الخبر بالإرتياح والإنشراح ، ولكن بعضها يبدى شيئا من التحفظ ، ويظهر من خلال سطورها الحقد ، حقد العاقل .

---

(٤٢) قراءة تقريبية .

(٤٣) عبارة غير مقروءة .

وفى ظنى أن الأتراك ينجحون كثيراً إذا استعملوا الدقة فى سيرهم ، ولم يسلطوا الأغراض الشخصية على أعمالهم ، ولم يجعلوا الاختلافات المذهبية سلطانا على نفوسهم [ص ١٢٩٣] فإنى أخشى عليهم أن الدول الأوروبية ، التى لا تود أن ترى الدولة العثمانية عادت إلى شبابها ، فتجد الوسائل إلى عرقلة تقدمها ، ويساعدها على ذلك الأقوام الذين ليسوا على دين الحكومة .

[ص ١٢٩٢]

تحلل البول ، فلم يوجد به شىء من السكر ، ونزل الحمض البولى إلى ٢١ ، بعد أن كان فوق الخمسين . فسررت سرورا عظيما بهذه النتيجة ، وحمدت الله حمدا كثيرا على حصولها .

كان مصطفى باشا يسافر للنزهة إلى (...)[٤٤] مع حسين يوم الخميس ، ثم عاد فى الظهر من هذا اليوم . وقد كنت توليت الصرف على حرمه ومنيرة ، فلما حضر أخبرنى بواسطة حسين أن أقدم حساب ما صرفت . فلم أشأ تقديمه ، لكونه لا يتجاوز مائة وثمانين كرونا ، يخصه منها تسعون .

[ص ١٢٩١]

تهيئنا للسفر ، وأخذنا له عدته من محاسبة الأوتيل ، والتجار الذين اشترينا منهم بعض الشىء ، وإن لم يكن بالشىء الكثير .

---

(٤٤) كلمة غير مقروءة .

أمر مصطفى باشا حسين أن لا يأخذ منى شيئاً فى مقابلة ما حاسب عليه من الأكل فى يومى الأحد والإثنين ، معتبراً أن فى ذلك مقاصة لما حصل فى مدة عيشته فى (. . .)[٤٥] .

حضر فتحى لدينا قبيل العشاء مودعاً ، نعزمناه على العشاء معنا ، وبعده بقليل إنصرف ، ثم تقابلنا فى الصباح على العيون ، فلازمنى إلى وقت السفر . وكنت أحس منه التحفظ والإنغلاق أثناء الحديث ، وحب الظهور بالغلبة حتى فى الأشياء التافهة وما من مرة إجتمعت به إلا تأسفت عقب الاجتماع على رويته .

[ص ١٢٩٠]

استيقظت فى الساعة ٣ بعد نصف الليل ، ثم حاولت النوم ، ولم أنم حتى الساعة ستة . فخرجت إلى العيون وأخذت كوبة من Bernairs brun[٤٦] . ثم كوبة أخرى من Sprodel Brun . ثم توجهت إلى الخبازة التى كنت بالأمس أوصيتها أن تصنع لنا من العيش (. . .)[٤٧] فلم أجدها . فاشتريت بعض الفطير إلى زوجتى ، وحملته إليها . ثم عدت إلى الخبازة ونهيت الحساب معها .

وقد كنت أوصيت على ياقات مفتوحة من الأمام تاجرا بجانب النزل يدعى Braun et C. ، فصنع ثلاث دوزينات[٤٧م] فلم أجدها كما وصيت ، فأعدتها إليه ، فزعم أنه صنع غيرها ، وحضر فى الساعة ستة

---

(٤٥) اسم غير مقروء ، وقد يقرأ « مارسمبلد » .

(٤٦) هكذا تقرأ .

(٤٧) كلمة غيرة مقروءة . وقد تقرأ « زادا » .

(٤٧ م) الدوزينة ــ بالفرنسية ــ تساوى ١٢ .

تماما ، وساعتها كنا ننتقل(٤٨) من النزل إلى العربة ، وقال : هناك الياقات التى أوصيتها ! فقلت ـ وقد انفعلت ـ ولكن لا يمكن أن أقيسها الآن ! فقال : إن ذلك لا يأخذ زمنا طويلا ! فاشتد الانفعال بى ، وقلت : لا وقت عندى ، وبما أن المسئلة مسئلة نقود ، فخذ الثمن وهاتها بلا قياس ، لأنى لا أضيع وقتى ! وتم ذلك .

ثم توجهنا إلى المحطة ، وقد كان المطر نازلا ، ولحقنا فتحى (. . .)(٤٩) . وفى الساعة سبعة وخمسين دقيقة من صباح هذا اليوم ، توجهنا إلى Reichenhall فى قطار السكة الحديد فوصلناها فى الساعة تسعة وخمسة وثلاثين دقيقة . ونزل معنا فى العربة رجل ألمانى تظهر عليه الغلظة والفظاظة ، وامرأته تلوح عليها علامة الرقة ، وتحليلنا أول الأمر أنهما معا ، ولكن لم تلبث الحقيقة حتى ظهرت ، وتبين أنها فرنساوية لا تعرفه . وقد تحدثت معها ، فرأيتها محدثة(٥٠) رقيقة . ولم نلبث معها غيرقليل حتى تعرفنا بها ، وتعرفت بنا ، وفهمنا أنها قادمة من (. . .)(٥١) حيث كانت تأخذ حمامات ثم قدمت إلى Salzburg لكى تتريض فى نواحيها ، وتجول فى ضواحيها ، وأنها كانت زوجة فأصابها الزمان فى زوجها ، فترملت واتخذت السياحة فى البلاد مسلاة لها ، ووجدت فيها فوائد كثيرة ، وتسليةً عظيمة . وقالت : إنها تتجنب منازل الضيافة حتى لا يلزمها الإختلاط بأهلها بتكاليف لا تلائم صحتها ولا ثروتها .

---

(٤٨) قراءة اجتهادية .

(٤٩)عبارة غير مقروءة

(٥٠) فى الأصل : محادثة .

(٥١) اسم افرنجى غير مقروء .

وجرفنا هذا إلى الكلام على عوائد القوم فى الأزياء والتفنن فيها ، فرأيناها تبغض التأنق فيها ، وتبدى الأسف من وصول نساء بنى جنسها إلى الدرجة التى وصلن أليها ، فقلت : إنى أتمنى أن يلزمن بنوع من الزى خاص بهن ، لا يتبدل ولا يتغير . فقالت : إنى أول من يستحسن ذلك . ثم انجر الكلام إلى الإنجليز فى مصر ، فقالت : إنهم أصلحوا كثيرا ، وأدخلوا نظامات كثيرة فى مصر . وعن الفرنساويين وهيئاتهم فقالت : إنهم قليلو التقليد فى البلاد ، ولذلك يحافظون على القديم ، ولا يتقدمون كثيرا . وكانوا يفعلون كثيراً فى تونس لو كانت أيديهم مطلقة بها .

وعلى الانتخابات ، فقالت : إن هذا من نتائج الحرية ، والحكومات الان أصبحت ، بفضل الانتخابات العامة ، فى أيدى الغوغاء الذين لا يملكون شيئا ، ويلتفون حول ذوى الغايات من محبى القلاقل والفتن .

ولقد وصلنا هذه المدينة (. . .) فوجدناها جميلة . وزرنا بعض فنادقها وتغدينا فى أحدها . وزرجعنا الساعة خمسة إلى سالسبورج .

[ص ١٢٨٨]

فى الساعة تسعة وعشرين دقيقة من صبيحة هذا اليوم ، توجهت مع الترام الوابورى إلى Berchtesgaden[٥٢] . وهى بلد جميلة منازلها منثورة هنا وهناك ، ومناظرها جميلة للغاية ، وفيها كثير من الفنادق . ولكن كل ما فيها ساكن ولا حركة فيه . وهي عظيمة جدا للذين ليس عندهم هموم ولا أكدار ، لأنها بسكونها ، لا تدخل فى الذهن معلومات جديدة ، ولكنها تبعث الأفكار (. . .)[٥٣] فيها ، وتحمله على الجولان فيها .

(٥٢) كتبها سعد زغلول Berchetsgaden وهو خطأ .

(٥٣) كلمة غير مقروءة .

وإنى أختارها للمؤلفين الذين يحبون السكون ، لجمع أفكارهم ، وللعروسين فى شهر العسل ، وللمكدورين فى أعمالهم ـ لا الذين تهددهم الحوادث ، أو تشغلهم الأكدار .

ولذلك لم أمل إليها ، ورحلت عنها بعد أن تغديت فى جراند أوتيل[٥٤] وشفت فيه كتاب Bedecre وهو الدليل فى السياحة[٥٥] ولم نزر (. . .)[٥٦] لعدم كفاية الوقت .

[ص ١٢٨٧]

فى هذا اليوم فطرنا ، وطفنا فى عربة لبعض النزهات . ثم توجهنا إلى وكالة كوك ، وعهدنا إليه أمر حجز محلات لنا فى الوابور الذى يقوم من تريستا فى ٢٤ سبتمبر ، ثم تريضنا فى حديقة ميرابيل[٥٧] وبعد ذلك عدنا فتغذينا ، ونمنا .

ثم فى الساعة خمسة وربع لبسنا ثيابنا ، وخرجنا إلى قاعة المطالعة ، فمكثنا بها حتى انقطع المطر ، الذى كان ابتدأ يتساقط . ثم خرجنا إلى المدينة ، فمشينا فى بعض أرجائها ، وعدنا ، فأخذنا الجرائد الواردة من مصر ، وإذا فيها أمران إستدعيا أن نفكر فيهما :

الأول : المظاهرة التى عملت إلى جاويش فى الصباح وفى المساء من يوم ٢٨ ، ٢٩ يولية ، أثناء محاكمته على الخبر الكاذب الذى نشره ! فرأينا (أولا) أن هذه المظاهرة ، على ما وصفتها بعض الجرائد ، لابد أن تكون

---

(٥٤) Grand Hotel فى الأصل .

(٥٥) وقد تقرأ « السباحة » .

(٥٦) كلمة أجنبية غير مقروءة .

(٥٧) فى الأصل : Mirabel .

مدبرة ، وأنها مضرة بقضية الحزب الوطنى ولا نافعة له . والذين يتفكرون فيها مثلنا لا يسعهم إلا أن يسخروا منها .

والثانية ، التلغرافات التى دلت على حسن ما لاقى الوفد المصرى فى لوندره من الإكرام ، سواء كان من جهة أعضاء اللجنة البرلمانية المصرية ، أو من جهة ناظر الخارجية . وأحس أن فى الأمر نوعا من المبالغة ، وأن أباظة أذاع ذلك حتى يجعل لنفسه أهمية ، وحتى يتظاهروا له عند حضوره . ولابد أن اللواء وأذنابه لا يهتمون(٥٨) لذلك وسنرى .

[ص ١٢٨٦]

أصبحت السماء مغيمة ، والأمطار هاطلة ، وقواى خائرة ، وشهيتى ضعيفة . فلم أخرج من الأودة ، ومكثت أكتب ما عنَّ لى ، ولم أنم إلا قليلا ، وكان أغلب نومى حلماً ، وأغلب حلمى قابضاً للصدر !

رأيتنى بحضرة الخديوى ، وكان يكلم بعض الناس ، فانتظرت حتى انتهى الحديث بينهما ، وهممت بالإنصراف ، فأشار بالبقاء ، وقال : ما الخبر ؟ فقلت : لا شىء ، وإنما المأمورية التى كلفت الشيخ على يوسف حصل فيها كذا وكذا (نسيت التفصيل) . ولم يكن الشيخ على كلفنى أن أبلغ شيئا عنها ، ولا أدرى كيف انتحلت لنفسى ذلك . وكان جواب الخديوى : أعند هذا الأمر التافه حضرت ؟ فقلت : ولكى أتشرف بالمثول بين يديك .

وكأنى كنت جالساً أمامه على كرسى ، وهو قاعد على الأرض ، فنظر إلى رجليه وقال : قص على شيئا من الذى فعلت مُهماً ! فقلت : كثيرا ،

---

(٥٨) قراءة تقريبية .

وأغلب ما فعلته مصدق عليه منك ! فلم يعجبه ذلك ، وظن أننى أريد الاحتجاج عليه .

ثم ذهبت متكدرا ، وقابلت جمعاً من الإنكليز يغادر قناة فتحوها[٥٩] ، وكأنه كان نشأ عنها نزاع وانحسم لصالحهم . فاستلفتهم إلى الاحتجاج بالحكم الصادر لهم ، فاحتجوا ونجحوا .

ونحن عائدون قال لى الخديوى : (...)[٦٠] فقلت : إنى لا دخل لى فى ذلك ، ولكن كأنه يشير إلى (...)[٦١] تلقين الاحتجاج .

وقد قصصت المنام على زوجتى ففسرته بما هو خير ، وبأنه سيكون لى خير كثير ، والله محقق الأحلام ومزيل الأوهام !

[ص ١٢٨٥][٦١م]

سافرت إلى بودابست فى الساعة[٦٢] الثانية و٤٥ دقيقة من بعد الظهر ، ووصلت إليها فى السابعة . وقد أقمت فى فندق هنجاريا[٦٣] وهو فندق جميل ، وموقعه طيب ، وحجراته مريحة ، ومطبخه فاخر ، وخدمته[٦٤] ممتازة .

---

(٥٩) فى الأصل فاتحوها .

(٦٠) كلمة غير مقروءة .

(٦١) عبارة غير مقروءة . ويجدر القول بأن النصف الثانى من الصفحة غير مقروء تقريبا ، بسبب سرعة خط سعد زغلول .

(٦١ م) الصفحات من ١٢٨٥ إلى ١٢٧١ مكتوبة بالفرنسية ، وتقرأ عكسيا .

(٦٢) كتبها سعد زغلول heur وصححتها heurs .

(٦٣) فى الأصل : Hungaria (أى المجر) .

(٦٤) كتبها سعد زغلول cervice وصححتها Service .

ولقد أعطونا حجرة جميلة(٦٥) تطل على الدانوب ، كما تطل على منظر بديع . وبمجرد أن وصلنا ، أعطى لنا رئيس الخدمة(٦٦) ورقة(٦٧) تحمل رقم حجرتنا ، وكان ٢٠١ ، ورافقنا جارسون(٦٨) اصطحبنا(٦٩) حتى المصعد .

وعندما وصلنا للدور الثانى ، استقبلنا آخر آرانا الحجرة . وقبل أن نفحصها قدم لنا ورقة(٦٧) لكى أسجل عليها إسمى . ولأنى كنت متعبا(٧٠) فقد تسلمتها بشيء من الامتعاض (ص ١٢٨٤] وتركنا دون أن يأخذ الورقة إلا اليوم التالى .

ولقد نزلنا بعد ما غسلنا أيدينا إلى حجرة(٧١) الطعام . وكنت قد سبقت زوجتى وسألت عن مكان تلك الحجرة ، فأشاروا لى إلى الطريق الذى يوصل إليها ، وهو يمر بدورة المياه(٧٢) ثم الحجرة الملحقة بالمطبخ . وقد عتقدت فى البداية أنهم أساءوا فهمى ، فعدت أدراجى سريعا ، وكررت نفس السؤال ، وقيل لى نفس الرد ، ووجدت أناسا يسلكون نفس الطريق ، فسلكته حيث شممت رائحة المطبخ التى أتعبتنى . وأخيرا دخلت إلى حجرة الطعام ، وطلبت قائمة الطعام ، واخترت المنضدة ،

---

(٦٥) كتبها سعد زغلول un belle وصحتها une belle .

(٦٦) كتبها سعد زغلول cervice وصحتها service .

(٦٧) كتبها سعد زغلول une papier وصحتها un papier وقد عاد وكتبها صحيحة .

(٦٨) كتبها سعد زغلول garson وصحتها garçon .

(٦٩) كتبها سعد زغلول aménés وصحتها emmenait .

(٧٠) كتبها سعد زغلول fatigé وصحتها fatigué .

(٧١) كتبها سعد زغلول sal وصحتها salle .

(٧٢) كتبها سعد زغلول les lieux d'aisences وصحتها aisances أى بيت الراحة ، وهو الاسم القديم الذى كان يطلق على دورة المياه .

وخرجت لكى أبحث عن زوجتى [ص ١٢٨٣] وكانت قد نزلت وحدث معها نفس القصة وانتابها نفس الشعور . وقد قيل إن هناك اصلاحات تجرى فى غرفة الطعام ، وان استخدام هذه الغرفة مؤقت ، وأشاروا علينا بسلك ممر آخر يؤدى بنا إلى تلك الحجرة الملعونة،ولكن لكى نصل إليه يجب علينا أن نذهب إلى الدور الأول ! ولذلك فضلنا هذا على مضايقة الممر الآخر لمدة ثلاثة أو أربعة أيام . وبعد ذلك انتهت الاصلاحات ، وأصبح لدينا حجرة طعام ممتازة . وهم يخدموننا خدمة طيبة . ويعاملوننا معاملة حسنة تختلف عن معاملتهم لكل الناس بالفندق .

وقد قدموا لنا مرشدا يجيد الفرنسية ، علما بأن أصله ايطالى ، وكان يكره المجريين كراهية شديدة . وهو [ص ١٢٨٢] رجل ضخم ويبلغ الستين من عمره تقريبا ، وكان يوجه النقد دائما إلى المجريين(٧٣) وإلى عاداتهم .

وقد زرنا معه البرلمان الجديد ، الذى يعتبر بناء أثريا ضخما ، ثم الكاتدرائية ، والغابة(٧٤) ، ونادى دى بارك ، وجزيرة(٧٥) مرجريت . ثم طردناه بعد ذلك بيومين .

وعلى باب الفندق كان يوجد سعاة ، يرتدون قبعات حمراء مكتوب عليها أرقامهم(٧٦) . وقد وجدت أحدهم يعرف التحدث بالفرنسية ، وكان يتقاضى فى المتوسط فرانك يوميا . وكان يصحبنا غالبا(٧٧) ، وزرنا

---

(٧٣) كتبها سعد زغلول Hungrois وصحتها Hongrois .

(٧٤) كتبها سعد زغلول Boi وصحتها Bois .

(٧٥) كتب سعد زغلول هذه الكلمة l'il وصحتها l'ile .

(٧٦) كتبها سعد زغلول nomero وصحتها numero .

(٧٧) كتبها سعد زغلول souvant وصحتها Souvent .

معه المحلات التجارية[٧٨] ، وكثيرا من الأماكن فى « بودا » ، ومنها مقبرة لأحد الأتراك يدعى [ص ١٢٨١] جال بابا ، كان الأتراك قد اشترطوا[٧٩] على المجر فى معاهدة السلام[٨٠] التى عقدتها الحكومتان ، أن تحتفظ به إلى الأبد . وكانت المقبرة موجودة فى فناء منزل مهندس معمارى ، وتتكون من حجرة[٨١] لا تتجاوز أبعادها ٢٠ مترا ، وقد علقت على حوائطها[٨٢] بعض اللوحات التى[٨٣] كتب عليها أبيات من الشعر التركى ، وبعض أسماء الخلفاء الراشدين ، مثل عمر وعلى .

لم أتضايق من اقامتى فى تلك المدينة ، ولكن كانت الأفكار السوداء[٨٤] ، تنتابنى دائما ، فقد كنت أفكر فى الموت[٨٥] وفقدان الأصدقاء ، وفى مركزى الحساس ، وفى الافتراءات[٨٦] التى كنت موضوعها منذ تعيينى وزيرا .

[ص ١٢٨٠]

كنت أقرأ صباح كل يوم (الفيجارو والطان والماتان)[٨٧] ولم أكن

(٧٨) كتبها سعد زغلول magazans وصحتها magasins .
(٧٩) كتبها سعد زغلول Stibulé وصحتها Stipulé .
(٨٠) كتبها سعد زغلول Pai وصحتها Paix .
(٨١) قراءة تقريبية .
(٨٢) كتبها سعد زغلول les mur وصحتها les murs .
(٨٣) كتبها سعد زغلول lesquelles وصحتها lesquels .
(٨٤) كتبها سعد زغلول noirs وصحتها noires .
(٨٥) كتبها سعد زغلول la mor وصحتها la mort .
(٨٦) كتبها سعد زغلول calomens وصحتها calomnies .
(٨٧) Le Matin, Le Temps, Le Figaro .

أتسلم من جرائد مصر سوى بعض الصحف[٨٨] الأوروبية[٨٩] . ولم أكن أعرف بالضبط ماذا أريد ؟ إننى لا أستطيع أن أغير طبيعة[٩٠] البشر ، وإذا قدر لى الاختفاء فليس هذا خطئى ، وإذا مت[٩١] حتما[٩٢] إن آجلا أو عاجلا ، فهو القانون[٩٣] الذى يحكم العالم ، والذى لا يمكن عمل أى شىء تجاهه . أما بالنسبة لمنصبى فهو فى الحقيقة صعب[٩٤] وحساس جدا ، ولكن ما العمل ؟ إننى لا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أبذل قصارى جهدى لخدمة بلدى ، سواء جوزيت على ذلك بالسب أو بالمعروف . ولذلك لم يبق لى سوى العناية الإلهية أترك نفسى لها[٩٥] **[ص ١٢٧٩]** ، فإذا تطلبت الظروف منى أن أترك هذا المنصب ، فإنى أتركه بطيب خاطر[٩٦] لأننى فى الحقيقة لم أربح شيئا من ورائه ، بل خسرت عطف الشعب والأصدقاء . وإنى لآمل أن أتمكن من استعادة ذلك بقليل من الجهد والصبر[٩٧] . لأن . .[٩٨]

---

(٨٨) كتبها سعد زغلول feuille وصحتها feuilles .

(٨٩) كتبها سعد زغلول eureuppeans وصحتها européennes .

(٩٠) كتبها سعد زغلول natur وصحتها nature .

(٩١) كتبها سعد زغلول meur وصحتها meurs .

(٩٢) كتبها سعد زغلول fatallement وصحتها fatalement .

(٩٣) كتبها سعد زغلول la lois وصحتها La Loi

(٩٤) كتبها سعد زغلول difficil وصحتها difficile .

(٩٥) قراءة اجتهادية .

(٩٦) فى الأصل : بدون نفور . وقد كتبها سعد زغلول sans repunance وصحتها repugnance .

(٩٧) قراءة اجتهادية .

(٩٨) لم يكمل سعد زغلول الكلام

[ص ١٢٧٨]

كتب الأستاذ ديبوا دى برن(٩٩) كتابا هاما معنوان : « الأمراض النفسية والعصبية ، وعلاجها الطبيعى » وقد أشارت جريدة « الفيجارو » فى عددها الصادر يوم ٦ سبتمبر ١٩٠٨ إلى هذا الكتاب الهام(١٠٠) وتحدثت أيضا عن عمل آخر للدكتور العالم موريس دى فلورى(١٠١) ، عنوانه : « مقدمة فى الطب الروحى » . وينتمى هذان الأستاذان إلى مدرستين متعارضتين . وأريد أن أقتنى هذين الكتابين . وهناك كتاب : « أمراض الحيوية » ، بقلم ألبرت دى شان(١٠٢) .

[ص ١٢٧٧]

لقد قرأت فى جريدة « لوفار دالكساندرى »(١٠٣) أن محكمة القاهرة برأت شاويش(١٠٤) من التهمتين اللتين نسبتا له ، وإن هذا الحكم قد

(٩٩) le Professeur Debois de Pern .

(١٠٠) كتبها سعد زغلول remarcable وصحتها remarquable

(١٠١) Maurice de fleury

(١٠٢) Maladies de L'énergie تأليف D. Albert Des Champs .

(١٠٣) le phare d'Alexandrie ومعناها فنار الأسكندرية .

(١٠٤) هو الشيخ عبد العزيز جاويش ، وكان سعد زغلول يكتب اسمه « شاويش » وكانت النيابة العامة قد أقامت دعوى على الشيخ جاويش بتهمة اهانة وزير الحربية ، ونشر أخبار مثيرة للخواطر ، عن حادثة الكاملين الشهيرة ، وهى بلدة بالسودان قامت فيها ثورة برئاسة زعيم يدعى الشيخ عبد القادر ، وقد قبض عليه وعلى أتباعه ، وقضت المحكمة المدنية الكبرى باعدام اثنى عشر وبالسجن المؤبد على ثمانية ، وقد استبدل حاكم السودان أحكام السجن المؤبد بالأعدام . وقد نشرت =

قويل بالهتاف(١٠٥) من الحاضرين(١٠٦) .

ومن جهة أخرى ، قرأت فى جريدة « لبجيبت »(١٠٧) أن صحيفة « الجريدة » نشرت مقالا :(١٠٨) جاء فيه إن الذين يعارضون الدستور أنما هم الوزراء(١٠٩) وكبار الموظفين والإنجليز(١١٠) . وانتقد الوزراء بمرارة ، ملمحا إلى كلمة كنت قد قلتها لرئيس تحرير(١١١) ، هذه الجريدة ، وهى أننى مستعد لتقديم استقالتى إذا حلّ مكانى شخص آخر .

[ص ١٢٧٦]

وقد صدمنى هذا التلميح ، كثيرا ، وأعطانى فكرة(١١٢) سيئة جدا عن هذا الرجل الذى كنت أعتبره صديقاً ! ولقد لازمنى هذا الإنطباع السيىء طوال اليوم(١١٣) ، وذكرنى بسوء حظى مع أصدقائى(١١٤) ، ومع الناس الذين فعلت بهم خيراً . وحتى الآن وأنا أشعر بقرف .

=« اللواء » أخبار المحاكمة فى عدد ٢٨ مايو ١٩٠٨ تحت عنوان « دنشواى أخرى فى السودان ، ٧٠ مشنوقا و١٣ سجينا » ، فعدت الحكومة هذه المقالة اهانة لوزير الحربية . ونظرت القضية فى شهر يولية ١٩٠٨ ، وحكم ببراءة جاويش .

(١٠٥) كتبها سعد زغلول a été aclame وصحتها a été acclamé .

(١٠٦) قراءة اجتهادية .

(١٠٧) l'Egypte .

(١٠٨) كتبها سعد زغلول un articl وصحتها un article .

(١٠٩) كتبها سعد زغلول les ministre وصحتها les ministres .

(١١٠) كتبها سعد زغلول englais وصحتها anglais .

(١١١) كتبها سعد زغلول ridacter وصحتها rédacteur .

(١١٢) كتبها سعد زغلول idé وصحتها idée .

(١١٣) كتبها سعد زغلول tout la journé وصحتها toute la journée .

(١١٤) كتبها سعد زغلول mais amis وصحتها mes amis .

كنا فى النادى[١١٥] منذ الساعة السابعة حتى الساعة العاشرة والنصف ، وقضينا وقتا مسليا .

[ص ١٢٧٥]

استيقظنا[١١٦] اليوم مبكرين ، ووجدت نفسى رائق المزاج[١١٧] ، ويخيل إلى أن الأفكار السوداء[١١٨] التى تراودنى[١١٨ م] أحيانا ، تنتج[١١٩] عن اضطراب المعدة ، لأنى أشعر الآن بتحسن .

فى هذه الساعة من المساء جاء من يقرع باب حجرتى . وقد سمحت له بالدخول[١٢٠] معتقدا أنه مندوب الترزى الذى وعدنى بإرساله لكى يأخذ منى الجاكيت[١٢١] لإصلاحه[١٢٢] .

فوجدت رجلا لا يبدو عليه مظهر[١٢٣] الخدم ، وقدم لى بطاقة مكتوب

(١١٥) كتبها سعد زغلول Circle وصحتها cercle .

(١١٦) كتبها سعد زغلول reveille وصحتها reveillés .

(١١٧) كتبها سعد زغلول umeur وصحتها humeur .

(١١٨) كتبها سعد زغلول noirs وصحتها noires .

(١١٨ م) كتبها سعد زغلول frecon وصحتها frequentent .

(١١٩) كتبها سعد زغلول vienent وصحتها viennent

(١٢٠) كتبها سعد زغلول l'entr وصحتها l'entrée .

(١٢١) كتبها سعد زغلول Jaquete وصحتها Jaquette ، ولكن سعد كتبها صحيحة فى ص ١٢٧٤ .

(١٢٢) كتبها سعد زغلول courriger وصحتها corriger .

(١٢٣) كتبها سعد زغلول l'er وصحتها l'air .

عليها : هاباس برتلان(١٢٤) (. . .)(١٢٥) . [ص ١٢٧٤] وسألته عما يريد ، فأجاب بلغة لا أعرفها ، فسألته عما إذا كان يعرف الفرنسية فأجاب بأنه لا يعرفها على الإطلاق . وكنت قد أمسكت بسترتى ودعوته لأخذها ، ولكنه رفض ، وقال كلاما غير مفهوم(١٢٦) . ودققت الجرس عدة مرات لدعوة الخادم الذى يجيد الفرنسية ، ولكن ما من مجيب(١٢٧) . وفى النهاية حذرت أنه صحفى يريد إجراء حديث معى ، فأفهمته(١٢٨) أنه يمكنه العودة غدا مع مترجم . وانصرف .

وقضيت الليلة هادئا ، رغم أن صدرى كان يؤلمنى قليلا . ولكننى أشعر اليوم أننى أحسن حالا .

[ص ١٢٧٣]

لم أغادر المنزل بعد ظهر أمس ، فقد جلست مسترخيا أرقب الشارع(١٢٩) وقرأت كل الجرائد التى وصلت من مصر . وقد اتفقت الصحف الأوروبية(١٣٠) جميعها(١٣١) على أن المصريين الذين يرتمون فى

(١٢٤) Habas Bertalans .

(١٢٥) كلمة مطموسة بالحبر .

(١٢٦) قراءة اجتهادية .

(١٢٧) كتبها سعد زغلول il a pas وصحتها il n'a pas .

(١٢٨) كتبها سعد زغلول je lui fait comprendre وصحتها je lui fais comprendre .

(١٢٩) قراءة اجتهادية .

(١٣٠) كتبها سعد زغلول eureupeans وصحتها européens .

(١٣١) كتبها سعد زغلول tout وصحتها tous .

أحضان تركيا(١٣٢) طالبين منها الإغاثة(١٣٣)، هم جهلاء(١٣٤) أو يفتقرون إلى الحذق والمهارة(١٣٥). وتقول إن المصريين يجب عليهم ألا يعتمدوا(١٣٦) إلا على أنفسهم فقط، وأن الإنجليز(١٣٧) أفادوا مصر كثيرا، وعلى الأقل فإنهم أنسوهم(١٣٨) الشرور التى ألحقتها بها الأتراك أثناء(١٣٩) إدارتهم.

وتعليقا على الخبر [ص ١٢٧٢] الذى يقول إن الخديوى لم يحضر إحتفال(١٤٠) عيد ميلاد جلالة السلطان (...)(١٤١) قالت الصحيفة : إنه لا يجب عليه الذهاب إلى القسطنطينية، وإنه سيجد عند عودته لوطنه استقبالا(١٤٢) حسنا سوف ينسيه ما قوبل به(١٤٣) فى عاصمة الأتراك. وقد ذهب البعض إلى حد القول بأن رجال « تركيا الفتاة »(١٤٤)

---

(١٣٢) كتبها سعد زغلول Turqui وصحتها Turquie .

(١٣٣) كتبها سعد زغلول Secourt وصحتها Secours .

(١٣٤) كتبها سعد زغلول igniorants وصحتها ignorants .

(١٣٥) كتبها سعد زغلول maladrois وصحتها maladroits .

(١٣٦) كتبها سعد زغلول comter وصحتها compter .

(١٣٧) كتبها سعد زغلول englais وصحتها anglais .

(١٣٨) كتبها سعد زغلول il وصحتها ils .

(١٣٩) كتبها سعد زغلول pandant وصحتها pendant .

(١٤٠) كتبها سعد زغلول cérémoni وصحتها cérémonie .

(١٤١) عبارة غير مفهومة .

(١٤٢) كتبها سعد زغلول acquille وصحتها accueil .

(١٤٣) كتبها سعد زغلول ce qui a rencontré وصحتها qu'il a rencontré .

(١٤٤) كتبها سعد زغلول Jeunens وصحتها Jeunes .

هم الذين منعوا السلطان من إستقبال الخديوى .

وللتخفيف من شدة [١٤٤م] [ص ١٢٧١] هذه الرواية[١٤٥] ، فإن رجال القصر ، فيما يبدو لى ، أذاعوا أن الخديوى دعى إلى القصر[١٤٦] ولكن جلالة السلطان لم يتناول معه طعام العشاء .

وقد سمعت من يوسف صديق[١٤٧] ، أحد رجال الخديوى المقربين ، والذى كنت قد قابلته فى فينا فى أواخر الشهر الماضى ، عندما كان يتفاوض مع كونتيسة[١٤٨] الخديوى ، أن الخديوى حظى بمقابلة السلطان[١٤٩] ولكن جلالته لم يقل له شيئا سوى الجملة التالية « أتعشم أن تكون قد قمت برحلة طيبة فى أوروبا » !

(١٤٤ م) كتبها سعد زغلول regeur وصحتها rigueur .

(١٤٥) كتبها سعد زغلول vertion وصحتها version .

(١٤٦) كتبها سعد زغلول Palait وصحتها Palais .

(١٤٧) يوسف صديق بك ، درس الحقوق فى مونبلييه فى فرنسا ، وعندما كون الخديوى عباس حلمى حوله مجموعة فرنسية من معارضى الاحتلال البريطانى للعمل للاستقلال ، كان يوسف صديق بك قاضيا وطنيا فى المحاكم المختلطة ، وقد دخل فى هذه المجموعة . وقد أصر اللورد كرومر على فصله مع اسماعيل الشيمى . وفى أثناء الحرب العالمية الأولى ظل مع الخديوى عباس حلمى فى تركيا وأوروبا ، ولكنه اختلف معه وانفصل عنه .

(١٤٨) كتبها سعد زغلول Conesse وصحتها comtesse .

(١٤٩) كتبها سعد زغلول Sultin وصحتها sultan .

١٩٩٩

٣٥

الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الأول

الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الأول

من ص ١٣٨٧ ـ ص ١٣٨٦

(عدا تنازليا)

يوم ٢٥ مارس ١٩١٢

المحتويات :

[ص ١٣٨٧][1]

يوم ٢٥ مارث سنة ١٩١٢ الساعة ٨ صباحا .

أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أنم ليلى ، بل بت طوله تساورنى الهموم والأحزان ، وأتنفس الصعداء على ما فرط منى من اللعب ، وضياع الأموال التى جمعتها بكد اليمين وعرق الجبين ، وصيرورتى فى حالة سيئة .

ولقد كان يجب علىَّ ـ خصوصا فى هذه الأيام التى تزعزع فيها مركزى ـ أن أكف عنه حفظًا للبقية الباقية منه ، واتقاء أن أصير على ما أنا فيه من الضيق الشديد ، لأنى صرت مدينا فى المبالغ الآتية :

(١) وردت صفحة ١٣٨٧ قبل صفحة ١٣٨٦ . وقد وردت الصفحتان فى وسط الكراسة التى سجل فيه سعد زغلول مذكراته من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥ إلى ٧ أكتوبر سنة ١٩١٦ .

٢٠٠٤

جـ	
٣١٥٠	إلى البنك الألمانى الشرقى
٢٠٠٠	إلى بنك روما
٠٢٠٠	إلى الكلوب
٠٢٠٠	إلى التجار
٠١٠٠	إلى الخياط وبياع الأقمشة فى باريس
٥٦٥٠	
٠٥٠٠	تكملة مصروفات البيت لغاية شهر ديسمبر
٠٤٠٠	مصاريف السفر
٦٥٥٠	

[ص ١٣٨٦]

الإيرادات

جـ	
١٥٠٠	إيجار أطيان
١٩٥٠	قيمة مائتى غزال(٢)
٣٤٥٠	

(٢) قراءة تقريبية . وقد يكون القصد فى هذه الحالة : « مائتى مغزل » ! وقد تكون القراءة : قيمة ما على غزال » ! وفى هذه الحالة يكون « غزال » اسم شخص عليه لسعد زغلول ١٩٥٠ جنيه .

وفى كل من الحالتين فإن سعد زغلول لم يحسب هذا المبلغ ، وهو ١٩٥٠ جنيه فى ايراداته الدائمة ، التى قدرها بـ ٢٠٠٠ جنيه .

٢٠٠٥

على أن تقدير الأيجار بهذا المبلغ ليس مطابقاً للواقع فى جميع الأحوال ، فقد ينقص كثيرا ولا يزيد إلا قليلا . والأحوط تقديره بمبلغ ١٢٠٠ جنيه فى السنة . فإذا أضيف عليه مبلغ المعاش ٨٠٠ جنيه كان المجموع ٢٠٠٠ جنيه . وهو ما يلزمنى للصرف منه حتى أعيش تقريبا مثل ما أنا الآن عائش !

أنسانى هم المال هم المنصب ! وأصبحت لا أفكر فى خروجى ولكن فى تنظيم معاشى !

٢٠٠٧

٣٦

الكراسة الخامسة والعشرون

٢٠٠٩

الكراسة الخامسة والعشرون

من ص ١٣١٢ ـ ص ١٣٥٠

المحتويات :

- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين كامل يوم ٨ مارس ١٩١٥ ، وشكوى السلطان من تلامذة الحقوق والمعلمين الخديوية ، واستعطاف سعد له من أجلهم .
- السلطان حسين يذكر لسعد زغلول انه استبقى دنلوب بعد موقف التلاميذ منه .
- السلطان حسين يبدى رأيه فى اختصاصات الجمعية التشريعية ويستبعد منها الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية . وسعد يدافع عن الجمعية .
- سعد يرى أن السلطان عاجز عن فعل الخير لأمته منذ توليه السلطة .

- تعديلات رشدى باشا على القانون النظامى بخصوص الجمعية التشريعية واعتراضات سعد زغلول عليها ومهاجمته الوزارة .
- إثارة فكرة تعيين سعد زغلول وزيرا لأول مرة . ورد فعل سعد عليها .
- موقف سعد زغلول من حادثة مدرسة الحقوق ، وتدخله لدى رشدى باشا للعفو عن الطلبة .
- رأى سعد زغلول فى سياسة السلطان حسين ، وكيف أدت إلى استخفاف الناس به .
- فكرة عقد الحكومة المصرية قرضا أثناء الحرب ، واعتراض سعد عليها .
- عدول الحكومة عن استدعاء الجمعية التشريعية للانعقاد .
- سعد زغلول يعترض على نفى المواطنين المعارضين للحلفاء بأمر السلطة العسكرية البريطانية .
- عفو السلطان حسين عن تلامذة الحقوق باستثناء سبعة عشر ، ودفاع سعد زغلول عن هؤلاء الطلبة .
- مذكرة رشدى باشا للوكالة البريطانية برأى الحكومة فى مستقبل النظام السياسى فى مصر بعد الحماية بخصوص شكل الدولة ، وعلاقتها بانجلترا ، واختصاصات الجمعية التشريعية ، واعتراض سعد زغلول على المذكرة ، وتنديده بالسلطان والوزارة .
- استياء السلطان حسين من كتاب اللورد كرومر عن عباس الثانى .
- ترويج الجرائد لفكرة تأجيل انعقاد الجمعية التشريعية .

- مقابلة سعد زغلول للسلطان يوم ١٧ مارس ، وحديث السلطان عن الحملة التركية على مصر ، وقصائد الهجاء ضده ، وأحوال الأوقاف الخصوصية ، وصعوبة موقفه .
- حديث رشدى باشا مع سعد زغلول عن مؤامرات محمد سعيد باشا لدى السلطة العسكرية ، وطعنه على مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية .
- مكماهون يرفض الانتقال إلى السلطان حسين فى قصر عابدين ، ويطلب منه الانتقال إليه فى دار الحماية . وغضب السلطان حسين لهذا الطلب .
- الخلاف بين السلطان حسين ومكماهون حول حفل تسليم نيشان ملك الانجليز اليه .
- معارضة سلطة الحماية فى العفو عن شقيق مصطفى كامل .
- سعد زغلول يرى أن السلطان ووزراءه بعد الحماية أصبحوا يستمدون سلطتهم من الحماية .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين يوم ٢٣ مارس ١٩١٥ ، وحديث السلطان معه حول اتصالات الخديوى عباس حلمى بألمانيا وتسريبه رسوم الاستحكامات بجبهة القتال . وأسرار الحملة التركية على مصر ، وقطع السلطة البريطانية الموارد المالية عن الخديوى السابق .
- رفض سعد زغلول خضوع التعليم الدينى للجمعية التشريعية .
- استياء السلطان حسين كامل من إدارة الأزهر .
- اعجاب السلطان حسين بنبوية موسى ورغبته فى تعيينها فى الحرم السلطانى .

- مقابلة السلطان حسين لسعد باشا يوم ١٣ أبريل ١٩١٥ لاستطلاع رأيه فى إنشاء معهد دينى للتعليم الابتدائى فى عاصمة كل مديرية .
- شكوى السلطان حسين من فساد محمد سعيد باشا رئيس دائرة سيف الدين ، واعرابه عن عدم ثقته باسماعيل صدقى باشا وزير الأوقاف .
- حادث اطلاق النار على السلطان حسين يوم ٨ أبريل ١٩١٥ ، ووقع الحادث عند الشعب .
- اجتماع مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية .
- رغبة السلطان حسين فى ترجمة العلوم المختلفة إلى اللغة العربية ، وتعميم التعليم باللغة العربية .
- مقابلة سعد زغلول مع مكماهون يوم الاثنين ١٢ أبريل ١٩١٥ ، وشكواه له من أن « نوم الجمعية التشريعية طال وثقل » ، ودفاعه عن الجمعية التشريعية ووجوب انعقادها ، وطلبه توسيع اختصاصها .
- استياء السلطان حسين لرفض ابنه الأمير كمال الدين حسين وراثة العرش من بعده .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين يوم ٢٠ أبريل ١٩١٥ .
- تقديم حسين رشدى باشا استعفاءه من رئاسة الجامعة المصرية .
- مشكلة وراثة العرش بعد رفض البرنس كمال الدين حسين العرش ، واعتراض سعد زغلول على ترشيح الأمير أحمد فؤاد سلطانا على مصر .
- سعد يقترح أن تنتخب الجمعية التشريعية من عائلة محمد على من يخلف السلطان حسين على العرش .

٢٠١٣

- رغبة السلطان حسين فى العفو عن من اعتدى عليه ، ورفض السلطة العسكرية .
- اجتماع مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية للنظر فى مسألة التعليم .
- اعتراض سعد زغلول على سياسة وزارة المعارف فى إلغاء البعثات ، والمعارضة فى ترجمة الكتب الدراسية ، وعدم تعيين الوطنيين فى مدرسة الحقوق .
- مقابلة سعد زغلول السلطان حسين كامل يوم ٢٨ أبريل ١٩١٥ ، وتنديد السلطان بالمدرسة الحربية ونظامها ، وتحذير سعد زغلول من إعلان هذا الرأى .
- طعن السلطان حسين على قلينى فهمى باشا لأنه يريد أن يجعل للأقباط وجوداً مستقلا عن المسلمين .
- مهاجمة السلطان حسين للشيخ رشيد رضا .

[ص ١٣١٢]

يوم ٨ مارس سنة ١٩١٥[١]

طلبت مقابلة السلطان[٢] يوم الخميس ٤ مارس ، فكتب إلى كبير الأمناء بتحديد جلسة فى يوم السبت الساعة ٦ والربع مساءً . فادخلت

(١) انقطع سعد زغلول عن كتابة مذكراته من يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٤ – أى لمدة خمسة أشهر واثنى عشر يوما .

(٢) السلطان حسين كامل ، الذى عين فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . وكان الخديو عباس حلمى قد سافر إلى الآستانة فى صيف عام ١٩٠٤ ، وعندما قامت الحرب العالمية الأولى فى ٥ أغسطس ١٩١٤، أظهرت إنجلترا عدم رغبتها فى عودته إلى مصر . ولما دخلت تركيا الحرب ضد انجلترا وحليفاتها فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ . إنتهزت إنجلترا الفرصة لإنهاء السيادة التركية على مصر ، وأعلنت حمايتها عليها فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ . وفى اليوم التالى لإعلان الحماية أعلنت بريطانيا خلع الخديو عباس حلمى عن العرش ، وتولية الأمير حسين كامل عرش مصر بلقب « سلطان » بدلا من « خديوى » ، باعتباره أكبر الأمراء الموجودين من سلالة محمد على .

فى ذلك الحين كانت الجمعية التشريعية قد عقدت فصلا تشريعيا واحدا انتهى =

عليه، وكان أمامه عباس بيك الدرملى، الأمين الثالث، يلقى على مسامعه ـ حسبما فهمت ـ حاصل تشييعه لجنازة طُرْنيزُن باشا(٣)، الذى كان من موظفى المعية الخديوية، وتوفى فى اليوم المذكور.

ولما انصرف عباس بيك، سألنى عن حالة البيت، وما تم بين الشقيقات، فأخبرته بأن القسمة تمت فى كل شىء تقريبا، وأنهن يتكالمن ولكنهن لا يتزاورن(٤). فقال: إن كبيرتهن ـ مع الأسف ـ صارت سريعة التأثر، كثيرة الانفعال.

= فى شهر يونية ١٩١٤ قبل نشوب الحرب، وعندما نشبت الحرب منعت انجلترا انعقاد الفصل التشريعى الثانى الذى كان مقررا ابتداؤه فى أول نوفمبر ١٩١٤ إلى أول يناير ١٩١٥، بحجة أن الظروف الجديدة قد تضطر السلطة التنفيذية إلى اتخاذ تدابير استثنائية ومستعجلة من حين لآخر.

وفى ٢٩ ديسمبر ١٩١٤ صدر مرسوم بتأجيل دور الانعقاد إلى فبراير ١٩١٥. ثم صدر مرسوم آخر بتأجيله إلى ١٥ إبريل، ثم إلى أول نوفمبر ١٩١٥، ثم أجلت إلى أجل غير مسمى بموجب المرسوم الصادر فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٥. ولم تدع بعد ذلك إلى الانعقاد أبدا، وظلت البلاد بلا هيئة نيابية عشرة أعوام كاملة حتى صدر دستور ١٩٢٣.

(الرافعى: ثورة ١٩١٩، الجزء الأول الطبعة الأولى. مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦).

(٣) هو طورنيزون باشا (الميراخور)، وكان رجلا شديد الكبرياء، لدرجة أنه اعتبر مخاطبة مدير فندق سافوى فى كارلسباد له بلفظة «يا عزيزى» إهانة، وطلب مبارزته. (!)

(٤) الإشارة هنا إلى بيت سعد زغلول بعد وفاة مصطفى فهمى باشا، الذى خلف ثلاث كريمات قسمت التركة بينهن (انظر الجزء الرابع من مذكرات سعد زغلول (ص ٤١٠ ومابعدها).

ثم تأوه من الأحوال عموما ، ومن أحوال تلامذة الحقوق والمعلمين الخديوية ، وقال : إنه يئس من صلاحهم ، وإنهم تجاوزوا كل حد فى الوقاحة وقلة الأدب ، وإن قلبه أصبح كسيرا من الأمة وشدة جهالتها وسوء أخلاقها ، وإنه عزم ألا يهتم بأمرها ، وأن يتركها وشأنها تعبث الحوادث بها .

فأخذت أستعطفه بأنه لا ينبغى أن ييأس ، ولا أن يؤاخذ كل الأمة بما صدر من بعض صغار أبنائها(٥) .

فقال : إن الكبار كذلك سفهاء ! وأحلامهم طائشة ! أنظر كيف فعل أحمد بيك عبد اللطيف المحامى(٦) ؟ فإنى دعوته ضمن من عزمته من المحامين عندى ، فحضر قبل اليوم المعين إلى هنا ، وقال لسعيد باشا ذو الفقار ، كبير كبير الأمناء ، إنه لا يمكنه إجابة هذه الدعوة ، لأنه لا يعترف بسلطنة البرنس حسين ، ولا ينبغى له أن يعرفه كسلطان ! كما لا ينبغى أن يعرف الحماية الإنكليزية ، ولا أن يتردد عليها !

قال السلطان : وكنت أقدر أن أطلب من مكسويل ، قائد جيش الاحتلال ، نفيه إلى مالطة(٧) لكونه ثوريا ، ولكنى لم أفعل ذلك . ومن

---

(٥) كان السلطان حسين كامل قد زار مدرسة الحقوق يوم ١٨ فبراير ١٩١٥ ، ولكن طلبتها اتفقوا فيما بينهم على الامتناع عن الحضور فى يوم الزيارة السلطانية . فلما جاء السلطان لاحظ غياب عدد كبير من الطلبة ، فأجرت الوزارة تحقيقا فى الأمر ، أسفر عن فصل أربعة وخمسين طالبا وحرمان ١٣ طالبا من امتحان آخر العام وحرمان ١٨ طالبا من امتحان آخر العام مع إيقاف التنفيذ . (الرافعى نفس المصدر) .

(٦) أحمد عبد اللطيف بك المحامى من رجال الحزب الوطنى . وكان من هيئة الدفاع عن الوردانى فى جريمة اغتيال بطرس غالى باشا .

(٧) فى الأصل : ملطة .

منذ جلوسى وأنا أسدل المبرّات ، وأوالى النعم ، وأواسى ذوى الحاجات ، ولكن ليس فى الأمة من يعرف ذلك [ص ١٣١٣] ، ولا من يقدره قدره .

وتلامذة الحقوق لم يفعلوا مافعلوا إلا باغراء أشخاص معلومين ، فإن مرسى بدر ــ أحدهم ــ قريب الصوفانى[٨] . وقد كنت أعرف ، قبل زيارتى مدرسة الحقوق بثلاثة أيام ، ما عزم التلاميذ عليه ، ولكنى ما باليت به ، ولن أبالى . وقد كنت سعيت فى عزل دنلوب[٩] من المعارف ، ولكنى عدلت عن هذا العزل ، واستبقيته ! ولم أقابل السير مكماهون[١٠] إلا قليلا من المرات ، وسأقابله ! وأرى أن طرق التعليم الجارية غير ملائمة . وكذلك لا ينبغى أن تعقد الجمعية التشريعية ، ولا أن يكون لها صوت قطعي فى أمور الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية ، لأن الأوقاف تحت سلطتى ، ولا وجه لأن أتنازل عنها !

---

(٨) عبد اللطيف الصوفانى بك . من رجال الحزب الوطنى ، اشترك فى وفد اسماعيل باشا أباظة إلى لندن فى ١٤ يولية ١٩٠٨ . مما عرضه لغضب محمد فريد . وكان ممن هاجموا مشروع امتداد امتياز شركة قناة السويس فى الجمعية العمومية ، وكان معارضا للوفد بعد ثورة ١٩١٩ ، وهو من أبناء مديرية البحيرة . ومسقط رأسه بلدة أبو الخاوى مركز كوم حمادة . وتوفى فى ٢٤ مايو ١٩٢٥ ــ حسبما ورد فى إبراهيم مصطفى الوايلى : مفاخر الأجيال فى سير أعاظم الرجال ص١٠٣ .

(٩) فى الأصل : دلوب .

(١٠) سير هنرى مكماهون Sir Henry Macmahon أول مندوب سامى بريطانى عين فى ظل الحماية ، وقد وصل إلى القاهرة فى ٩ يناير ١٩١٥ .

(للاستزادة أنظر حاشيتنا على صفحة ١٣٣٣ من المذكرات) .

فقلت : مهلا مولاى ! لا تترك اليأس يستولى على نفسك ، فإن حياتك ليست لك ولكنها للأمة ، وأنت سلطان ، وهذه رعيتك ، فاصبر عليها ، وقابل ما يبدو من بعض الطائشين من أبنائها بالحلم والرفق . وسياسة الأمم تقتضى كثيرا من التحمل وسعة الصدر .

وبمناسبة الجمعية التشريعية ، أعرض لعظمتكم أن أعطاءها سلطة الرأى فى المسائل السالف ذكرها ، مع القيود التى علمنا بها من الجرائد ومن بعض النظار ــ غير مناسبة ، خصوصا وقد علمت من هؤلاء أنهم هم الذين وضعوا هذه القيود !

فقاطعنى الحديث وقال : إنه لا يحسن الآن اعطاء شىء ما ! وعاد إلى حدته الأولى .

فقلت : إذا كان أحمد عبد اللطيف خرج عن حده ، فبقية المدعوين من المحامين ــ وهم قريبا من الثلاثين ــ عرفوا لعظمتكم جميل إكرامها . وإذا كان بعض تلامذة مدرسة الحقوق ، وهم القليل ــ فإن أكثرهم ، وجميع تلاميذ مدرسة القضاء ، ومدرسة المعلمين الناصرية ــ أظهروا من الاحترام ماسرّ قلبكم . فلماذا يتغلب شر القليل على خير الكثير؟

وهنا دخل كبير الأمناء ، مستأذنا لعدلى باشا وباغوث باشا ونوبار ، فنهض .

وانصرفت وقلبى [ص ١٣١٤] مملوء أسفا من هذه الحالة ، وشعرت بأن هذه الحدة تبدو من السلطان تعليلا لعجزه عن فعل الخير بصفة كونه سلطانا ، لأنه من عهد جلوسه لغاية الآن لم يأت(١١) بعمل عام ترتاح إليه الأمة ، ولكنه أتى بأعمال شخصية ــ كإيلام الولائم ، والإحسان على بعض المحتاجين ، وغير ذلك مما يحسن من الفرد ، ولكنه

---

(١١) فى الأصل : لم يأتى .

أقل بكثير مما يطلب من الأمراء والملوك . والنغمة التى يضرب الآن عليها ، من التنديد بالأمة وأبنائها ، وتقبيح سيرتها ، والتشنيع بها ، تُطرب الإنكليز كثيرا ، وتمهد أمامهم السبل لإضعاف الناشئة ، وحرمان المصريين من حقوقهم الطبيعية .

وقد وقع فى خاطرى ــ بعد هذه المقابلة ــ أن بعض الوزراء لا يترفعون عن السعى لذيه بالنميمة ، حتى ضد أصدقائهم !

إن السلطان ووزراءه ، وإن كانوا غير قادرين على فعل الخير ، يستطيعون فعل الشر ! ولذلك ينبغى التحرز منهم .

أما القيود ــ التى أشرنا سابقا إلى أن الوزراء قيدوا بها جَعْل رأى الجمعية التشريعية قطعيا فى مسائل الأوقاف والمجالس الحسبية والمحاكم الشرعية ــ فهى :

أولا : يكون رأى هذه الجمعية قطعيا فى مسائل الأوقاف وفى ميزانيته ، بشرط ألا تزيد المصروفات ، ولا تتحول .

ثانيا : أن يكون رأى هذه الجمعية قطعيا فى المجالس الحسبية والمحاكم الشرعية ، بالنسبة لكل ما لا يرتبط بمسألة المالية .

وقد كان عرض علىّ رشدى باشا[١٢] التعديل ، المزمع ادخاله على القانون النظامى مشتملا على هذه الاختصاصات ، فاعترضت بشدة على هذه القيود ، وقلت : إن الأولى عدم اعطاء شىء ! لأن هذه القيود جعلت المنحة قليلة الأهمية ، ولا يصح أن تقابل مثل هذه المنحة التافهة ــ بعد ضياع البلد ــ بشىء من الإرتياح !

(١٢) حسين رشدى باشا ، رئيس الوزراء ، ولد فى ١٨٦٣ وتوفى فى ١٩٢٨ ، وكان والده طابو زاده محمود حمدى ، وكيلا لوزارة الداخلية ، وجده لأبيه حاكما لإقليم البرلس ، وكان جد أبيه قائدا عاما قهر الجنرال فريزر فى معركة السنانية قرب =

ويظهر أنه استاء لهذا الاعتراض ، فزارنى فى المساء عدلى باشا ، وفاتحنى الحديث فى هذا الشأن ، [ص ١٣١٥] فأعدت له ما أبديته لرشدى باشا ، بالشدة نفسها .

ولما علمت منه أن تلك القيود وضعها الوزراء من تلقاء أنفسهم ، زادت شدتى ، وقلت : كيف ساغ لكم ، وقد كنتم تطلبون قبل الحماية أشياء كثيرة للجمعية التشريعية ، أن تستكثروا ـ بعد إعلانها[١٣] ـ بعضَ ما طلبتم ، وتضعون له القيود ، بحجة أن الجمعية غير أهل للإطلاق[١٤] ؟ وكيف يصح لوزير مصرى أن يسم قومه بعدم الكفاءة وهو واحد منهم ؟ ثم انصرف .

وفى يوم ١٨ فبراير ـ أى بعد هذا الحديث بيومين ـ أخبرنى[١٥] بأن

= رشيد ، ولذلك كان أول حاكم مصر حكم الإسكندرية بعد هذه المعركة .

حصل على ليسانس الحقوق من باريس فى عام ١٨٨٥ ، وعلى الدكتوراه فى القانون من مدرسة باريس العليا ، وعين بقلم قضايا المالية عند عودته إلى مصر عام ١٨٩٢ ، ثم قاضيا فى المحاكم المختلطة ، فمستشارا فى محكمة الاستئناف ، ثم مديرا لديوان الأوقاف ، فوزيرا للحقانية فى عام ١٩٠٨ ، وتولى رياسة الوزراء فى ٥ أبريل ١٩١٤ ، واحتفظ لنفسه بنظارة الداخلية ، واستمر فى الرياسة بعد تولى السلطان حسين كامل السلطنة ، وكان أول من لقب برئيس مجلس الوزراء عام ١٩١٤ ، واستمر فى رئاسة الوزراء فى عهد السلطان أحمد فؤاد ، وشارك من موقعه كرئيس للوزراء فى التمهيد لثورة ١٩١٩ ، واستمر فى الوزارة حتى ٢٢ أبريل ١٩١٩ حين استقال بسبب اضراب الموظفين المشهور . واختلف مع سعد زغلول ، وعين رئيسا للجنة الدستور ١٩٢٢ ، فرئيسا لمجلس الشيوخ ١٩٢٦ .

(١٣) أى بعد اعلان الحماية .

(١٤) أى غير أهل لإطلاق رأيها دون قيود .

(١٥) أى : عدلى باشا .

السلطان ممنون كثيرا منى ، وتكلم طويلا فى شأنى ، وقال : لابد من انهاء مسألته مع مكماهون قريبا[١٦] .

فقلت : أشكر للسلطان هذه العناية . وإنى لا أميل لنهو هذه المسألة ، وأرى أن العمل مع السلطان ومع رشدى لا يلائم حالتى ، لأن الأول سريع التغير ، كثير التقلب ، والثانى ضعيف الرأى ، قليل التدبير ، وقد بدا[١٧] من كل منهما أمور تقلل من ثقتى[١٨] بأقوالهما . وسردت له بعض ما حصل من رشدى باشا ، فتأسف وقال : إن هذا سر بيننا ، والسلطان لا يعرف منه شيئا .

ويخيل لى أن هذه المحادثة غير طبيعية ، وأنها كمثلها من الأحاديث التى جرت مع رشدى ! ولقد قال لى السلطان ــ أثناء الكلام على الجمعية التشريعية ــ : إنك لو كنت وزيرا ، لرأيت أن هذه الجمعية لا تستحق شيئا من توسيع الاختصاصات ! فرددت ذلك بقولى : إن هذا رأيى ، وأبديته عندما كنت وزيرا ، وأصر عليه رغم تغير الأحوال[١٩] .

حضر عندى محمود بيك أبو النصر[٢٠] عقب حادثة مدرسة الحقوق ، ورجانى فى أن أسعى لدى ولاة الأمور فى الاستعطاف بهم . فلم أعده بشيء ، نظرا لما أعلمه من عجز ولاة أمورنا فى مثل هذه

---

(١٦) يقصد مسألة تعيين سعد زغلول وزيراً فى الوزارة .

(١٧) فى الأصل : بدى .

(١٨) فى الأصل : تقلد من ثقة .

(١٩) واضح أن فكرة تعيين سعد زغلول وزيرا ، الغرض منها اثناءه عن طلبته توسيع اختصاصات الجمعية التشريعية .

(٢٠) محمود بك أبو النصر من رجال الحزب الوطنى ، أنشأ مع محمد فريد وأحمد حافظ عوض بك مجلة « الموسوعات » ، وهى مجلة علمية نصف شهرية ،=

الحالة . ولكنى ــ مع ذلك ــ تكلمت مع رشدى باشا فى شأنهم ، وقلت : إنهم أخطئوا[٢١] ، ولكن الحكم جاء غاية فى القسوة ، واللازم أن يكون التأديب [ص ١٣١٦] مناسبا للذنب ، وإن الأمم تعامل التلاميذ ــ فى جميع الأحوال ــ معاملة أبوية ، وتغتفر لهم ما تعاقب عليه سواهم . والحرمان من التعليم لا يصح أن يكون عقوبة ، لأن فيه ضررا كبيرا بالأمة ، التى يجب أن يكون العقاب دائما فى مصلحتها .

فرأيت منه عطفا عليهم ، ووعدنى بأنه سيبذل جهده ، فى العفو عنهم إلا بضعة عشر منهم . فقلت : إن العفو الشامل خير وأبقى ، والذين يراد التشديد عليهم منهم هم أذكاهم ، وأوسعهم كفاءة ، وفى حرمانهم من التعليم إضاعة لهم ، وخسارة عظيمة[٢٢] .

فوعدنى خيرا . ولكنى سمعت هذا الرأى ــ أى رأى رشدى[٢٣] باشا ــ من السلطان نفسه ! ففهمت أن هذا هو رأى السلطة الإنكليزية ، ولكن كل واحد منهما يتظاهر بأنه هو صاحب هذا الرأى .

= وانتخب فى ديسمبر ١٩٠٨ عضوا فى لجنة لتعديل قانون الحزب الوطنى ، وفى فبراير ١٩٠٩ أختير عضوا فى اللجنة التنفيذية المكلفة بعمل تمثال لمصطفى كامل ، وفى مارس ١٩١٠ اشترك فى لجنة الدفاع عن الوردانى قاتل بطرس غالى باشا . وبعد تأليف سعد زغلول الوفد المصرى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، أختير عضوا فى الوفد فى عملية استكمال سعد العناصر التى تمثل الأمة ، ولكنه جنح إلى الاعتدال بعد اعتراف مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر ، وخرج من الوفد .

(٢١) فى الأصل : اخطأوا .

(٢٢) هذه أول مرة يكشف فيها الستار عن دور سعد زغلول فى العفو عن طلبة الحقوق .

(٢٣) أى العفو عن الطلبة فيما عدا عدد منهم .

٢٠٢٤

[ص ١٣١٧]

فى ٩ مارس سنة ١٩١٥

أخذ السلطان حسين من يوم توليته فى مقابلة الناس على اختلاف طبقاتهم ، ودعوة كثير منهم إلى الأكل على مائدته ، بقصد استمالتهم . ولكنه يكثر الكلام معهم ، ويخاطب كل واحد منهم بما يخاطب الآخر به ، من غير تميز بينهم !

وترجع أحاديثه إلى امتداح شخصه بما يجريه من الصدقات ، ويسديه من الخيرات على اللاجئين إليه من ذوى الحاجات ، والاستشفاع لدى السلطة الإنكليزية بمن تقسو فى معاملته بحبس أو نفى — مما تكرر وقوعه منها بعد إعلان الأحكام العرفية بالبلاد ! ويُكثر لمحدثيه من الأيمان تأييدا وتأكيدا لما يبديه من الأقوال . وكثيرا ما يحلف على مصحف صغير يخرجه من جيبه ويضعه على عينيه !

ولما تكرر ذلك منه أمام أغلب المترددين عليه ، استخف الناس بشأنه ، وسخروا منه ، وأخذوا يهزأون بما يبدو منه .

ولكن المقربين من الإنكليز يبذلون قصار جهدهم فى الثناء عليه ، وتعداد مآثره — خصوصا بعد أن جاهر بالتشنيع على الأمة وتقبيح أخلاقها !

مما تأتيه الجرائد (وكلها أصبح الآن شبيها بالرسمى ، لا ينطق إلا بما تأذن به ، ولا ينشر إلا ما تريد إعلانه واعداد النفوس لقبوله) أن الحكومة الإنكليزية تنوى أن تعقد مصر قرضا بمبلغ اثنين وثلاثين مليون جنيه ، بحجة صرفه فى إنشاء مصارف واصلاحات زراعية !

وهذا المشروع ليس من المشروعات المستعجلة ، حتى تتوجه الهمم

لتنفيذه فى هذه الأيام العصيبة ، التى اشتد الخناق على الناس فيها ، وأصبحوا لا يدرون من أمر مستقبلهم شيئا ! فالحرب لا تزال قائمة ، ونيرانها تستعر بين أكثر أمم الأرض ، ومن لم يدخل فيها منها مشغول بتوفير الأسباب [ص ١٣١٨] الواقية من شرورها . وما عند الناس من المال أصبح غير كاف لحاجاتهم الوقتية ، فكيف يتأتى لهم ــ وهم يرزحون تحت هذه الأحمال الثقيلة ــ أن يفكروا فى مثل هذا المشروع ؟

ولكن السلطان ووزراءه يبذلون منتهى وسعهم فى تمهيد الأفكار له(٢٤) ، بما يتحدثون به فى مجالسهم الخصوصية ، ويوحون بنشره فى الجرائد .

بلغنى أنه بعد أن عزمت الحكومة على استدعاء الجمعية التشريعية فى ١٥ أبريل القادم ، عدلت عن عقدها ، وعولت على تأجيلها ، لما أحست بأن التعديل المنتظر لا يلاقى من أعضائها حسن القبول المأمول .

نُسب إلى سيدة مسلمة ، تدعى نعمة هانم ، قرينة حجازى بيك ، أنها تتكلم ضد الحلفاء وفى صالح الترك والألمان ، فنُبه عليها بالكف عن هذا الكلام ، أو تنفى خارج القطر ! وهموا فعلا بنفيها ، لولا شفاعة رئيس الوزارة لها !

واتهمت سيدة أخرى ــ مسلمة أيضا ـ وهى قرينة من يدعى عبد الباقى أفندى العمرى ، بمثل هذه التهمة ، ثم سافرت مع زوجها إلى إيطاليا منذ عشرين يوما ، وأكد الأقربون منها أنها سافرت منفية بأمر السلطة العسكرية الإنكليزية .

فأكبرتُ الأمر ، ونددت به أمام بعض الوزراء ، وقلت : إن هذه سياسة خرقاء ، ولم نسمع ــ من قبل هذا ــ أن الحكومة تهتز أركانها لما

(٢٤) فى الأصل : لهم . ويقصد سعد زغلول : تمهيد الأفكار للقرض .

يتحدث النساء به فى مجالسهن ، خصوصا المسلمات منهن ، لأنهن لا يجتمعن بالرجال ، ولا يمكن أن يُحدث ما يبدو منهن أقل تأثير فى الرأى العام !

وبعد قليل من الأيام ، عاد إلىّ هذا الوزير ، وأخبرنى بعدم صحة نفى هذه السيدة . قال : وإنما هى التى خرجت من تلقاء نفسها ، لأن زوجها أعلن بأنه لا يمكنه اسكاتها ! وهو الذى اختار أن يسافر [ص ١٣١٩] بها ، لعجزه عن الزامها بترك الكلام فى الحرب وموضوعها .

ولما قابلت السلطان ، كرر لى ما قاله ذلك الوزير ! فعلمت من ذلك أنه نقل إليه حديثى معه .

[ص ١٣٢٠]

القاهرة فى ١٠ مارس سنة ١٩١٥

قرأت فى الجرائد اليوم أن السلطان عفى عن تلامذة الحقوق ، الذين سبق الحكم عليهم بالرفت من المدرسة عقابا لهم على امتناعهم عن الحضور إلى المدرسة يوم أن زارها عظمته ، ولكن استثنى من المحكوم عليهم سبعة عشر تلميذا لم يعف عنهم(٢٥) ـ قيل لأنهم هم الذين حرضوا زملائهم على ذلك الامتناع ـ ولكن الجرائد لم تنشر أسماء هؤلاء(٢٦) .

---

(٢٥) فى الأصل : لم يعفى .

(٢٦) هؤلاء الطلبة هم : أحمد مرسى (بدر) ومحمد صبرى أبو علم ، ومحمود وهدان ، ومحمد فؤاد حمدى ، وعبد العزيز إبراهيم عبده ، وأحمد والى الجندى ، وأحمد أحمد عبد الله ، وحافظ حسن عامر ، وأحمد لطفى ، وإبراهيم رياض ، =

والظاهر أنهم أذكى المحكوم عليهم ، وأوسعهم كفاءة ، وأكملهم استعدادا . وظاهر الأمر(٢٧) شفقة ولكن فى الحقيقة قسوة ، لأن حرمان سبعة عشر فتا من أنبه التلامذه وأكفئهم ، خسارة كبيرة ، وقد يترتب عليه فساد عظيم ، إلا إذا تدورك ذلك بالعفو عنهم أيضا .

كان رشدى باشا أطلعنى ــ عقب اعلان الحماية ــ على مذكرة ، قدمها للوكالة الإنكليزية بخصوص ما ينبغى فعله بالنسبة للتغير الجديد ، وهذا تعريبها :

« أمام قرار الحكومة البريطانية بتعديل حالة مصر السياسية ، ينبغى وضع نظام سياسى إدارى لهذا القطر ، يكون موفقا بين حماية مصالح انجلترا السياسية وفوائد الأوروباويين المالية والتجارية ، ويكون من شأنه ــ مع ذلك ــ أن يحقق ــ بقدر الإمكان ــ آمال الأمة ، حتى ترضى عن الحالة الجديدة » .

وإليك ما يمكن عرضه بهذه المناسبة :

أولا : اعلان مصر دولة ملوكية دستورية مستقلة ، بالقيود الآتية :

١ ــ أن يكون لانكلترا حق حماية قنال السويس ، والمحافظة بوجه الإجمال على سلامة القطر المصرى .

٢ ــ أن يكون لها حق المراقبة المالية ــ مراقبة تؤدى إلى إلغاء صندوق الدين ، واستبداله بهيئة [ص ١٣٢١] انكليزية .

= وإسماعيل محمود حمدى ، ومحمد فهمى كرارة ، وصادق العجيزى ، وعلى أحمد رضا ، ورياض الشريف ، ومحمد أمين الشاهد ، وحسن يس .

على أنه فى السنة التالية عفى عن هؤلاء السبعة عشر طالبا ، وعادوا إلى المدرسة . (الرافعى : ثورة ١٩١٩ ص ٢٦) .

(٢٧) أى العفو عن المفصولين .

٣ ــ ضرورة موافقة الحكومة الإنكليزية على القوانين المختصة بالأجانب .

٤ ــ ضرورة موافقتها أيضا على عقد المعاهدات السياسية مع أية دولة أجنبية .

٥ ــ [٢٨] يكون للحكومة الجديدة حاكم وراثى ، بشارات الملك المعتادة (كالعلم الوطنى والجيش الوطنى والسكة الوطنية ، وامتيازات الشرف الوطنية الخ) .

٦ ــ [٢٩]تستلزم الطريقة الجديدة للدولة تعديل القانون النظامى الحالى ، بجعل رأى الجمعية التشريعية قطعيا فى بعض المسائل ، لا سيما المسائل الآتية .

١ ــ الحقوق والواجبات المترتبة على الصفة المصرية (كالجنسية ، وحق الانتخاب ، والخدمة العسكرية) .

٢ ــ المحاكم الشرعية .

٣ ــ الوقف .

٤ ــ المجلس الحسبى .

٥ ــ التعليم المدنى والدينى .

٦ ــ ضرب الضرائب الجديدة ، وكل تعديل فى الضرائب الموجودة ، أو إلغاء لها .

٧ ــ اعطاء امتيازات تتعلق بأكثر من مديرية .

يتبين من هذا التعداد أن الغرض هو تقوية وظيفة الجمعية التشريعية بطريقة متواضعة معقولة ، فإن توسيع اختصاصات هذه الجمعية محدود بالمسائل التى تخص المصريين وحدهم ، أو التى رأيها فيها كان من قبل قطعيا .

(٢٨ ، ٢٩) هذا الترقيم غير موجود فى الأصل ، ولكن السياق يقتضيه .

ويلاحظ أنه ليس من المطلوب اعطاء الجمعية التشريعية صوتا [ص ١٣٢٢] قطعيا فى القوانين العامة ـ أى التى تنطبق على المصريين والأجانب معا ـ إذ من المهم ، خصوصا بالنسبة للعزم على لغو الامتيازات الأجنبية ، أن يتأكد توحيد التشريع . وضرورة موافقة الحكومة الإنكليزية على هذه القوانين العامة ، لها مزيَّة من وجهين :

الأول : تيسير قبول الدول بلغو الامتيازات .

الثانى : وضع ضمانة عند اللزوم للمصريين أنفسهم ، بجعلهم كالأروبيين فى المعاملة .

ويمكن أيضا أن يعرض على الجمعية التشريعية ـ لكن بصفة استشارية ـ الاتفاقات التجارية التى تعقدها الحكومة المصرية » .

عرض علىَّ رشدى باشا هذه المذكرة ، فوجدتها غير وافية ، ورغبت أن تضاف إليها القوانين المدنية والجنائية الخاصة بالوطنيين . فلم يعارض ، ولكنه أشار إلى تشدد الإنجليز .

ومن الغريب أن يُعدَّ الآن ـ فى عرفه وفى عرف زملائه ـ من لم يرض عن الحالة الجديدة ، ويعتبرها(٢٩م) من غير فائدة للجمعية ، أو بفائدة لا تذكر ـ طائشا متهورا فى الرأى ! والسلطان ، الذى كان يجاهر ـ قبل توليته ـ بأنه يرفض العرش إذا لم يكن مصحوبا بتوسيع اختصاصات الجمعية التشريعية وحفظ استقلال مصر ـ اليوم(٣٠) يسخط الآن كل السخط على من يبدى أقل اشمئزاز من عدم اعطاء شيء مفيد لنواب الأمة ، ويقول بأن هذه الأمة لا تستحق شيئا من الاستقلال ، وأن الجمعية ليست أهلا للرأى القطْعى !

(٢٩ م) أضفنا : « ويعتبرها » ، لأن السياق يقتضيها .

(٣٠) قراءة تقريبية .

ومن العجيب أنى أسمع هذا القول من الوزراء ، ومن المقربين منهم ، يلوكونه بألسنتهم ، ولا يشعرون بأن هذا حكمٌ عليهم أنفسهم ، وأنهم إنما يدلّون بهذا القول على ضعف شعورهم ، وكثرة طمعهم ! ولو علموا أن ما يمنعونه عن أهلهم بمثل هذا القول ، لا يعود إليهم ، بل يرجع الأمر فيه إلى الأجنبى عنهم ، لكفوا عن هذا المقال !

[ص : ١٣٢٣]

١٧ مارس سنة ١٩١٥

كذبت الحكومة ــ منذ بضعة أيام ــ خبر عزمها على اقتراض مبلغ اثنين وثلاثين مليون جنيها ، رغما عن أن الأحاديث التى جرت مع السلطان ، ونشرتها بعض الجرائد ، تدل على صحتها !

بلغنى من بعض الوزراء ، أن السلطان استاء لما يشير إليه اللورد كرومر فى كتابه الأخير عن الخديوى عباس ، من عدم جعل سلطنة مصر وراثية ، وأنه[٣١] فاتح فى هذا الشأن السير مكماهون ، فقال له هذا : إن رأى اللورد كرومر هو رأى شخصى له ، لا رأى حكومته .

ولكن من يعلم أن حكومته كانت تسترشد فى أمر التغيير الذى تم بمصر برأى[٣٢] اللورد المشار إليه ؟ وسكوت مكماهون عن تقرير النظام الوراثى ــ الموعود به فى عهد الولاية الموجهة إلى السلطان ــ يبين[٣٣] أن هذا لم يكن رأيا شخصيا ، بل رأى الحكومة الإنكليزية !

---

(٣١) أى : السلطان حسين .

(٣٢) أضفنا : « برأى » لأن السياق يقتضيها .

(٣٣) فى الأصل : يتبين .

يشيعون ــ من بضعة أيام ــ أن بين الوزراء نوعا من الفتور فى العلائق ! ولكنهم لم يبينوا لهذا الفتور سببا . وقد زعم أحمد بيك عبد اللطيف المحامى ، أن السبب فيه ما كان من أمر امتناعه عن إجابة دعوة السلطان ، حيث قال لعزيز خانكى(٣٤) ومحمد بيك يوسف : إن السلطة العسكرية أرادت نفيه إلى مالطة ، فاحتج رشدى باشا وهدد باستعفائه إذا تم هذا النفى ، لأن البيك المذكور صديقه الوحيد فى مصر ، ونفيه يسقط نفوذه فى أعين أهلها . فعدلت(٣٥) عن ذلك . قال أحمد عبد اللطيف : وهذا منشأ الإشاعة عن فتور العلائق بين الوزراء .

ولا أدرى مبلغ هذه الدعوى(٣٦) من الصحة ، ولكنى شعرت من السلطان ــ عند مقابلته أخيرا ــ بنوع من الفتور عن رشدى باشا .

[ص ١٣٢٤]

تؤكد الجرائد ــ من بضعة أيام ــ أن الحكومة قررت تأجيل انعقاد الجمعية التشريعية إلى أول نوفمبر القادم ــ تاريخ انعقادها السنوى ! ولابد أن يكون سبب هذا التأجيل خشية الحكومة من مقابلة هذه الجمعية للهيئة(٣٧) الحاضرة بالفتور ! لأنها كانت تود عقدها فى ١٥ فبراير

---

(٣٤) عزيز خانكى : محام بالنقض والإبرام ، ومؤرخ ، له أكثر من ٢٩ كتابا ، أهمها : « ترك وأتاتورك » ، و« المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية : ماضيها ، حاضرها ، مستقبلها » ، « والمحاماة قديما وحديثا » ، « والتشريع والقضاء قبل انشاء المحاكم الأهلية » ، « الملكية العقارية فى مصر ، ونفحات تاريخية » .

(٣٥) فى الأصل : فعدل .

(٣٦) فى الأصل : الدعوة .

(٣٧) فى الأصل : « للهيأة » ، ويقصد بها هيئة الحكومة ..

الماضى ، وتبشرها بما عزمت عليه من جعل رأيها قطعيا فى مسائل الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية ، ولم يؤخرها عن ذلك إلا لأن المخابرة فى خصوص هذه المنحة لم تكن قد تمت بعد بين الحكومة المصرية والحكومة الإنكليزية .

حادَث السلطان مكاتب جريدة ايتالية(٣٨) محادثة نشرتها جريدته ، ولكن قلم المراقبة هنا حذف منها بعض الجمل ، واقتضى ــ لنشرها بتمامها فى بعض الجرائد العربية ــ مخابرات بين الوزارة ومكماهون .

٢٠ مارس سنة ١٩١٥

وبلغنى بأن السير مكماهون استاء لهذا الحديث ونشْره ، وأرسل يعنف السلطان على محادثته لرجال الصحافة ، حتى قيل إنه منعه من الاجتماع بهم ومحادثتهم فى الشئون العامة !

قابلت السلطان يوم الأربع ١٧ مارس ، فوجدته أهدأ من المرة الأولى ، وأروق فكرا ، وأعدل قولا . وتكلم ــ حسب عادته ــ فى موضوعات شتى لا يمكن ضبطها !

ورأيت أن عدلى باشا قد تكلم معه فى الشأن الذى سبق أن تكلمت مع هذا الوزير فيه . وفهمت منه أن ناظر الأشغال عرض عليه مشروعا لاصلاحات فى الرى تقتضى من النفقات ما يبلغ اثنين وثلاثين مليون جنيه ــ ولعل هذا هو منشأ حديث القرض الذى خاضت الجرائد فيه من بضعة أيام .

وأخبرنى(٣٩) بأنه ضبط قصائد هجو فيه مع بعض المشايخ . وأنه ورد إليه جريدة يطبعها محمد فريد فى جنيف باللغة الفرنساوية ، وفيها

(٣٨) يقصد : ايطالية .

(٣٩) أى : أخبر السلطان حسين كامل سعد زغلول .

صورة الخديوى السابق ، وأن بعض المصريين رافقوا الحملة التركية إلى [ص ١٣٢٥] القنال ، وأن الخديوى حمل معه بعض سهام من البنك العقارى ، وهى التى ينتفع الآن من بيعها ، وأن أحوال الأوقاف الخصوصية سيئة(٤٠) جدا ، وأن اللورد كتشنر سيعود بعد نهاية الحرب إلى مصر ، وأنه يرقبنى من بعد ! وأن مركزه دقيق جدا ، وأن الأمة يجب أن تفهم الصعوبة التى هى أمامه .

فأخذت فى استرضائه عنها بقولى : إن التغير الذى طرأ على مصر(٤١) من المصائب التى يعظم وقعها على النفوس ، وإنه ينبغى عذر المصابين بها إذا تألموا من شدة وقعها عليهم . ولأن تكون سلطانا لأمة حية ، شاعرة حساسة بالخير وبالشر ، خير من أن تكون حاكم قوم لا شعور فيهم ، ولا احساس عندهم ، ولا رابطة بين أفرادهم . فهش لهذا القول ، وبش لسماعه .

وذكرت له ــ عند الكلام على الأوقاف الخاصة ــ مسألة عبد الله بيك . فقال : إنه أصدر أمره فيها من قبل ، وعينه مفتشا للسبرباى(٤٢) . فشكرته وطلبت صورته(٤٣) ، فوعدنى بإرسالها ممضاة منه . وانصرفت من لدنه ، بعد أن لبثت فى حضرته ساعة وعشرين دقيقة .

---

(٤٠) فى الأصل : سيأة .
(٤١) يقصد : اعلان الحماية البريطانية على مصر .
(٤٢) بلدة فى الوجه البحرى .
(٤٣) أى : صورة السلطان حسين .

ووجدت عند انصرافى نجله البرنس كمال الدين باشا[٤٣م] ، بقاعة كبير الأمناء ، فجلست معه برهة ، تكلمنا فيها عن مسائل شتى تتعلق بالزراعة وتربية الماشية . وكنت عند قدومى تلاقيت بهذه القاعة مع رشدى باشا ، فطلب أن أقابله فى منزله فى اليوم التالى .

بناء على ذلك قابلته فى يوم ١٨ ، وفهمت منه أن رواية أحمد بيك عبد اللطيف صحيحة ، وأنه حقيقة هدد باستعفائه إذا نفى البيك المذكور . قال : وإن محمد سعيد وشيعته هم الذين جسّموا الأمر وعظموه لدى السلطة العسكرية ، طمعا فى أن يفضى ذلك إلى سقوط الوزارة ! وقال مستغربا : عجبا لمحمد سعيد ! كيف [ص ١٣٢٦] يتظاهر الآن بالغيرة على النظام الحالى ، وشدة الحرص على الدفاع عنه ؟ وإنه لم يكن يَنتظر منه ، بعد أن ساعده على نوال الوظيفة الحالية ، ومده برأيه فى القيام بأعبائها ، أن يدس له الدسائس ! فقلت : إنك تستحق أكثر من ذلك .

وفهمت منه أنه لم تفته مسألة غيابى عن الجمعية التشريعية عند زيارة مكماهون ، وقال : إنه يعرف والسلطان أن هذا من فعل مظلوم ! وأخذ يطعن عليه بعدم اهتمامه بأمر الجمعية ومايراد عمله فى نظامها . فسألته عما تنوى الحكومة فعله بالنسبة لتأجيل انعقادها وتوسيع اختصاصها ؟ فقال بصوت خافت : إنها ستؤجل ، ولم يتم شىء بالنسبة إلى اختصاصها . ولم يزد على ذلك .

فقلت : إن مظلوم[٤٤] صنع خيرا بسكوته عن السؤال ، فإن من

(٤٣ م) ابن السلطان حسين كامل من زوجته المطلقة عين الحياة ، كريمة الأمير أحمد رفعت . وقد ولد فى ٢٠ ديسمبر ١٨٧٤ .

(٤٤) محمد مظلوم باشا ، رئيس الجمعية التشريعية .

تصدى له لم يظفر بطائل . وكان الرئيس يتثاءب فى هذه الأثناء ، فهممت بالانصراف ، فمنعنى ، وتحادثنا قليلا ، ثم انصرفت .

ولم أجد فى نفسى ركونا إلى ما سمعت فى هذه المقابلة من الأقوال والآراء .

بلغنى أن مكماهون أراد أن السلطان يعرض عليه فى دار الحماية ما يريده إذا شاء ، ولكنه هو لا ينتقل إلى السلطان فى عابدين ، ذلك لأنه هو نائب الملك : يعنى يزار ولا يزور ! فلم يقبل السلطان ذلك ، وانفعل انفعالا أثر عليه ، حتى أشار عليه طبيبه بالراحة ثلاثة أيام . وكان هذا هو السبب فى أنه مضى هذه الأيام فى مصر الجديدة .

[ص ١٣٢٧]

٢٦ مارس سنة ١٩١٥

علمت أن الخلاف المشار إليه سابقا حصل من زمان طويل ، عقب إهداء نيشان عالى[٤٥] الشأن إلى السلطان من جلالة ملك الإنكليز ، حيث أراد السير مكماهون ــ نائبه ــ أن يسلم هذا النيشان إلى المُهدَى إليه فى حفلة رسمية ، تنعقد بدار الحماية الإنكليزية . فكبر ذلك على السلطان ، وتخابر مع مكماهون فى هذا الشأن ، ونتج عن هذه المخابرة أن عُدل عن هذه الحفلة الرسمية إلى وليمة بسيطة ، حضرها السلطان ووزراؤه وبعض كبار الانكليز وغيرهم . ولما أقبل السلطان على دار الحماية ، دخل من باب خاص ، وأُدخل فى غرفة خاصة على غير شعور من المدعوين ، وهناك سلم إليه السير مكماهون ذلك النيشان ، وتنبه بحفظ هذا الأمر مكتوما عن الجرائد وعن سائر الناس .

(٤٥) فى الأصل : على .

شاعت إشاعات عن فتور بين عظمة السلطان ورشدى باشا رئيس الوزراء ، واستفزت هذه الإشاعات بعض الناس ، فراح يستفهم عنها من سراى عابدين . وعلى أثر ذلك نشرت جريدة « جورنال دى كير » ، فى العدد الصادر منها بتاريخ ٢٤ الجارى ، حديثا جرى لمحررها مع سعادة رئيس الوزراء ، كذب فيه هذا الرئيس تلك الإشاعات ، وأكد أنه متمتع بالثقة الكاملة من عظمة مولاه ، وأنه لا يُرغِّبه فى البقاء فى منصبه ــ على ضعف صحته ، وكثرة ما يلاقى من المشقات فيه ــ إلا الصفات السامية التى اتصف السلطان بها ، وجعلته يستخف كل مشقة فى العمل معه .

وقد توهم كثير من قراء هذا الحديث أن فى الأمر شيئا ، وإلا لما تكلم الرئيس عن صحته وضعفها ، ومنصبه وتشعب همومه !

ومما قيل فى أسباب تلك الإشاعات ، إنها ترجع إلى مسألة [ص ١٣٢٨] أحمد عبد اللطيف !

وقيل إن سببها أن عظمة السلطان وعد حسين واصف باشا بالعفو عن أخيه حسن بيك ، الذى كان مديرا لجرجا وحكم عليه بالحبس مدة سنتين لتزوير ارتكبه فى بعض الأوراق الرسمية ، وحادث وزير الحقانية فى شأن هذا العفو فوافق عليه ، وحينئذ أبلغ السلطان حسين واصف أنه أحسن بالعفو على أخيه ، فقبَّل هذا أردانه[٤٦] شاكرا ، ولكن سلطة الحماية عارضت فى العفو ، ومنعت صدوره . والظاهر أن رئيس الوزراء جارى[٤٧] هذه المعارضة ، إن لم يكن أيدها ، فتغير بسبب ذلك خاطر السلطان عليه ، وسبَّب هذا تواتر تلك الإشاعات .

---

(٤٦) أردان جمع رُدْن ، وهو الكم ، أو طرَف الكم الواسع ، وأردان أى أكمام .

(٤٧) فى الأصل : جار .

غير أن من يعرف حقيقة الأمر بعد الحماية ، يرى أنه لا يمكن أن تحدث أزمة وزارية فى حكومة مصر بسبب خلاف بين السلطان ووزرائه ، لأن كلا من الفريقين ليس له سلطة ذاتية ، ولكنه يستمد سلطته من الحماية ، فهم فى الحقيقة موظفون خاضعون لأوامر الحماية ، ولا يمكن أن يحدث من الخلاف بينهم إلا كما يحدث بين موظفين تابعين لسلطة واحدة ، لا كما يحدث بين حاكم ذى سلطان ووزراء مسؤولين بين يديه عن أعمالهم . وإذا حدث هذا الخلاف بين السلطان ووزرائه ، فقد يفضى(٤٨) إلى إقالة السلطان واستبقاء الوزراء على العكس من الخلاف الذى يحدث بين ذلك الحاكم ووزرائه ، لأنه يستلزم حتما سقوط الوزراء من مناصبهم .

فى مساء يوم ٢٣ مارس ، حمل إلىّ سعيد صورة عظمة السلطان ، وقال : إن عظمته تكرم باهداء هذه الصورة إليك . فتقبلتها ، وذهبت فى اليوم التالى إلى سراى عابدين ، لتقديم الشكر على هذه الهدية ، فاستقبلنى السلطان أحسن استقبال . وبعد أن جلسنا [**ص ١٣٢٩**] فى القاعة الكبرى هنيهة ، أدخلنى فى مكتبه الخاص ، وقفل الباب ، وطلب قهوة ، وأنشأ يتكلم متنقلا من موضوع إلى موضوع ، بمناسبة وغير مناسبة !

وفهمت منه أن الخديوى السابق ، عقب شفائه وبعد اعلان الحرب الأوروبية ، كان يجتمع فى الخفاء تحت جنح الظلام بسفير ألمانيا ، ويعطيه أخبار مصر وحركات الإنكليز فيها ، وأوصل إليه رسوما عن الاستحكامات التى شرعوا فى اقامتها بجبهة القنال ــ وهى رسوم نقلها إليه نجل الشيخ سليم البشرى ، الذى هو من الضباط . فلما وقف الإنكليز على ذلك ، نقموا على الخديوى ، ومنعوه من العودة إلى مصر .

---

(٤٨) فى الأصل : يفدى .

ولما وجه الأتراك حملتهم على هذا القطر ، رغب الخديوى أن يعطوه كتابة[٤٩] بأن مصر تكون بعد إخراج الإنكليز منها مستقلة ، كما كانت قبل سنة ١٨٨٢ ـ أى قبل الاحتلال الإنكليزى، وأن تتألف تلك الحملة من ثلاثمائة ألف مقاتل ـ طلب ذلك ، فيما يظهر ، بعد أن أخذت الحملة طريقها إلى مصر بقيادة جمال باشا ـ وكان يصحبها بعض رجال الخديوى من ضباط وغيرهم ، كالشيخ محمد عثمان ، وبعض خيام كانت أرسلت من مصر إلى الدرمان . فلما وصلت الحملة إلى مصر ، أمر قائدها بطرد أولئك الرجال ، فعادوا من حيث أتوا ، وأبت حكومة تركيا أن تعطى تلك الكتابة على نفسها . ومن ثم تغيير الخديوى ، وبارح الآستانة إلى سويسرا ، واشتد الخلاف بينه وبين الحكومة التركية .

وكان عَين ـ من قبل هذا ـ عمه إبراهيم باشا حلمى[٥٠] نائبا عنه فى حكم مصر عند دخول عساكر الترك فيها ، وعَين شفيق باشا رئيسا للوزراء . وأنه ـ بعد أن أقام فى سويسرة مدة ـ ذهب إلى فينا ، فأقام فيها ،ومعه شفيق باشا ، ويوسف صديق ، ومحب باشا .

وقال إنه[٥١] ينفق من سهام للبنك العقارى كان أخذها معه ، ومما تمده به والدته من النقود . وإن [ص ١٣٣٠] السلطة العسكرية

---

(٤٩) أى خطابا أو بيانا مكتوبا .

(٥٠) إبراهيم حلمى باشا . هو الأمير إبراهيم حلمى ، رابع أنجال الخديو إسماعيل ، ولد فى ١٨٦٠ ، وتوفى فى «نيس» بفرنسا فى ١٥ / ٣ / ١٩٢٧ ، ثم نقلت رفاته إلى مدافن الرفاعى بمصر فى ٩ فبراير ١٩٣٧ . وكان للأمير مكتبة شهيرة « بنيس » تحوى نحو ١٦٠٠٠ مجلد من أنفس الكتب عن مصر والشرق ، أهداها الورثة إلى الجامعة المصرية ، وسافر من أجلها أحمد لطفى السيد باشا ، مدير الجامعة إلى « نيس » مع محمود خليل بك ، ونقلاها إلى مصر .

(٥١) أضفنا : « وقال إنه » لبداية فقرة جديدة .

هنا ، لما شعرت بهذا الامداد ، أقامت على دائرة هذه الوالدة مراقبة لكى تعمل على منع هذا الإمداد . وقد كان وكيل هذه الدائرة ، محمود باشا فهمى ، أعد مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه ذهبا عينا ، لإرساله بطرق مخصوصة ، فمنع من ذلك .

وفهمت من عظمته أن مبروك باشا ، الجنرال المصرى ، أراد أن يعظم من حادثة أحمد عبد اللطيف ، وَسعى لدى عظمته فى نفيه ، موهما بخطورة ما صدر عنه ، وبغضب السلطة الإنكليزية منه ـ فاستدعاه[٥٢] ، ووبخه ، ونبه عليه أن يكف عن التداخل فى ما لا يعنيه ، والسعى فيما لا يليق بالشرف العسكرى . وأضاف[٥٣] : إنى لا أحب السعاية ، ولا أميل للساعين . وإن هذه طريقة ممقوتة يجب القضاء عليها ، إذ كثيراً ما أفسدت وأضرت بالبلاد .

فامتدحته على ذلك كثيرا ، وشكرت له هذه النزاهة ، ورغَّبته فى الاستزاده منها .

وفهمت منه أنه يريد أن يكون للجمعية التشريعية صوت قطعى فى التعليم الدينى . فلم أشجعه على ذلك كثيرا : أولا ، لأن التعليم الدينى فى مأمن بذاته من تداخل السلطة الإنكليزية فيه . وثانيا لأن[٥٤] إطلاق يد المصلح الحر الأمين فيه ، خير من تقيدها بآراء الجمعية التشريعية ، التى تتألف الغالبية فيها من قوم تمكنت الأوهام الدينية من نفوسهم تمكنا لا يستطيعون معه أن يميزوا بينها وبين الحقائق الشرعية ، ويتعذر أن تتفق كلمتهم على اصلاح فيها .

---

(٥٢) أى : استدعى مبروك باشا .

(٥٣) فى الأصل : « قال » .

(٥٤) فى الأصل : إن .

٢٠٤٠

وفهمت منه أنه متألم من إدارة الأزهر ، ومن أنه علم أن بعض تلامذته ، الذين لهم مرتبات فيه ، مستخدمون سواقين فى الترمواى ، ومنهم من هم مشايخ فى البلاد ــ وغير ذلك من وجوه الخلل [ص ١٣٣١] والفساد . وأن ميزانيته تزيد على مائة ألف جنيه ، وكثير من هذا المبلغ يستولى عليه بعض العلماء بغيرها . وفهمت منه أنه استلفت الأنظار إلى اصلاح المدرسة الحربية ، وإلى اصلاح مجالس المديريات ، وتوجيه عنايتها إلى نشر التربية الأولية .

وفهمت منه أنه مسرور من مدرسة معلمات الكتاتيب ومعلميها ، ومعجب بنبوية موسى ، المدرسة فى المدرسة الأولى ، ويرغب تعيينها بوظيفة فى الحرم السلطانى .

وفهمت منه أنه يتوقع عودة كتشنر ، ويخشاها ! وأنه يقرب إليه محمد سعيد ، ويدعوه إلى مائدته ، رغبة منه فى الوقوف على حقيقة دائرة سيف الدين ، لا محبة فيه !

فقلت عند ذلك : إن تقريبه يجرح خاطر رشدى باشا وزملائه . فقال : إنه يعرف ! وأضاف[٥٥] أنه أمر بتعيين أهل خبرة ، حتى يقفوا على حقائق العقارات التى حصل التبادل فيها بين هذه الدائرة[٥٦] وغيرها . وألح أن يكون معهم الإنكليزى السابق تعيينه ، وإنه موجه التفاته بنوع خاص إلى هذه الدائرة .

---

(٥٥) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل ، وقد أضفناها لسلاسة العبارة .

(٥٦) أى دائرة سيف الدين .

[ص ١٣٣٢]

١٣ أفريل سنة ١٩١٥

كنت فى كلوب محمد على يوم الأحد ٥ أفريل ، إذا بعباس بيك الدرملى[٥٧] يدعونى فى الساعة السابعة وعشرة دقائق إلى الحضور إلى عابدين ، للعشاء مع السلطان فى الساعة ثمانية .

فاستقبلنى بالهشاشة المعهودة ، وقال : دعوتك لأن آخذ[٥٨] رأيك فى مسألة هامة تتعلق بالتعليم فى المعاهد الدينية ، ولم يوح[٥٩] بها إلىّ أحد ، ولا تكلمت بها مع أحد ــ حتى رشدى باشا !

وقد كان إسماعيل صدقى باشا عرض علىّ انشاء معهد دينى كبير ، بما بقى من نقود المؤتمر ، وكان ذلك فى يوم الجمعة ثلاثة أبريل ، فأخذت أفكر فى الأمر حتى أمس ، حيث خطر ببالى أن أنشىء فى عاصمة كل مديرية معهدا دينيا للتعليم الابتدائى ، الذى يكون الغرض منه تربية أئمة فى المساجد ، ومأذونين للشرع ، وطلبة للأزهر الشريف ، الذى لا يدخله إلا من كان حاملا لشهادة الأهلية من أحد تلك المعاهد .

وفى هذه الطريقة من المزايا : أولا ، تسهيل طلب العلم على الراغبين ، وتقريب الشقة بينهم وبين أمكنة التعليم ، وتخفيف عدد المجاورين بالأزهر ، وقصر التعليم فيه على العلوم العالمية . فما رأيك فى هذا المشروع ؟

قلت : إنى أرى ــ بادىء الأمر ــ أنه مشروع حسن جليل ، ولم

(٥٧) عباس الدرملى هو الأمير الثالث .
(٥٨) فى الأصل : أآخذ .
(٥٩) فى الأصل : يوحى .

يسبق لى التفكر فيه . فأرجو إمهالى مدة تسع التأمل والبحث . فقال : كذلك ، وبعد أن تتم البحث فيه أرجوك أن تعرض النتيجة علىّ ، فإنى أحب ــ قبل البت فى أمر ــ أن أشاور أهل الرأى فيه .

ثم دعينا للعشاء ، فخرج ، وخرجت خلفه ، فوجدت موظفى المعية مصفوفين صفا واحدا وأيديهم على صدورهم ينتظرون خروج السلطان ، فسلم عليهم بالإشارة ، فانحنوا معظمين ، وأُجلست عن يمينه . وكانت الأطعمة فاخرة ، ولكن الحديث كان فى موضوعات عامة لا أهمية لها !

[ص ١٣٣٣]

وبعد العشاء ، عدنا إلى المكان الأول ، فتجادثنا إلى الساعة عشرة وربع ، وجرى الحديث فى موضوعات شتى : أهمها ، أن الإنكليز يبذلون له من الاحترام كل ما ينبغى ، ولكنهم لا يفضون إليه بكل ما عندهم ، ولا يكشفون له عن نياتهم فى المصالح . وأن مكماهون(٦٠) ، المندوب

---

(٦٠) Sir Henery Macmahon المندوب السامى البريطانى الذى خلف اللورد كتشنر فى يناير ١٩١٥ ، بعد أن تولى هذا منصب وزير الحربية فى انجلترا. وقد تلقى ماكماهون خبراته الادارية فى الهند ورقى إلى وظيفة السكرتير السياسى للحكومة فى سيملا فى شمال الهند . ولم تتح له الفرصة لدراسة الشئون المصرية قبل تعيينه فى وظيفته ، مما أوقع الجفاء بينه وبين السلطان حسين كامل ، الذى انتقده علنا . وعندما تبينت الحكومة البريطانية استحالة التفاهم بين الاثنين ، عينت فى نوفمبر ١٩١٦ السير ريجنالد ونجت ، سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان ، مندوبا ساميا لبريطانيا فى مصر ، بدلا من السير هنرى مكماهون .

(انظر) Lloyd. Egypt Since Cromer Part 1 pp. 213 232.

الثانى ، فيه شيء من الكبرياء .

ثم قال(٦٠م) إنه يراقب بكل انتباه محمد باشا سعيد فى إدارة دائرة سيف الدين ، وإنه اشتبه فيه لمناسبة مشروع الاستبدال ، الذى عرض عليه إمضاءه مع أمين كرم .

فقلت : إن الناس يتحدثون كثيرا فى هذه الدائرة ، ويندون كثيرا بسعيد باشا ، ويزعمون أنه شريك لمن يدعى شارلى باكوس(٦١) فى السمسرة ، ويؤكدون هذا الزعم .

فقال مطرقا : إنى لم أسمع بهذا من قبل ، وإنما عينت سعيد باشا فى هذه الدائرة رأفة به ، لأنه كان فى احتياج شديد . ثم قال : إنه ينظر بنفسه فى أمور « الأوقاف »(٦٢) ، ولا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأصدر أمره فيها بما يناسب .

وفهمت ـــ من خلال حديثه ـــ أنه قليل الثقة بوزيرها إسماعيل باشا صدقى !

على ذكر سعيد باشا ، أُثبت أنى تقابلت ـــ فى مأتم عبد الله بيك الطوير ـــ برشدى باشا وعدلى باشا ، فأخبرنى الأول بأن اللورد سيسل ، المستشار المالى ، بلَّغه أن محمد سعيد سعى لديه أن تبيع ماليته إلى شارلى باكوس الأقطان التى اشترتها من الزارعين ، فلم يقبل المستشار المذكور هذا الطلب . فألح عليه سعيد باشا إلحاحا شديدا ، حتى انتهى بأن يقول له : أرجوك أن تقبل هذا الأمر ، لأن فيه مصلحة لى ، وهى أن لى نصيبا مع باكوس فى السمسرة ! فدهش المستشار لهذا التصريح ! ورفض الطلب .

قال رشدى باشا : فأخبرت السلطان بالأمر ، فاستغربه ، ورأى أن

(٦٠ م) أضفنا : ثم قال .

(٦١) فى الأصل : بقوس .

(٦٢) أى : وزارة الأوقاف .

يسأل اللورد سيسل فى [**ص ١٣٣٤**] شأنه . والظاهر أنه سأله ، فأيد له صحة الخبر . ثم شاعت فى الناس هذه الحكاية ، وتناولتها ألسنة الكثير منهم فى المجالس الخصوصية .

وقد صَحبت هذه الإشاعات إشاعات أخرى(٦٣) عن أعمال محمد باشا سعيد فى دائرة سيف الدين ، منها أنه ألزم مستأجر الدائرة بأن يترك خمسين قرشا ــ أو أربعين ــ (على اختلاف الرواية) عن كل قنطار من أقطانه ــ التى كانوا باعوها لشارلى باكوس السالف ذكره ــ فى مقابلة أن الدائرة تنقص الإيجار لهم فى العام المقبل !

ومنها ، أنه أجر إلى شريعى باشا مقدارا عظيما من الأطيان فى الوجه القبلى ، يزيد على أربعة آلاف فدان ، باعتبار الفدان الواحد ستة جنيه ــ مع أن العارفين يؤكدون أن هذه الأطيان فى غاية الجودة ، وأنها كانت مؤجرة من قبل باعتبار عشرة جنيه الفدان !

ومنها ، أن أحد الخواجات أراد أن يستأجر من هذه الدائرة أربعة آلاف فدان أخرى ، فطلب منه رشوة أربعة آلاف جنيه ! فراح إلى أحد أغنياء الأقباط يعرض عليه أن يشاركه فى هذه الإيجارة وفى المبلغ المذكور ! ويؤكد الاشاعتين الأخيرتين نجيب باشا غالى تأكيدا تاما .

قل : والله أعلم بالحقيقة ! غير أن ثوران هذه الإشاعات حول اسم محمد سعيد مما يزيد الشك فى استقامته .

فى يوم الخميس ٨ أبريل ، فى نحو الساعة الرابعة ، مر السلطان بشارع عابدين فى موكبه العادى ، ذاهبا لزيارة بعض البيوت القديمة ، كبيت مكرم ، والبكرى . فتقدم إليه شاب ، وأطلق عليه عيارا ناريا ،

---

(٦٣) فى الأصل : « وصحبها إشاعات أخرى » ، وقد عدلنا العبارة بما يناسب بداية فقرة جديدة .

فأخطأه ، وأصاب كبوت العربة . وقبض على الجانى ، واستمر السلطان فى طريقه .

وقد اجتمع(٦٤) خلق كثير حول سراى عابدين ، وفى الطرقات . وشاع أولا أن الجانى قبطى ، وثانيا أنه تلميذ من مدرسة الحقوق .

ثم ذهبت ــ فيمن ذهب ــ إلى سراى عابدين ، التى تقاطر الناس **[ص ١٣٣٥]** عليها من كل فج . ومنهم من انصرف منها بعد كتابة اسمه فى سجل التشريفات ، ومنهم من بقى حتى عاد السلطان بعد اتمام زياراته .

وقد استدعى(٦٥) من كان موجودا من الزائرين إليه ــ وكنت فى مقدمتهم ــ فوجدته متأثرا ، وقال ما معناه : (حُفت الجنة بالمكاره ، ولا يسلم المكان الرفيع من أذى يلحقه ، ولابد من مقابلة عظام الحوادث بالتجلد والصبر ، وكلما علت منزلة المرء كثر حاسدوه ، والمؤمن مصاب ، وإنى من يوم جلوسى على هذه الأريكة ما أتيت شرا ، وما فعلت إلا خيرا ، وإنى أتأسف أن الأمة لم تقدرنى قدرى ، حتى إن الأجانب قابلونى وأنا عائد بالهتاف ، أما الوطنيون فبالانصراف !

فقلت : يا مولاى لا تؤاخذ الأمة بما فعل ذلك السفيه ، وإن كان واحد خرج عن حده فإن الأكثرين انزعجوا لهذا الحادث ، وتأسفوا لوقوعه . وتكلم بعض الحاضرين بمثل ذلك ، وانصرفنا .

بلغنى ــ بعد ذلك ــ أن الحكومة أوعزت للحكام ومديرى الأقاليم ، بأن يدعو الناس للحضور إلى تقديم التهانى للسلطان على نجاته . وتكلم معى رشدى باشا ــ فى صبيحة اليوم التالى ــ بالمخابرة مع مظلوم باشا فى

---

(٦٤) فى الأصل : فاجتمع .

(٦٥) فى الأصل : فاستدعى .

شأن استدعاء أعضاء الجمعية التشريعية لهذه الغاية ! وكان يتكلم معى بصوت المتردد ، وعبارة المضطرب !

فوعدت ، وبحثت عن مظلوم باشا حتى حضر ، واتفقنا على استدعاء الأعضاء للمقابلة يوم الأحد ١١ أبريل . ورجانى مظلوم باشا أن أكتب كلمة تهنئة يتلوها فى حضرة السلطان عند مقابلته . فكتبت الكلمة المنشورة فى الجرائد ، واستلمها يوم السبت مساء ، وتلاها أمامى ثلاث مرات . ولكنه لم يحسن تلاوتها أمام السلطان ــ وخصوصا آخرها ــ فرأيت أن أضيع من سوء هذا الأثر بدعوة **[ص ١٣٣٦]** الأعضاء للدعاء بـ « يحيا مولانا السلطان »[٦٦] . ثلاث مرات . ويظهر أن ذلك وقع من السلطان موقعا حسنا ، ولكنه[٦٧] أساء مظلوم ــ كما بلغنى !

فى يوم السبت ١٠ أبريل ، اجتمع مجلس الإدارة للجمعية الخيرية الإسلامية[٦٨] ، فى الساعة الرابعة مساء[٦٩] ، واقترح سعادة على باشا

---

(٦٦) فى الأصل : يحيى .

(٦٧) فى الأصل : ولكنه أنه . ويقصد أن الهتاف أغضب مظلوم باشا .

(٦٨) الجمعية الخيرية الإسلامية نشأت فى سبتمبر ١٨٩٢ ، وكان من أعضائها سعد زغلول وأحمد السيوفى باشا وأحمد حشمت والشيخ محمد عبده وحسن عاصم ويوسف صديق وإبراهيم رشدى ، وكانت لها فروع فى المديريات والبنادر والمراكز ، واستمرت قائمة حتى ثورة ٢٣ يوليو . وكان من أهم مشروعاتها مستشفى الجمعية بالعجوزة ، الذى استولت عليه القوات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، واستولت عليه ثورة يوليو بعد قيامها .

(لمزيد من الاطلاع . انظر حاشيتنا بصفحة ٢٤١ ، و٢٤٢ من الجزء الثالث ، وكتاب د. حلمى أحمد شلبى : فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٤٦ سنة ١٩٨٨ .

(٦٩) فى الأصل : مساءا .

شعراوى أن يكتتب كل من الأعضاء الحاضرين بمبلغ ، يخصص مجموعه لتربية أبناء الفقراء وإسعاف المحتاجين ، شكرا لله على نجاة السلطان من ذلك الغدر ، لأن الليلة السنوية التى كانت تحييها الجمعية فى كل عام حصل العدول عنها فى هذا العام ، وبذلك قل إيراد الجمعية .

فاستحسن الحاضرون هذا الاقتراح : بعضهم استحسانا حقيقيا ، والبعض ظاهريا ! واكتتب كل من على شعراوى باشا وحسين واصف باشا وعدلى باشا مبلغ ثلاثين جنيها ، واكتتبت بعشرة ، واكتتب الباقى بمبالغ من خمسة عشر إلى اثنين . ثم تقرر أن يتوجه الأعضاء إلى عابدين لتهنئة السلطان ، وشكره على مبلغ مائتين وخمسين جنيه تصادف أنه تبرع به من أحد الأوقاف للجمعية الخيرية .

بناء[٧٠] على ذلك ، قابلنا عظمته يوم الأحد ١١ أبريل فى الساعة ١١ ونصف ، بعد انصراف الجمعية التشريعية من لدنه . غير أنه لم يُفتح علينا ــ عند الجلوس فى حضرته ــ بكلمة تهنئة ، ولا كلمة شكر ، ولكن كان له كل الكلام ، ولنا كل الدعاء . ثم انصرفنا .

وفى مساء هذه الليلة ، كنت مدعوا ، مع ناظر مدرسة القضاء الشرعى وأساتذتها وبعض أعضاء مجلس إدارتها ، إلى العشاء مع السلطان . فتعشينا ، وكان طعاما فاخرا جدا ، وكان السلطان هشا بشا أنيسا .

وبعد الطعام ، تكلم فى شأن ما اقترحه [**ص ١٣٣٧**] حسن بيك صبرى ، وأقره مجلس الأزهر الأعلى[٧١] ، من امتحان تلامذة معهد الاسكندرية مع تلامذة مدرسة القضاء ، فى علوم التعيين . وجعل النجاح فى هذا الامتحان أساسا لترتيب درجات الناجحين .

---

(٧٠) فى الأصل : بناءا (ويلاحظ أن الكراسة بغير خط سعد زغلول) .

(٧١) فى الأصل : الأعلا .

فاشتركت مع عبد الخالق باشا فى تفنيد هذا القرار ، وتقبيح نتائجه . وأكد السلطان أنه يعرف من أعمال حسن صبرى مالو قاله لأوجب خنقه .

وقد تضمن كلامه على المائدة أمورا مهمة ، نرجو الله أن يوفقه إلى إتمام رأيه فيها ، وهى :

أولا : ترجمة العلوم المختلفة إلى اللغة العربية .

ثانيا : التبكير فى تعليم اللغة الفرنساوية للمترشحين من التلامذة إلى الدخول فى مدرسة الحقوق .

ثالثا ، تعميم التعليم باللغة العربية .

ولكنى أراه لا يقوى على تذليل الصعاب القائمة أمام هذه الأمور . ولقد قال لكلٍ كلمة ترضية . ثم سلم ، وانصرفنا .

تم التحقيق أمس فى قضية التعدى على السلطان ، وتبين منه أن المعتدى شاب فى الخامسة والعشرين من عمره يدعى محمد خليل عباس ، وأنه أضاف اللفظ الأخير إلى اسمه تيمنا بمسماه(٧٢) ، واخلاصا له . وأنه ابن تاجر من المنصورة لم يتم تعليمه ، ولم يكن مرضيا عنه من والديه ، وكان منغمسا فى الشهوات . ويقول إنه اصر على جريمته من يوم تولية السلطان ، لأنه يعتبره خائنا لأمته ، ويتأسف لأن الضربة أخطأته .

وقد سُلم هو وأوراق التحقيق إلى السلطة العسكرية ، التى طلبت ذلك لغرضين فيما يظهر : أولهما ، للسرعة فى الحكم ، وثانيهما للحكم بالإعدام الذى لا تحكم به المحاكم الاعتيادية فى مثل هذه الجريمة . ويجوز

(٧٢) أى الخديو عباس حلمى .

أن ينضم إلى هذين الغرضين غرض البعد عن ضجة المحاماة[٧٣] وعلانية الجلسات .

[ص ١٣٣٨]

أما وقْع هذا الحادث عند الناس ، فإنه يختلف باختلاف عقولهم : فمنهم من استقبحه ، وهم العقلاء من خاصة الناس . ومنهم من استحسنه وتأسف لعدم تمام الفعل ، وهم الجهلاء من العامة الذين لا يدركون حقائق الأمور . ولكن التأثير العام عند الناس أقل بكثير عن تأثير الوردانى . ويمكن أن يكون اختلاف الدين فى الحادثتين سببا فى اختلاف الأثر الناشىء عنهما فى النفوس .

فى يوم حادثة التعدى على السلطان ، تقابلت فى مدخل سراى عابدين مع مستر ستورس ، وتواعدنا أن أتوجه إلى دار الحماية يوم الاثنين الساعة ١١ ونصف ، لمقابلة السير مكماهون .

وفى هذه الساعة وجدت ستورس مشغولا مع الليدى مكماهون وبنته . وبعد هنيهة خرج معهما ، وقدمنى لهما . فوجدت الليدى إمرأة فى نحو السابعة والثلاثين من العمر ، نحيله الجسم ، ولا جمال فيها ، ولكنها خفيفة الروح ، وديعة الجانب . أما بنتها ، فقد جمعت إلى خفة الذات جمال المنظر . وبعد تبادل التحية انصرفتا إلى حلوان . وحضر مستر « شتم »[٧٤] فأخذنى إلى أودة السير مكماهون . فاستقبلنى هذا بالبشاشة والأنس ، وسألنى عما إذا كنت أعرف الإنكليزية ؟ فقلت : لا ، مع الأسف ! قال إنه تعلم الفرنساوية ولكنه نساها بطول عدم استعمالها ! ثم تكلم عن الجو .

---

(٧٣) فى الأصل : المحامات .

٧٤ Cheetham نائب المندوب السامى فى مصر .

واستطرد الكلام إلى الجمعية التشريعية ، فقال : إنها الآن نائمة بسبب الحرب !

قلت : إن نومها قد طال وثقل ! حتى لم يمكن أن أستيقظ منه يوم أن زرتم مكان الجمعية فلم أحظ بمقابلة جنابكم فيها !

فتبسم ضاحكا وقال : إن الوقت كان ضيقا ، لأنه لم يمض بين دعوتى من مظلوم باشا [**ص ١٣٣٩**] إليها وأدائها إلا ساعتان فقط .

قلت :(٧٥) : وهل تستمر نائمة ؟

فقال : إلى أن تنتهى الحرب !

قلت : إن المجالس الشورية فى بلاد الحرب تنعقد !

قال : ولكنها لا تبحث الأشياء إلا ظاهرا فقط ، وفيها يختص بأمور الحرب .

قلت : ولكن هذا الظاهر حرمت منه أيضا الجمعية التشريعية ! لأنها أهملت كما أهمل أخذ رأى أعضائها فى مهام الأمور ، ولو بصفة غير رسمية : فقد تقررت الميزانية ــ وهى من أهم الأمور ــ بدون أن يستشار أحد من الأعضاء فيها . وفى ظنى أن الجمعية تعاون الحكومة على أعمالها ، وتخفف من المسؤولية عنها .

فقال : إن عدم عقدها لم يكن لقلة الثقة فيها ، بل لكثرة اشتغال الوزراء بمهام الأعمال ، وعدم وجود وقت عندهم يتفرغون فيه لمشاركة الجمعية فى أعمالها !

---

(٧٥) فى الأصل : وقلت .

فقلت مبتسما : إن مَنَعت الوزراء كثرة الأعمال من الاشتغال مع الجمعية ، فلا أظن أن هذه الكثرة تمنعهم من مشاورة أعضائها !

فقال : إنى أؤكد لك بأن الحكومة واثقة بالجمعية ، وأنها تشتغل بتوسيع اختصاصاتها .

فقلت : إن كان توسيع الاختصاص بالمعنى الذى قرأناه فى الجرائد ، فهو قليل الأهمية بالنسبة لما كنا نؤمله. ومع ذلك فقد قيدوه بقيود قللت من فائدته ! ومادامت نية الحكومة نحو الجمعية حسنة فمن اللازم إظهار هذه النية لا إخفاؤها !

ثم قلت : إن تقيد(٧٦) المنحة السنوية بتلك القيود من شأنه أن يوهم قلة ثقة الحكومة بالجمعية ، وإن الأوفق أن يُبدأ بالإطلاق لا بالتقيد ، لأنك إذا دعوتنى للتنزه فى هذه الحديقة بشرط ألا أجول إلا فى مكان معين منها ، ولا أتعداه إلى سواه ، شعرت بشىء [ص ١٣٤٠] من الضيق وقلة الثقة ــ بخلاف ما إذا أذنتنى بالتجول فيها بلا شرط ، فإنى أكون كثير المنة والشكر لك ، ولا أشعر بشىء من الضيق .

فقال : ولكنى أخشى إذا أطلقت الأمر لك ، أن تفسد الزهر والثمر ، وتقطع الشجر ، فألتزم بدعوة البوليس لإخراجك ، وهناك يكثر صياحك ، وتعلو الضجة منك !

فقلت : ولكنى عند ذلك أفحم بما فعلت من الأضرار بالحديقة !

جرت هذه المحادثة بين الابتسام والضحك . ثم قال : إن المشروع بيد مستر برنيوت(٧٧) . وامتدحه .

---

(٧٦) فى الأصل : وتقيد .

(٧٧) Sir William Brunyate السير وليم برونييت ، المستشار القضائى الإنجليزى للحكومة المصرية .

فقلت : إنى أعرفه ، واشتغلت معه مدة طويلة قدرته فيها حق قدره . وهو عالم واسع الاطلاع ، دقيق النظر ، ولكنه صلب !

فقال : وصلب علىّ أيضا ! فإنه يعارضنى فيما ليس من رأيه . ثم قال إنه يحب المناقشة فى الأمور ، ومبادلة الآراء فيها ، لأن كل إنسان معرض للخطأ فى رأيه ، والمناقشة تجلو الحقائق ، وتكشف عن الصواب .

قلت : يسرنا أن نرى جنابك على هذه الصفات ، وكن واثقا أننا نسير معك على مبدأ تبادل الثقة وحسن التفاهم والصراحة فى القول والعمل .

علاقتنا حسنة على الدوام . ثم نهض ، فنهضت ، وانصرفت .

وقد تركت هذه المقابلة فى نفسى أثرا حسنا من ذلك الرجل ، لأنى رأيته هشا بشا بساما ، وديع الجانب ، لين العريكة ، حاضر الذهن ، متأنيا فى القول ، ومتعقلا فى الرأى . فإذا انضاف(٧٨) إلى ذلك حسن فى النية ، وقصد للخير ، قوى الأمل فى صلاح المستقبل . والله أعلم .

[ص ١٣٤١](٧٨م)

فى يوم ١٥ افريل سنة ٩١٥

مر بى عدلى باشا(٧٩) نحو الساعة السادسة من مساء هذا اليوم

(٧٨) هكذا فى الأصل ، والمعنى : « أضيف » .

(٧٨م) من هذه الصفحة حتى صفحة ١٣٥٠ مكتوب بخط سعد زغلول .

(٧٩) عدلى يكن باشا ، وزير المعارف العمومية فى وزارة حسين رشدى باشا منذ ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ، ولد فى ١٨٦٦ وتوفى ١٩٣٢ ، وهو ابن خليل إبراهيم باشا يكن.تعلم فى الآستانة ، وعاد إلى مصر ليتعلم فى المدرسة الألمانية ، والفرير ، والجزويت ، ولما أتم دروسه عين فى سنة ١٨٨٠ كاتبا بقلم الترجمة بنظارة الداخلية ، فكاتبا بقلم المطبوعات ، ثم سكرتيرا لنظارة الخارجية ورئاسة مجلس =

بالبيت ، فلم يجدنى ، وسأل عنى فى الكلوب بعض صحبى ، ثم حضر عندى فى الساعة التاسعة والنصف . وفهمت أنه يريد أن يقف منى على ما جرى فى تلك المقابلة . وكان هذا الفهم مطابقا للواقع ، فحكيت له ما جرى تفصيلا ، فقال : أحسنت فيما قلت إلى جناب المندوب ، ولقد تركت عنده أثرا حسنا ، فإنه شافَهَ عظمة السلطان بذلك أمس ، فقال له عظمته : إذا كان الأمر كذلك ، فهلموا نعطى للجمعية ما أردتُ إعطاءه ! فقال له : إن هذا موضوع آخر أو ما فى معناه .

ثم قال لى : إن رشدى باشا وضع مذكرة فى الرد على مذكرة حسن صبرى إلى موسيو « برونيت » ، وجاءت مذكرة وافية . واقتنع برونيت بخطأ صبرى ، ولكنه تشدد فى منع الميزانية من أن يكون رأى الجمعية قطعيا فيها . فقلت : إنى فهمت من جناب المندوب أنه ينبغى اقناع برونيت وبالمناقشة معه .

وقد سألت عدلى عن حال السلطان فقال : إنه سليم ، ولكنه مستاء من مسئلة الوراثة ، فإن ابنه يأبى أن يكون ولى عهد له ! وقد تكلم

النظار فى عهد نوبار ، وعين فى عام ١٨٩٠ وكيلا لمديرية المنوفية ، فوكيلا لمديرية المنيا ، فوكيلا لمحافظة القنال ، فمديرا للفيوم فى ١٨٩٤ ، فمديرا للمنيا ، والشرقية ، والدقهلية ، والغربية ، فمحافظا للقاهرة ، ثم مديرا لديوان الأوقاف ، وعين ناظرا للخارجية فى وزارة حسين رشدى باشا فى ٥ أبريل ١٩١٤ ، وعندما ألغيت وزارة الخارجية بعد فرض الحماية على مصر فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ، عين وزيرا للمعارف العمومية فى وزارة حسين رشدى باشا الثانية التى تألفت فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . وتولى رياسة الوزراء عدة مرات ، الأولى فى ١٦ مارس ١٩٢١ والثانية فى ٧ يونية ١٩٣٠ ، والثالثة فى ٣ أكتوبر ١٩٢٩ ، وتوفى فى باريس فى ١٩٣٣ ، وكان أول رئيس لحزب الأحرار الدستوريين بعد الانشقاق الأول للوفد فى ١٩٢١ .

معه مرارا هو ورشدى فأصر على الإباء كل الإصرار ، وكان آخر الكلام معه اليوم[٨١] . وقد ترك هذا الرفض عظمة الأب ، ورئيس وزرائه ، وأنا ، فى أشد حالات الحيرة ، ولا ندرى ماذا نفعل !

قلت : ومسئلة الوراثة هى بيت القصيد فى التغيير ، فإن لم تنته هى

---

(٨١) ابن السلطان حسين كامل هو الأمير كمال الدين حسين . وقد ظل على رفضه العرش حتى وفاة والده يوم ٩ أكتوبر ١٩١٧ . فقد كتب إلى والده كتابا فى ٨ أكتوبر ١٩١٧ ــ قبل وفاته بيوم واحد ــ يعتذر فيه عن عدم قبول وراثة العرش ، وقد قال فيه : « يا صاحب العظمة السلطانية .

« ذكرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية ، وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية ، من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه . وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم لى عن رغبتكم فى أن تكون وراثة عرش السلطنة المصرية منحصرة فى الأكبر من الأبناء ، ثم بعده لأكبر أبنائه ، وهكذا على هذا الترتيب .

« وإنى لأذكر لعظمتكم هذه الثقة الكبرى ، لما فى هذه الرغبة من التشريف لى ، على أنى مع اخلاصى التام لشخصكم الكريم وحلمكم الجليل ، مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكننى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى . لذلك أرجو من حسن تعطفاتكم أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصرية بصفتى ابنكم الوحيد . وإنى بهذه الصفة ، أقرر الآن بتنازلى عن جميع ذلك ، وانى لا أزال لعظمتكم السلطانية النجل المخلص والابن الكثير الاحترام .

« كمال الدين حسين »

« القاهرة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩١٧ .

(انظر : الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، الجزء الأول ص ٣٤) .

أيضا على ما نروم كنا من الخاسرين . وقد انطلقنا إلى منزل أدولف[٨٢] قطاوى ، حيث كنا مدعوين لسهرة ، فمضّينا جزءا طويلا من الليل . وفى العودة ، ركبت مع رشدى بعد أن أركب معه عدلى ، وسألنى عما سألنى فيه عدلى ؟ فأجملت له الحكاية ، وأحلته فى التفصيل على عدلى . فقال : ويمكنك أنت أن تقوم بالتفصيل لى . فقلت : إذاً فابعث لى آت إليك ! وذهب إلى أهله فى نحو الساعة الثالثة .

[ص ١٣٤٢]

فى يوم ٢٠ أفريل سنة ١٩١٥ الساعة الرابعة بعد الظهر .

عدت الآن من زيارة السلطان فى عابدين ، حيث جلست بحضرته من الساعة ٢ لغاية الساعة ٣,٣٠ ونصف . وقد دار الكلام على موضوعات شتى ، أهمها أنه اعتذر عن تسميتى بشيخ العصبة ، بأن هذه تسمية مزح ومباسطة ! وقال كذلك فى تسميته حسن صبرى تلميذا ، وأضاف إليه إنه كان يعلم أنه يتردد علىّ . فأفهمته الحقيقة .

ومن هنا ، ذكر أن الإنكليز متساهلون معه فى كل شىء ، إلا فى توسيع اختصاص الجمعية التشريعية . وأنه وجد برونيت مملوءا من أفكار لا يتأتى أن يكون فهما إلا من مسلم ملم بأمور الشرع ! وأنه علم بأن الذى دس عليه هذه الأفكار إنما هو حسن صبرى . وأنه تكلم مع صدقى فى شأنه ، فتبرأ منها . ولكن يظهر أن السلطان لا يصدقه ، وأنه أنذره أن يعتدل فى سيره .

واستطرد من هنا إلى اقتراح حسن صبرى امتحان تلامذة معهد اسكندرية مع مدرسة القضاء ، وأنه لام على صدقى لوما عنيفا ، ولم يجد

---

(٨٢) قراءة تقريبية .

هذا عذرا يقدمه سوى أن حسن صبرى عضو مثله فى المجلس الأعلى .

وتحدث السلطان عما[٨٣] ينوى ادخاله فى المعارف من الاصلاحات ، كتمديد مدة الدراسة الثانوية ، وتوحيد لغة التعليم ، وتنظيم المدارس على وجه يوسع مدارك التلامذة ، ويجعل منهم فى المستقبل رجالا قادرين على خدمة بلادهم . ومنها أنه ينوى أن ينفذ فكرة تعدد المعاهد الدينية بالتدريج . ومنها أنه طلب من مكماهون أن يسأله رأيه فى المصريين الذين يريد أن يتعرف عليهم ، وأن يدعوهم إلى مائدته ، وأن لا يقتصر فى ذلك على الاسترشاد برأى استورس وغيره . ومنها أنه فى غاية الامتنان من عدلى ومن رشدى . ومنها أنه إذا حدث تغيير[٨٤] فى الوزارة ، لا يترك التعيين إلى الإنكليز .

[ص ١٣٤٣]

فى ٢١ أفريل سنة ٩١٥

انقطعت من مدة عن التردد على رشدى باشا ، لأن لطفى بيك السيد كان عندى ذات يوم ، وأراد مقابلته ، فبعثت الخادم إليه ليرى ماإذا كان فى الإمكان مقابلته ، فعاد مخبرا بأنه مشغول ، من غير أن يحدد زمنا آخر ! فأخذت ذلك عليه .

ويظهر أن لطفى قابله بعد ذلك ، وذكر له هذه المسئلة . ومضت بضعة أيام حتى قابلنى فى ميتم عبد الله بيك الطوير ، وقال إن خادمى كذب عليه ! وطلب أن أرسل إليه خادمى للتحقيق . وعند خروجنا من الخيمة ، أخذ يلعن ذلك الخادم أمام المودعين ، فأرجعته عنه .

---

(٨٣) قراءة اجتهادية مستقاة من السياق ، وقد قرأ : فبهت السلطان بحق .

(٨٤) قراءة اجتهادية .

ولكنى أخذت عليه تهاونه أولا وثانيا ، فانقطعت عنه . وقد حضر لطفى من يومين ، ودعوته للغداء عندى أمس ، فعاتبنى رشدى فى التلفون على عدم دعوته معه . فقلت : إنى مستعد لها إذا تنازل وقبل .

ثم حضر بعد الغداء ، وقال لعلوى باشا : إنى قدمت الاستعفاء من رئاسة الجامعة[٨٥] ، لأن البرنس فؤاد أثقل علىّ الكلام فى شأنها ، واتهمنى بأنى أنا المانع له من العودة إليها ، فأردت أن أبرهن له على خطئه[٨٦] باستعفائى ، حتى يخلو المكان له .

وطلب منى أن أساعده[٨٧] على العودة إلى الرئاسة ! فقلت : لا يمكننى ذلك ، خصوصا وأنه كان يريد العودة لاخراج علوى[٨٨] وبعض الأعضاء . قال : وعرضت عليه استبقاء علوى فلم يقبل .

فقلت لعلوى : إذا كان الأمر كذلك ، فما عليك إلا أن تقدم الاستعفاء رسميا للمجلس وهو يرفضه ، وحينئذ يكون الباشا عمل ما عليه للبرنس ، وأنتم ما عليكم للجامعة !

---

(٨٥) كان الأمير أحمد فؤاد قد قدم استقالته من رياسة الجامعة ، ووافق مجلس الجامعة على استقالته فى ٢٠ مايو ١٩١٣ ، وانتخب حسين رشدى باشا مكانه . (د. عبد المنعم الجميعى : الجامعة المصرية القديمة ، نشأتها ودورها فى المجتمع ١٩٠٨ ــ ١٩٢٥) .

(٨٦) فى الأصل : خطأه .

(٨٧) أى يساعد البرنس أحمد فؤاد .

(٨٨) الدكتور محمد علوى باشا (١٨٤٧ ــ ١٩١٨) كان عضوا بالجمعية التشريعية ومجلس المعارف الأعلى ، وعين مراقبا للجامعة المصرية الأهلية سنة ١٩١٤ . (المزيد من المعلومات انظر حاشيتنا رقم ٣٢ مكرر على الجزء الثانى من مذكرات سعد زغلول)

وانتهى الحديث وانفض الجمع بعد أن دعوتهم للعشاء عندى غدا .

فهمت من عدلى فى يوم الاثنين الفائت أن البرنس كمال الدين لا يرغب أن يكون ولىّ عهد لأبيه ، وأن السلطان مرتبك فى ذلك ، والوزراء فى حيرة ، ولا حيلة لديهم إلا ترشيح البرنس فؤاد ! فقلت : ما أتعس حظ هذه البلاد[٨٩] !

[ص ١٣٤٤]

قابل لطفى بيك السيد السلطان ، ففاتحه فى مسئلة إنشاء جريدة إسلامية ، فوافقه على الفكرة . وسمعت بعد ذلك أن هناك مشروعا من هذا القبيل .

أخبرنى لطفى بيك أنه فى حالة الاستغناء عن حسن بيك جلال[٩٠] ، يراد تعيين علام مدير جرجا مكانه ، ثم عطية حسنى مكانه ، ثم لطفى مكان الأخير !

وأخبرنى بعد ذلك أن عبد الخالق باشا[٩١] قال إلى زميليه رشدى وعدلى : إنه لا يمكنه أن يروج ترشيح لطفى إلى وظيفة فى محكمة الاستئناف لا فى القضاء ولا فى النيابة !

يوم ٢٣ أفريل سنة ١٩١٥

---

(٨٩) كأنما كان سعد زغلول يتنبأ بما سيكون من صدام بينه وبين أحمد فؤاد بعد أن يتولى العرش سلطانا فملكا ، وبما قام به الملك فؤاد من انتهاكات للدستور ، كانت سوابق بنى عليها ابنه الملك فاروق لواحق ! وانتهى الأمر بقيام ثورة يوليو ، وأنهاء صفحة القائمة العلوية من البلاد . وانهاء صفحة الديمقراطية الليبرالية أيضاً !

(٩٠) حسن بك جلال مستشار فى الاستئناف .

(٩١) عبد الخالق ثروت باشا ، وزير الحقانية .

وجدت رشدى مع روكسيرا[٩٢] فى منزله يتحدثان فى مسئلة وراثة ملك مصر ، وقال رشدى : إن البرنس كمال الدين يأبى كل الإباء أن يخلف والده ، متعللا بكونه غير كفؤ لهذه الوظيفة السامية . وقد حاول والده إقناعه فلم يفلح ، وتكلمت أنا معه كثيرا بلا فائدة ، وهو مصمم كل التصميم على رأيه ، ولا يمكن لأحد أن يثنيه عنه . وبناء على ذلك يلزم قطع النظر عنه ، وتوجيه النظر إلى غيره ، وليس أمامنا من بعده إلا البرنس فؤاد ، فإن مات عن غير عقب أتى بعده البرنس يوسف ، ثم البرنس عمر طوسون . وفى أثناء الحديث ، دخل عدلى باشا ، وبعد ذلك ثروت باشا .

وكثر الأخذ والرد فى هذه المسئلة . وقد اتفقت كلمة الحاضرين على عدم استحسان تعيين فؤاد ، كما اتفقت آراؤهم على لزوم تعيينه رعاية لخاطر أخيه ، وعدم خروج السلطة من عائلة إسماعيل مرة واحدة ــ وما كنت مرتاحا كل الارتياح لهذا الرأى ــ واخراج عائلة مصطفى فاضل باشا ، لعدم أهلية واحد منهم ، وعائلة حليم باشا ، للسبب السياسى . فقلت : وما قولكم فى عائلة توفيق ؟ فاتفق الكل على عدم حرمانها ، وعلى كون دورها [**ص ١٣٤٥**] لا يأتى[٩٣] إلا آخر فرع اسماعيل .

وكان رشدى يميل إلى أن يكون للسلطان حق اختيار من يخلفه ! فاعتُرض عليه (أولا) بأنه يُخشى من التأثير على إرادته . (وثانيا) بأنه يجوز أن لا يختار من يخلفه لسبب من الأسباب ، فلزم وضع قاعدة لهذه الحالة ، وما يصلح أن يكون قاعدة لها لا مانع من أن يكون قاعدة فى

---

(٩٢) هو : شارل دى روكاسيرا ، المستشار القضائى لنظارة المالية .

(٩٣) عبارة : « لا يأتى مكررة، إذ وردت فى أخر صفحة ١٣٤٤ » .

جميع الأحوال . ولكن رشدى كان ــ رغم ذلك ــ يميل إلى هذا الرأى حتى تخيلت أنه رأى الإنكليز ! .

وقد أبديت الرأى بأن الجمعية التشريعية تنتخب من يصلح من عائلة محمد على ، فى حالة ما إذا مات السلطان عن غير عقب ذكر ! فقالوا : إن الإنكليز لا يوافقون على ذلك .

وقد جرى الكلام أيضا فيمن يكون وصيا ، فى حالة ما إذا كان وارث السلطنة قاصرا ؟ فاختلفت الآراء ، وجاءت الساعة الواحدة قبل تقريرها ، وانصرفت

وقد رأيت من عدلى حرصا على الاستقلال ، ورأيت رشدى متساهلا فيه نوعا : وجرى بينهما شيء من المناقشة يشف عن وجود نوع من التنافس بينهما . ولم تعجبنى مناقشة ثروت معى ، فإنه كان يلوح من خلالها شيء من الحقد ، والحرص على تخطئتى .

يوم ٢٤

وقد دعيت لتناول العشاء على المائدة السلطانية هذا المساء ، ووجدت مدعوا معى عاطف بركات ، وعبد الرحيم أحمد ، ناظر مدرسة المعلمين الناصرية ، والشيخ محمد حسنين ، مدير إدارة الأزهر . وقد دعيت إليه أولا وحدى ، ثم اجتمعنا كلنا على المائدة ، ثم جلسنا معه نحو ساعة . ثم صرف الكل ، وجلس معى ساعة أخرى .

وموضوع الدعوى أنه يريد أن يعمل مسابقة بين بعض تلامذة الأزهر والمدرستين : القضاء والمعلمين ، فى الشعر والخطابة والإنشاء ، بحيث أن كلا من هذه المعاهد يعين عددا من تلامذته للمسابقة فى هذه الفنون ، ويعقد لذلك احتفال فى عابدين ، وتعين جائزة لكل منهم . فاستحسنت هذه الفكرة . وتقرر أن تحصل يوم ١٩ مايو .

وقد جرى الكلام فى موضوعات شتى : منها أنه كان يريد العفو عن الذى اعتدى عليه ! ولكن السلطة العسكرية عارضت ! [ص ١٣٤٦] ومنها الاستغناء عن حسن جلال لبلوغه سن الستين سنة . وقد امتدحته له ، ورغبت أن ينتفع منه فى وظيفة أخرى ، فلم يجب ! ولما اعترضت عليه فى تعيين سعيد باشا قيما على سيف الدين ، تنصل من تعيينه ، وقال إن تعيينه كان بمساعى آخرين ، وأن ظروف الأحوال ألجأته إلى فعل ذلك أول ارتقائه ، وأن الذين أعانوه أصبحوا على ما فعلوا نادمين ، وأنه يريد أن يصلح التعليم العام ، والحربية ، والإدارة . ونبه أن لا يحصل تغيير فى الأمور الإدارية إلا بإذنه .

وهنا تظاهرت بالعبط(٩٥) وكررت قوله إنه نبه أن لا يحصل تغيير من غير رأيه ! فكان ينبسط من اظهار قوته على إصدار هذا التنبيه ، وينهض ، ويرفع يديه ، ويتلوى إعجابا بتلك الفكرة التى أظهرت له مزيد إعجابى بها !

وقال لى : إنه علم من رشدى أنى حضرت مداولتهم فى الوراثة . وأن ابنه متعفف عن الملك ، ولا يمكن استرضاءه بحال من الأحوال . وإنه لا يعارض فى ادخال عائلة عباس ، لأنه لا يحب الانتقام ، خصوصا وهم لم يفعلوا شيئا . فأكبرت هذه النزاهة إكبارا رنح معاطفه ، ونفخ فيه العُجْب بنفسه ، والارتياح لى .

وقال : إنه لابد من تعيينه بعض المديرين ، ولكن بعد انتهاء الحرب !

فقلت : لا علاقة لهذا التعيين بالحرب ! فتمتم وغمغم !

---

(٩٥) هكذا تقرأ .

وامتدح سعيد زغلول لمعرفته بالعربية والترجمة . والنظر فى عشم رشدى وعبد الخالق باشا لطفى بيك ــ فيما سبق ــ بوظيفة سامية فى القضاء والإدارة ، ولكنه رضى بعد ما تقدم ذكره أن يكون رئيس نيابة فى بنى سويف .

ولما علمت ذلك لم أستحسنه ، وشافهته فى ذلك ، فاعتذر بعدم العمل وضيق الحال ! فعذرته . وقد قابلت رشدى بعد ذلك ، وقال إنه لم يقبل بخروج حسن جلال من الاستئناف إلا ليخلو إلى لطفى مكان فى النيابة ، وأنه قبل هذه الوظيفة .

وقد جمعنا مجلس فى الكلوب ، فقلت إلى عبد الخالق(٩٦) : إنه تقرر خروج أربعة من الاستئناف ، وهم الذين سيبلغون سن الستين . فقال : لم يتقرر شىء من ذلك . وجرت مناقشة خفيفة ، اشتديت فيها نوعا على عبد الخالق اشتدادا لمت نفسى عليه بعد ! [ص ١٣٤٧] وفهمت منه(٩٧) ومن عدلى بعد ذلك ، أن رشدى باشا لما عرض أمس على السلطان تعين لطفى ، قال : تمهلوا يوما لعلى أعينه فى وظيفة عندى !

---

(٩٦) عبد الخالق ثروت باشا ، وزير الحقانية ولد فى ١٨٧٣ وتوفى فى ١٩٣٢ ، تخرج من مدرسة الحقوق مع محمد فريد ، وعين الاثنان فى قلم قضايا الدائرة السنية ، ثم انتقل إلى وزارة الحقانية فى وظيفة كاتم سر لجنة المراقبة القضائية ، وسكرتير المستر سكوت مستشار الحقانية ، وفى نوفمبر ١٩٠٧ عين مديرا لأسيوط ، وفى عام ١٩٠٨ ، عين خلفا للمستر كوربت Mr. Corbet النائب العمومى ، فكان أول مصرى يشغل هذه الوظيفة ، واستمر فيها حتى عام ١٩١٤ حيث اختير وزيرا للحقانية فى ٥ أبريل ١٩١٤ ، واستمر فى منصبه فى وزارة ١٩ ديسمبر ١٩١٤ برياسة حسين رشدى باشا ، واشترك فى الحركة الوطنية وكان له دور فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، وعين وزيرا للداخلية فى مارس ١٩٢١ ، فرئيسا للوزراء فى ٢٧ يونية ١٩٢١ .

(٩٧) مكررة فى الأصل : أى فى نهاية الصفحة السابقة وبداية هذه الصفحة .

فلذلك توقفت حركة الاستئناف قلت : أحب إلى لطفى المعية ، وإلى الاستئناف بقاء جلال فيه . وانفض الجمع .

إقترح عدلى باشا على مجلس ادارة الجمعية[٩٨] النظر فى نظام ادارتها ، والتعليم فيها . وفعل ذلك أثناء انعقاد جلسة سابقة ، وأراد تعيين لجنة على الفور للنظر فى هذا الاقتراح ، وعارضت النظر فيه بحجة كونه لم يكن فى جدول أعمال تلك الجلسة ، وتأخر إلى جلسة أخرى تعينت فيها لجنة منه ومن عبد الخالق وحسن عبد الرازق وعلوى وطلعت حرب وشكرى وكاتب هذه السطور .

واجتمعت هذه اللجنة عندى لأول مرة اجتماعا امتد إلى الساعة الثانية بعد نصف ليل يوم الخميس الفائت ، وانتهت المدولة بميل اللجنة إلى أن يبقى التعليم فى مدارس الجمعية على ما هو إلى نهاية السنة الثانية ، وبعد ذلك لا يكون التعليم المجانى إلا إلى عشرين فى المائة فقط ، ومن زاد على ذلك يرفت من المدرسة لكى يعود إلى بلده ، أو يدخل فى مدرسة صناعية . وتقرر أن يكون للتعليم مدير مأجور ، ولجنة فنية إدارية يُعرض عليها كل ما يتعلق بفن التعليم وإدارته .

ويوم أمس انعقدت اللجنة فى محل ادارة الجمعية ، ولم يحضرها طلعت حرب . وقد جرت المناقشة فى مسألة التعليم ، ورأيت (أولا) أن لا يبتدأ بتنفيذ الفكرة التى ملت إليها ألا فى حينه وأعدت أموره[٩٩] ثم عرضت أنه عوضا عن أن الجمعية تنشىء مدرسة أو أكثر صناعية ، تتفق مع مجالس الحكومة أو المديريات الصناعية على قبول تلامذتها . فوعد عدلى أن يفحص ذلك فى وزارته .

---

(٩٨) يقصد : « الجمعية الخيرية الإسلامية » .

(٩٩) قراءة تقريبية ضعيفة .

وقد تبين ـ من شواهد كثيرة ـ أن عدلى يريد (أولا) وبالذات تحويل التعليم الذى تقوم الجمعية به إلى تعليم كتابى ، وإن لم يمكن فإلى تعليم صناعى . وأنه يفعل ذلك تمهيدا لتغيير يراد إعماله فى وزارة المعارف ، حتى يكون عمل الجمعية حجة[١٠٠] فيه ـ لأنه كان شغوفا جدا بتقرير المسئلة نهائيا ، لا على سبيل التجربة ! وكان يضيق صدرا من كل ما يعارض فكرته .

[ص ١٣٤٨]

وبعد انتهاء هذه الجلسة ، جرى الكلام فى وزارة المعارف . فقال : هل هى سيئة النية إلى هذا الحد ؟ قلت : إن سوء نيتها فيما سبق واضحة جدا . وأشرت إلى ما كان من إلغاء الإرسالية ، والتلاعب بمدرسة المعلمين ، والمعارضة فى ترجمة الكتب الدراسية ، والحجر على تعلم اللغة الفرنساوية إلا اعتبارا من السنة الثالثة من التعليم الثانوى ، وإلغاء إرسالية الحقوق ، وعدم تعيين الوطنيين فى مدرسة الحقوق إلا بصفة مساعدين مع كون شهاداتهم أرقى ، وجلب مدرسين أجانب أقل كفاءة منهم ، مع وجودهم . وعدم التعليم باللغة العربية فى المدارس العليا .

وأشرت إلى كل ذلك أمام عبد الخالق[١٠١] فلم يقل شيئا ! وامتقع لون عدلى ، وازداد اصفرارا ، وقال إنه لا سبيل إلى المناقشة فى هذه التفاصيل ! قلت : إنها أمور هامة لا تقبل المناقشة . وتوجهنا معا إلى الكلوب ، وكان موضوع حديثنا الإعجاب بأميال السلطان[١٠٢] ، وترفعه عن المعارضة فى أيلولة السلطة إلى نسل عباس بعد انقراض عقب[١٠٢م] غيره ، والسلام .

---

(١٠٠) أى ذريعة لتنفيذه .

(١٠١) عبد الخالق ثروت باشا .

(١٠٢) قراءة تقريبية :

(١٠٢ م) فى الأصل : عاقبة ، والعَقِب هو الولد .

٢٠٦٥

في يوم الأربعاء ٢٨ أفريل ، في نحو الساعة السادسة مساء ، كنت في الكلوب ، فتكلم معي حسن صبري بالتليفون يدعوني إلى العشاء عند السلطان في الساعة ٨,٠٠ . فقال لي(١٠٣) : إنه فكر في تشجيع اللغة العربية ، لا لغرض سياسي ، ولكن لغرض النهضة بالأمة العربية . ولذلك قررت جوائز لمن يجيدون الخطابة والإنشاء والشعر ، ولكن رشدي باشا يرى الأولى العدول عن الشعر ، لأن مراقبة التسابق فيه غير ميسورة .

قلت : الحق معه ، ويمكن استبداله بفن آخر ، كآداب اللغة !

قال : وقد إخترت أن تكون أنت رئيس اللجنة ، وفي ظني أنك لا تأبى ذلك ! قلت : إني أتشرف بتنفيذ كل فكر صالح يقوم بخاطر المولى الكريم . قال : ولكن الخوف منك كثير ، لأنك ميال إلى مدرسة القضاء ، وأولياء المعاهد الأخرى يخشون منك هذا الميل . قلت : إن كانت عدالتي لا تزال خافية بعدما تعينت في المحاماة وفي القضاء وفي الوزارة ، فعلى الفهم العفاء ! والمسئلة مهمة لكونها صادرة من مولاي ، ولكن لا أهمية لها في حد ذاتها ، وبالنسبة لأربابها ، إذ لا أفخر بأن أكون رئيسا مع هؤلاء الخائفين .

[ص ١٣٤٩]

ثم حضر العشاء ، ودعينا إليه ، وكان الحديث عليه تافها . وقد نبه(١٠٤) على متولي أمر النظام في الياوران ببعض أمور تتعلق بالخيول . ولما فرغنا من الطعام عدنا إلى مكاننا الأول . وأخذ يمن ـ على عادته ـ

(١٠٣) أي السلطان .

(١٠٤) أي السلطان حسين كامل .

بالإحسان الذى يوليه ، والزيارات التى يتابعها فى المعاهد العلمية ، والمقاصد التى يسعى إليها فى اصلاح المعارف والتربية العامة ، وفى النوايا التى يقصدها فى تدبير الشؤون وتنظيم الأمور .

وقد ندد ــ أثناء كلامه ــ بالمدرسة الحربية ، ونظامها ! فقلت : إذا أذن لى مولاى ، رجوته أن لا يجاهر بمثل هذه الملاحظات ، حتى لا يقزز الحماية الإنكليزية . وأن يبديها لهم بينه وبينهم ، لأنى أعلم من حالهم أنهم لا يحبون الجهر بنقد أعمالهم . قال : كذلك أفعل .

وقد طعن طعنا شديدا على قلينى باشا ، ونبه على خدمة السراى بأن لا يمكنوه من دخولها ، لأنه تجاوز حده ، وحاول أن يكون أمة فى أمة ، حاول أن يجعل للأقباط وجود مستقلا عن المسلمين ، وأن يجعلهم أمة على حدتها فى قلب الأمة المصرية . وهذا ما لا أسمح به ، وأعمل غاية جهدى فى منعه ، فالكل مصريون ، ومصالحهم واحدة . واستمر يتكلم على هذا المنوال مسافة طويلة ، ويعيد ما أبدى .

ولكنى قرأت فى جرائد أول أمس ، أن قلينى باشا كان فى من تشرفوا بالمقابلة بعد هذا الحديث ! قال : وغرضى أن ألفت الأذهان إلى رفع شأن الأمة العربية ، وتوحيد كلمتها ، والبدء[١٠٥] من أنفسنا فى توجيهها نحو غرض واحد ، قبل أن يحملنا الغير عليه .

قلت : إن ذلك حسن ! ومما يدخل فى هذا الباب تشجيع مدرسة الإرشاد الإسلامية . قال : ولكن الشيخ رشيد[١٠٦] مذبذب ! قلت : إنه نافع فى هذا الغرض ، ولابد أن يستعمل الإنسان لكل شىء آلته. قال : سأنظر فى مسألته بعناية خاصة .

---

(١٠٥) فى الأصل : « والبدىء » .

(١٠٦) هو الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ــ ١٩٣٥) واحد من رجال الإصلاح الإسلامى ، ولد ونشأ فى « القلمون » بطرابلس بلبنان ، وتعلم فيها . =

ثم قال : إنه محزون على خيرت[١٠٧] حزنا شديدا ، ولا يدرى كيف يعوضه إذا مات . ويكى . فقلت : وقا الله مولانا شر ما يكره ، ورزق المريض عاجل الشفاء . وانصرفت إلى مستشفى ملت ، حيث وجدت خيرت متألما جدا ، وكان يرفع تأوهات شديدة تذيب الأكباد . وبعد ذلك انصرفت ، ومرضت .

وبعد الظهر حضر عاطف ، وأخبرنى بأن السلطان عدل عن تأليف تلك اللجنة[١٠٨] ، ونشر هذا الخبر « المؤيد » ، وأكده حسن عبد الرازق ، رأفة بالأزهريين ـ كما قيل ـ ففهمت أنها إشارة من دار الحماية . [ص ١٣٥٠] وإن كان عدلى يقول : إن السلطان أخبره ـ صبيحة تلك الليلة ـ أنه بعد أن فكر فى الأمر ، عدل !

عجبا ! يفكر فى الأمر بعد أن يمضيه ، ويمضيه قبل أن يفكر فيه ! ولم يرد‌نى إلي الآن منه خبر .

= ورحل إلى مصر ١٨٩٧ ، واتصل بالشيخ محمد عبده ، وتتلمذ له ، وأصدر مجلة « المنار » لبث آرائه فى الإصلاح الدينى والاجتماعى. ورجع إلى دمشق فى أعقاب اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ، واضطر إلى العودة إلى مصر لينشىء مدرسة الدعوة والإرشاد الإسلامية . وفى أيام حكم الملك فيصل قصد سورية ، وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى ، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٩٢٠ ، فأقام فى مصر ، ورحل إلى الهند والحجاز وأوروبا ، وعاد ليستقر فى القاهرة ، ثم توفى أثر حادث ، ودفن بالقاهرة ، أشهر آثاره مجلة « المنار» (٣٤ مجلدا) و« تفسير القرآن » (١٢ مجلدا) ولم يكمله . و« تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » . وللأمير شكيب أرسلان كتاب فى سيرته .

(الموسوعة العربية الميسرة جـ ٢) .

(١٠٧) قراءة تقريبية .

(١٠٨) يقصد : لجنة تشجيع اللغة العربية المشار إليها .

٢٠٦٨

وقد توجهت يوم الأحد ٢ مايو إلى السراى ، لأشكر التفاته إلىّ بالسؤال عن صحتى . فلم أتمكن من مقابلته ، وتركت خبرا عند سعيد ذى الفقار ، ولم يرد إلىّ منه جواب ! وفى هذا اليوم ، توجهت إلى دار الحماية للتشكر على الدعوة ، فقابلت استورس ، وأخبرته بموضوع زيارتى ، ولم ألبث إلا قليلا ، ثم انصرفت غير ممنون من هذه الزيارة ، لأن الاستقبال كان باردا .

٣٧

الكراسة الرابعة والعشرون

الجزء الثانى

2071

الكراسة الرابعة والعشرون
الجزء الثانى

من ص 1159 - ص 1270
(عدا تنازليا)

من يوم 17 مايو سنة 1915
إلى يوم 22 سبتمبر 1915

محتويات الكراسة :

- أحلام سعد زغلول .
- استقالة اسماعيل صدقى باشا من وزارة الأوقاف .
- ترشيح سعد زغلول لوزارة الأوقاف .
- اهتمام سعد زغلول بتعيينه وزيرا للأوقاف ، ومحاسبته لنفسه على هذا الضعف .
- معارضة اللورد كتشنر فى تعيين سعد زغلول وزيرا للأوقاف .
- مقابلة سعد زغلول مع مكماهون يوم ٢٢ مايو ١٩١٥ .
- زيارة حسين محرم باشا لسعد زغلول .
- حديث ستورز ، السكرتيرالشرقى ، مع سعد زغلول يوم ٢٤ مايو ١٩١٥ ، وأسرار خصومة كتشنر لسعد زغلول .

- القبض على محمد أمين يوسف ، والد مصطفى وعلى أمين .
- الإنعام على سعد زغلول برتبة الامتياز التى تخوله حق حمل لقب « صاحب معالى » .
- وفاة محمود رياض باشا .
- اقتراح سعد زغلول انشاء عصبة أمم فى ٣٠ يونيو ١٩١٥ .
- الاعتداء على حياة السلطان حسين كامل فى ١١ يوليو ١٩١٥ فى الاسكندرية .
- حملة اضطهاد ضد الوطنيين .
- سعد زغلول يتحدث عن ميل مفاجىء للنساء .
- مؤامرة المنصورة .
- مقابلة سعد زغلول مع السلطان حسين كامل للدفاع عن الحريات .
- سخط سعد زغلول على الإرهاب الذى تمارسه الحكومة ، ونقده لها ، وتدخله للإفراج عن الأبرياء .
- غضب السلطان على سعد زغلول لدفاعه عن المعتقلين والسعى فى الإفراج عن عبد اللطيف المكباتى .
- الاعتداء على إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف ، يوم ٤ سبتمبر ١٩١٥ .
- مهاجمة سعد زغلول للحكم العرفى .
- بناء منزل مسجد وصيف .
- خلاف سعد زغلول مع عديله محمود صدقى باشا .
- فساد جمعية العروة الوثقى التى يرأسها محمد سعيد باشا .
- قضية عزيز بحرى والكيشارية .
- القطيعة بين السلطان حسين وسعد زغلول .

[ص ١١٥٩]

١٦ مايو (سنة ١٩١٥)[1]

أرقت الليل طوله ، ولم أنم إلا قليلا . والفكرة التى أقلقتنى هى : ماذا يكون جواب لوندرة فى مسئلة تعيينى ؟ وقد كنت لاقيت عدلى فى الكلوب أمس ، فأخبرنى وهو ذاهب إلى عابدين ــ من غير سؤال ــ أنه لم يعلم شيئا جديدا ، لأن مكماهون مسافر ، ولم يقابل رشدى إلا فى جمع حافل .

وما كنت أفهم معنى للقلق الذى استولى على فى الليل ، لأنى أرى اثم المنصب أكبر من نفعه ، ولازلت على هذا الرأى . وقد رأيت منامين عندما[2] كنت أقفل عيونى ويغالبنى النوم ، أولهما: كأنى فى مسجد ، وفيه خلق كثير ، من بينهم فتحى ، ورأيته سلم على شيخ ، كان فقيها فى بلدنا ثم توفى من زمان مديد ، ولم يخطر اسمه ولا رسمه على بالى من نحو ثلاثين سنة . فأقبلت عليه ، وتكلمت معه بكلام لا أعى منه إلا أنه كان

(١) أضفنا « سنة ١٩١٥ » لأنها بداية كراسة جديدة . ويلاحظ أنها أجندة فرنسية .

(٢) فى الأصل : عند .

فصيحا[٢] جدا ، وبليغا للغاية . ثم رأيت كأن هذا الرجل يقبلنى[٣] وأنى أتشكر له بقولى : أيها المالك العادل ، قد آويتنى ، وكنت أريد أن أقول أكرمت مثواى ، ولكن العبارة هذه غاب نصها عنى ، فقلت بدلها : آويتنى ! ورأيت أنى كررت هذه الجملة بصوت يتفاوت رقة وحسن أداء . وتيقظت وأنا أردد هذه الجملة !

أما الثانى ، فقد رأيت أنى ذهبت مع شخصين إلى الأسكندرية ، وزرنا بيت محمد باشا سعيد فى حارة غريبة ، وكان مريضا ، واستأذنا لعيادته ، فقيل لنا : إن عنده اسماعيل باشا أباظة . وغاب الجرسون علينا ، واشتغلت بمناقشة بعض الحاضرين فى موضوع ، لا أتذكر إلا [ص ١١٦٠] أنه كان مهما . ثم لم أر صاحبىّ ، وبحثت عنهما ، وما اهتديت إن كانا صعدا لدى المريض أو خرجا من المنزل . فسألت رجلا ، كأنه هندى ، جالسا فى ناحية . وفى أثناء سؤالى حضر عاطف ، وسار أمامى ، وقاطعنى الحديث ، فغضبت وقلت : ألم يكن الأليق أن تنتظر حتى انتهى من كلامى مع هذا الرجل ؟ فقال لى مستهزءا : يا سيدى ![٤] فتكدرت من هذه الكلمة فى النغمة التى تأدّت بها ، وهز الأكتاف الذى صحبها . وأخيرا رأيت خادمة مليحة الوجه ، جالسة جلوس الفلاحات ، والدموع تسيل منها . نسألتها عن سعيد باشا ، فقالت : إنه مريض ، ومصاب ، ومصاب بالنقطة[٥] ، ولا يمكنه أن يرى أحدا ! فتأسفت لحاله ، وأردت الخروج ، وبحثت عن عصاى[٦] ،

---

(٣) قراءة اجتهادية .
(٤) بالعامية ، وتعبر عن عدم الاهتمام .
(٥) النقطة بالعامية معناها : الشلل .
(٦) فى الأصل : عصاياى.

فأعطيت عصا جميلة جدا ، مذهبة تذهيبا وهلجا ، وعلى شكل غاية فى الجمال ، فقلت : آخذها بدل عصاى ، لأن صاحبها هو الذى أخذها . وكان بعض الحاضرين استنكر ذلك منى ، فقلت : على أنها فى يدى تبقى مؤقتة لحين أن ترد إلى عصاى ، ومع ذلك فأنا معروف ، والمنزل الذى وجدتها فيه معروف ! وتيقظت !

وقد قصصت هذين المنامين على حرمى فى الصباح ، فقالت : سيأتيك خير كثير ! وكنت قبل هذين المنامين ، أتمنى لو رأيت رؤيا تخص المسئلة التى تشغلنى . فاللهم خيرا ! فاللهم خيرا !

[ص ١١٦١]

وقد استفهم منى تليفونيا لطفى بك السيد عن مسئلة صدقى(٧) ؟ فقلت : لم يتم شىء فيها ، والغالب خروجه . فسألنى عما إذا كان هناك شىء بالنسبة إلىَّ ؟ فقلت : إلى الآن لم تحصل مفاتحة ، وإذا حدثت كنتَ أنت أول من أخبرك به . ولكنى شعرت من هيئة سؤاله أنه عالم من مصدر موثوق به ! وتأسفت لعدم إخباره ، ولكنى اطردت معه خطة الكتمان !

ولقد حضر اسماعيل صدقى بالكلوب أمس ، وكان متغيرا ، يعلوه نوع من الكآبة والحزن . فجلس برهة ، ثم خرج مع عبد الخالق ثروت ، الذى كان يظهر السرور ! وقد أكد الكثير أنه وسط للسلطان كثيرا من النساء والرجال ــ بينهم سنية خانم وقنصل فرنسا ! وتواتر على

(٧) يقصد أسماعيل صدقى باشا ، وزير الأوقاف . أما هذه المسألة فهى إما أشيع من وجود علاقة بينه وبين إبنة أحد الباشوات (يحيى إبراهيم باشا) مما دفعها إلى الانتحار . فأجبره السلطان حسين على الاستقالة ، وهو الأمر الذى كان يعنى خلو مكانه وضرورة شغله بوزير آخر .

ألسنة الكثير أن رشدى يدافع عنه هو وعبد الخالق أشد دفاع ، ولكن ذلك ربما كان أمام الناس إلى حين ظهور الاستعفاء .

إنى أشعر من نفسى سقوطا طبيعيا لاهتمامى بهذه المسئلة ، مع ما يحف بها من الصعوبات .

بعد كتابة ما تقدم ، وأنا جالس مع كل من عزيز كحيل وعلوى باشا والشيخ يوسف الخازن ، رأيت رشدى مقبلا ، فظننته حاملا خبرا مثيرا ، فوجدت وجهه محتقنا ، وعليه علامات الانفعال ،وقال: أريد أن استفهم منك عن سبب خروج حشمت من مديرية أسيوط ؟ [ص ١١٦٢] فقلت : لا أدرى ! ولكنه عزل من مديرية الدقهلية لا شتباه فى سيره ، وشك فى استقامته . قلت : ولماذا هذا السؤال ؟ أجاء رد التلغراف من لوندره ؟ قال : لم يجئ بعد ! قلت : إذن ما هذا الاستفهام ؟ قال : إن سسل(٨) واستورس(٩) يسعيان لحشمت(١٠) . والسلطان تكلم بشدة مع استورس أمس ، وقال : طالما أنا سلطان لا يمكن أن أرى حشمت فى الوزارة ! وإن السلطان سيقابل اليوم مكماهون ، ويوقفه على الأسباب

---

(٨) سسل المستشار المالى .

(٩) ستورز السكرتير الشرقى .

(١٠) يسعيان لحشمت أى : يسعيان لتعيين حشمت . وهو أحمد حشمت باشا ، الذى كان وكيل حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية ، وقد ولد بكفر المصيلحة فى ١٨٥٧ ، وحصل على شهادة الدكتوراه فى الحقوق من فرنسا ، وتقلب فى وظائف النيابة ، وعين مديرا لجرجا ، ورقى مديرا لأسيوط ، ثم انتقل مديرا للدقهلية ، وأحيل إلى المعاش فى ديسمبر ١٩٠٣ ، ثم عين ناظرا للمالية فى ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ ، ثم ناظرا للمعارف فى فبراير ١٩١٠ عقب اغتيال بطرس غالى . انظر عن أحمد حشمت رأى سعد زغلول فى ص ٧٤٥ فى الجزء الثانى من المذكرات .

التى حملته على رفض حشمت ، حتى لا يظهر بمظهر المستبد ، فأنا أريد جمع معلومات له .

قلت : ألا تذكر مسئلة التزوير التى سويتها له أنت ؟ قال : حقيقة ! وقد كانت غابت عن ذاكرتى .

ثم قال : إنى أرجح تسعة وتسعين وكسور فى المائة على أن تكون أنت . ويمكنك تعتبر أن مكماهون من صفك من الآن . ولقد كتبت إلى كتشنر يوم الجمعة صباحا تلغرافا جميلا . وأصدقاء حشمت يسعون له فى حالة ما إذا جاء خطاب كتشنر غير مصدق عليك .

قلت : وسيؤول الناس مجيئك الآن ! قال : خطر ذلك على بالى ، وكنت أردت أن أتكلم معك فى التلفون ، ولكن رأيت الأحوط أن أحضر . قلت : وقد سألنى بعض الناس ، منهم لطفى ، فأنكرت الأمر عليهم . قال : هذا غير مهم . وانصرف .

ولكنى فهمت أن الأمر تم على رفض تعيينى ! وعدت إلى اخوتى وعلىّ شىء من التأثر .

[ص ١١٦٣]

ولاحظوا ذلك ، ولاحظته أنا على نفسى ، ووقع فى خاطرى أن رشدى كان يريد بهذا الاستفهام أن المسئلة انتهت ضد صالحى — خصوصا ما كان فيه من احتقان الوجه والرغبة فى الانصراف . وقال لى إنه سيقابل غدا مكماهون بعد أن يقابله السلطان ، ورغبة السلطان أن يقف منه على حقيقة مركزه بالنسبة لتعيين الوزراء ، والأشخاص الذين يكون لهم حق الكلام معه فى هذا التعيين — يعنى الشكوى من مداخلة استورس وسسل . والله أعلم !

ولكنى غير ممنون من خطتى ، ومحتقر نفسى ، لأنى آنست منها الميل الشديد إلى الدخول فى الحكومة ، على أنى مكثت فيها المدة الأخيرة متكدرا ، لا يلذ لى عيش فيها يوما من الأيام ، لكثرة ما كنت أجد من المصاعب حولى . والآن ، لابد أن تزيد هذه الصعاب بتسلط الحماية على كل الأعمال . وإن تداخل مثل استورس فى تعيين الوزراء ، مع ما فيه من عيوب ، ومع صغر مركزه ، يوضح بجلاء أن مركز الوزارة محفوف بالأخطار ، ولابد أن أخسر فيه كثيرا إن وصلت إليه ، ولا يكون مثلى إلا كمثل شيخ هرم هام بفتاة ، وحاول أن يتمتع بها ، فخانته قواه ، وما ناله غير[11] فضح سره ، فلا هو تنعم باللذة ، ولا سلم من الحسرة !

[ص ١١٦٤]

ولقد نمت بعد ظهر اليوم أهدأ بالا ، وأسكن حالا . وأرجو الله سبحانه أن يديم خضوع شهوتى لعقلى ، وأن لا يجعل للوساوس علىّ من سلطان .

لا حق لى أن أهتم ، وحولى كل ما يذكرنى بأن هذه الحياة باطلة ، وباطل ما فيها ! وإنى بحمد الله حاصل على ما يمكنى من العيش ، ومتمتع بطرز من الحرية على قدر ما تسمح به ظروف الأحوال . ولابد أن أتذكر أنى كثيرا ما تمثلت بالمبادىء الفلسفية ، وتغنيت بها ، وهونت بها الهموم على كثير من المهمومين . ويظهر لى أنى كنت أتأثر بها وقت سكون الشهوة ، وركود الرغبة ، أما وقد ثارت الشهوة لوجود بعض الدواعى فلا تأثير لهذه المبادىء !

(١١) قراءة اجتهادية .

إذن إنى لمخدوع ، ويجب أن أخرج نفسى من هذه الخدعة .

افرض أنى تعينت فى الوزارة ، وجلست والحاجب بالباب يزود عنى[١٢] المهاجمين ، ويستأذن للزائرين . والموظفين يروحون ويغدون لعرض الأعمال وتلقى الأوامر ، وعرض عليك ما رأيت وجه الحق فيه واضحا ، ولكنك لا تقدر أن تنفذه ، فماذا يكون من شأنك ؟

رأيت فى المساء عدلى . وفهمت منه أن جواب كتشنر لم يرد بعد ، وأن مكماهون تقابل مع السلطان أمس ــ أى يوم ١٦ ــ وأبلغه أنه كتب إلى كتشنر تلغرافا طويلا ، [ص ١١٦٥] وأن لديه أسبابا كثيرة تحمله على الظن بأن الجواب يكون بالايجاب . وفى حالة ماإذا كان بالسلب فإن عظمة السلطان يكون حرا فى انتخاب من يشاء . وقد انعقد الاتفاق على استبعاد حشمت .

وكان عظمة السلطان قال لستورس[١٣] ــ أول امس ــ كلاما شديدا فى ترشيح حشمت ، ومنه أنه يعرفه من أول عمره ، وفى جميع أطواره ، ولا يمكن لمثل استورس أن يعرف مصريا مثله . فاعتذر هذا وتنحى عن المداخلة .

وقد تكلم عدلى طويلا فى اختيار من يصلح ، إذا كان جواب كتشنر غير موافق ، وذكرنا أسماء كثيرين ، ولكنه استشعر ــ فيما يظهر ــ أنه أطال القول فى هذا الموضوع ، فقال : ومع ذلك إن لنا أملا قويا فى نجاح ترشيحك . ومن الأسماء التى ذكرتها اسم شفيق ، وكيل الأوقاف ، واتفقت على أنه أحسن من غيره من أهل الإدارة والقضاء .

---

(١٢) فى الأصل : « عنه » .

(١٣) فى الأصل : لاستورس .

فى يوم ١٨ مايو

لم يحدث أمس ما يستحق الإثبات ، فإنى لم أقابل أحدا من أولياء الأمور ، ولا من المقربين منهم . وكثيرا ما خطر ببالى أن هذا السكوت لابد أن يكون ناتجا من كون جواب كتشنر جاء بالرفض ، لأنه لا يمكن أن لا يكون ورد ، لمضى زمن طويل على السؤال ، ولا يمكن أن يكون بالقبول ، لأن الذين يشتغلون من الأصدقاء بالمسئلة كانوا يسارعون بالأخبار .

ومن عجيب شأنى أنى قلبى كان يخفق كلما خطر خاطر الرفض بالبال . وقد بت أمس [ص ١١٦٦] تتجاذبنى عوامل الرجاء واليأس ، أظن كل قادم رسولا حاملا خبرا ، وكل دقة فى التليفون آتية من صديق بخبر جديد ! وفى هذه الأحوال لا أنفك ألوم نفسى على هذه الحالة ، وعلى الاشتغال بها ، وبلوغها من نفسى مبلغا عظيما . ومحبتى للنجاح كانت تصور لى هذا السكون بصور مختلفة ، فتارة كنت أتصور أن أولياء الأمر يريدون مباغتتى بما يسر ، وأرجح[١٤] لذلك بأنهم عندما اتفقوا لم يريدوا أن يعلنونى باتفاقهم ، حتى يتم الأمر ! وتارة أتصور أنهم يتداولون فيمن يخلف صدقى ! إلى غير ذلك من الفروض والاحتمالات !

ولقد أردت أن أنام بعد أن أخذت حماما ، فلم تمكننى هذه الخيالات من النوم ! وحاولت ذلك بعد الغدا ، فلم يكن نصيبى من الراحة أكثر ! ويلذ لى كثيرا أن أتلقى خبر الخيبة[١٥] بالسكون والاطمئنان ، ولكنى كلما تصورتها خفق قلبى ، وصعدت حرارة نفسى ، كأنى أشعر من ذاتى بأنه

---

(١٤) قراءة تقريبية ، وكلمة «ذلك» فى الأصل : «لذلك» .

(١٥) قراءة ترجيحية .

سيفوتنى كبير أمر ، وتتخطانى فرصة قلما يسمح الدهر بمثلها !

وهو وهم فاسد ، فحالى يسر ، والوزارة فى الأوقاف محفوفة بكثير من المخاطر ، وتحتاج إلى معاناة شاقة لا أجد من نفسى قوة على احتمالها ، لأن صحتى أخذت تضعف ، وضعفت بالفعل كثيرا ، وليس[١٦] لى فكرة خاصة فى وزارة الأوقاف أريد تنفيذها . فإن أسفت لعدم نوالها لا يكون أسفى أسف الساعى فى الخير ينجح فى سعيه ، ولكن أسف من لم يتمكن من قضاء شهوة ! [ص ١١٦٧] وبئس الأسف هذا الأسف !

أينبغى لمثلى أن يرغب فى الوظيفة لما فيها من أبهة ومال ، لا لما توصل إليه من خير عام وفائدة كلية ؟ تعساً لى !

ما أجهلنى بنفسى ؟ أكنت أنتقد فى النّاس أمورهم وهذا الوجدان عندى ؟ إنى إذن مخادع محتال !

إن كان الميل إلى هذه السفاسف من طبعى ، فلماذا فرطت فى مركزى ؟ ولماذا فعلت ما حملنى على مفارقته ؟ أم أردت أن أجمع الاضداد محبة الأمور الباطلة ، ومحبة المجد الخالد ؟ إنى إذن لمجنون ! لأن العاقل لا يحاول اتيان المحال .

وإنى ــ والله ـ الآن لأخوف ما أخاف على نفسى من نفسى ! إنى لا أستطيع أن أجزم بأن لى صفة فاضلة من الصفات ، لأنى أخشى أن تكذبنى شواهد الامتحان ! ويظهر ــ قياسا على هذا ــ أن الإنسان أجهل الناس بمقدار نفسه ، وأعماهم عن معرفة سره ![١٧]

---

(١٦) فى الأصل : «ليس» .

(١٧) لعل هذا الكلام أقسى محاسبة للنفس من جانب سعد زغلول ، مع أن تطلع النفس البشرية للوظائف العامة هو تطلع مشروع ، ولا يبعث على احتقار سعد زغلول لنفسه ، خصوصا وقد كانت الوظيفة بالنسبة له وسيلة لخدمة المصالح الوطنية

٢٠٨٢
يوم ١٩ مايو

لم يحدث شيء يستحق الاثبات سوى أن الأخبار تواترت بالأمس عن استعفاء صدقى باشا ، واتفقت على أنه قدمه مساء ، وحمله رشدى باشا إلى عظمة السلطان ، ونشرته جرائد هذا الصباح . وفيه : « شعرت بأننى لست حائزا للرعاية التى تعودتها من عظمة السلطان ، وقد حاولت نفى المزاعم الفاسدة التى وجهت إلىّ ، فلم أمكن من ذلك . لهذا رأيت ــ مع الأسف ــ أن أقدم لدولتكم استقالتى . . الخ . ١٧ مايو سنة ١٩١٥ .

[ص ١١٦٨]

وقد أجابه (١٧م) رشدى باشا بأن استعفائه قبله السلطان ، وأنه أسف ــ أى رشدى ــ لحرمانه من حسن المعاونة التى لاقاها من جانبه فى خدمته التى يذكرها له مع عظيم الشكران . (١٧ مايو سنة ١٩١٥ .)

وعبارة الاستعفاء غريبة ، لأنها تشير إلى أن خروجه كان بسبب مزاعم فاسدة وجهت إليه ، ولم يُمكن من نفيها . والمقرر فى أذهان الكافة أن هذه المزاعم أقل من الحقيقة ، والإشارة إليها فى الاستعفاء تخليد للتهمة ، وأغرب من ذلك نشر هذا الاستعفاء ! وهو لا يعد إلا تبجحا ، واستخفافا بالرأى العام ! وعندى إنه كان الأولى أن يستعفى استعفاء بسيطا . والسلام .

= العامة ، لم تكن وسيلة لخدمة مصلحته الشخصية . ولكن ذلك يوضح علو همته فوق الوظيفة ، وتطلعه إلى ماهو أسمى من الوظيفة ، وهو ما ناله بقيادة ثورة ١٩١٩ ، وهو : زعامة الأمة .

(١٧ م) فى الأصل : وأجابه .

أخبرنى عدلى أمس أن صدقى باشا هو الذى أراد ذلك . كما أخبرنى أن جواب كتشنر لم يرد لغاية الساعة ٧ مساء ، وأنهم ينتظرونه بفارغ الصبر ، وأنه لا حقيقة لترشيح سعيد ذو الفقار ، وأن الآراء لم تتفق على أحد فى حالة ما إذا كان الجواب سلبا . قال : وقد قابل سسل عظمة السلطان ، فتكلم فى حشمت ، وأقنعه السلطان برأيه . وأن سسل قال : إنه لا يسنده ، وأن سعد إذا تعين يشتغل معه بغاية الصراحة . وسكت السلطان عن لومه عند هذه الكلمات .

[ص ١١٦٩]

وعدلى يتصور أن تأخر الجواب ــ مع مضى خمسة أيام على التوالى ــ لا يمكن تفسيره إلا بغياب كتشنر عن لوندره . وهو سبب وجيه[١٨] ويقول رشدى إن تأخر الجواب إلى هذا الحد لم يكن غير اعتيادى ، فكثيرا ما يقع مثله إذا ابتدأ التراسل فى آخر الاسبوع . وعلى كل حال علينا أن نقول : إن غاب رسولك فظن خيرا !

وكنت أمس أهدأ بالا ، ولم أجد من نفسى أسفا شديدا عندما سمعت وفهمت أن الأمر تم لغيرى . وبت أمس أهدأ حالا . ولكن لعل ذلك لأن الأمل لم ينقطع تماما .

قال لى عدلى : إن السلطان لم يستحسن ترشيح شفيق ، لأنه وجده جبانا يزرف الدمع لأقل شىء كالأطفال !

أخبرنى صدقى[١٩] اليوم أنه سمع من نجيب غالى أنهم يستشيرون لوندرة فى شأنى ، وأن جوابها لما يرد بعد . وقد خطر ببالى أنه ربما كان سبب التأخير أن التلغراف المرسل من هنا مفرغ فى قالب لا يستدعى

(١٨) أضفنا كلمة « سبب » لجلاء العبارة .

(١٩) يقصد محمد صدقى بك ، شقيق محمود صدقى باشا ، عديل سعد زغلول . وهو الذى يعنيه سعد زغلول كلما كتب اسم «صدقى» مجردا .

الجواب ، أو لم يفهمه كتشنر كذلك ! والا فما هذا التأخير؟

حاولت أن أقيل[٢٠] اليوم ، فلم أنم . وكلما طال الانتظار ، كلما قل الأسف على الفوات[٢١] [**ص ١١٧٠**] عجبا لى ! يسرنى تصور الوصول إلى هذا المركز لما يجلبه الوصول إليه من لفت الناس لى ، وصوغهم التهانى على ارتقائه ، والتفاف أكثرهم حولى ، وكبت الخصوم .

على أنى جربت الناس فى الرخاء والشدة ، والعسر واليسر ، وجربتهم مع نفسى ومع غيرى ، فوجدت قليلا من الاخلاص فى المهنئين ، ورأيت أقل الناس فضلا أكثرهم تهنئة. وقد وصيت نفسى أن لا أفرح بإقبالهم ، ولا أحزن لإدبارهم. فما هذا السباق المهين ؟ أيكون الإنسان حكيما عندما يكون مقتضى العبث غائبا ، ويحب الإنسان الحكمة ويتمثل بها عندما لا ينتفع بها !

وبعبارة أخرى أقول : إن ما كان يخيل لى من زهدى فى المناصب ، ليس بزهد ولا ترفع ، ولكنه شعور النفس بعجزها عن الشىء ! هذا العجز بغيض لديها [**ص ١١٧١**] فتلطف هوله عليها بتصور الزهد فيه ! كالشبعان يتصور أنه قنوع ! وكمن قضى شهوة من أمر ، يتخيل أنه عفيف بعد انقضائها ! الخ[٢٢] .

---

(٢٠) « أَقيل » كلمة عربية وليست عامية كما قد يظن البعض . وقال يقيل قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا : نام فى القائلة ــ أى فى منتصف النهار (المنجد فى اللغة والأعلام) .

(٢١) أى : فوات المنصب . وهى قراءة ترجيحية .

(٢٢) قبل أن يكتب سعد زغلول هذه الفقرة ، كتب فقرة فى معناها ، ولكنه شطبها لعدم رضائه عن أسلوبها ، أو لأنها لاتعبر تماما عما يريد قوله ، وقد أمكن قراءة =

يوم ١٨ مايو سنة ٩١٥

خرجت للنزهة فى نحو الساعة الخامسة ، وكنت أرجح خيبة المسئلة ، ووطدت نفسى على احتمال الخيبة ، بل على مقابلتها بالارتياح . وعدت إلى الكلوب مارا بالمنزل ، حيث أجبت بأن أحدا لم يسأل عنى . وريثما وصلت ، وجدت طلبا من رشدى بالتليفون . فقال : ليس عندى خبر طيب ، ولكنى أريد أن أراك !

ثم صادفت عدلى داخلا ، فوجدته مكتئبا ، وقال : إن الجواب جاء بالمعارضة الصريحة ، ومكماهون متكدر ، والسلطان منفعل، ورشدى متأثر ، وهو لا يفهم كيف أن ذلك الرجل سمح لنفسه بالمعارضة خلافا . وإن السلطان يريد أن يرانى ، ويوصينى بأن لا أغير شيئا من سيرتى ولا خطتى . قلت : كذلك ! وقال : إنه سيرسل إليك ويكلمك فى هذا الشأن . ثم قابلت رشدى ، فكلمنى بمثل ذلك اللسان .

وأعلنت الاثنين أنى مسرورا من الثقة التى تجلت لى بمناسبة هذه الفرصة ، وأنى لسعيد بنوالها . أما كتشنر فستريه الأيام خطأه . وكتبت هذا وأنا مستريح البال ، والسلام .

[ص ١١٧٢]

وقد علمت من رشدى أن الاتفاق وقع على إبراهيم فتحى باشا .

= هذه الفرة كالآتى : «عجبت لأمرى ! أنزعج من تصور الرفض ، ويفيض قلبى سرورا لتصور القبول ! وأنا الذى كنت ــ قبل هذا ــ احتقر مثل هذا المقام !

«ومايسرنى إلا شعورى بأنى موضع تهانى العموم ، وسبب كبت الخصوم ! على أنى جربت التهانى ، فرأيتها كلها لاتدل على شيء أزيد من نفاق المهنئين . ولقد رأيت قوما أحط منى منزلة ، وأقل نفعا ، وقد انهالت عليهم التهانى من كل ناحية عند . . .» .

وقال لى : ما رأيك فى تعيين أحمد على كمدير من الدرجة الثالثة ؟ قلت : لا أراه يليق لذلك . وصممت على رأيى ، ولكن يظهر أنه هو الذى سيتعين !

وقد حضر صدقى ، وتعشينا معا . وكان متأثرا ، وحاول أن يسلينى ، فحمدت ذلك الشعور منه ، وشعرت من نفسى ببعض الأسف ، ولكنى لمتها على ذلك . ويسرنى أنه لم يوجد شىء يقال ضدى ، ولكن سيادة كتشنر وسعة نفوذه مما عطل تقدمى . وإنى أفتخر بمعاداة رجل ككتشنر ، إذا كان مكماهون ، والسلطان ، ورئيس الوزارة ، وكثير من أعضائها ، وعقلاء الأمة وفضلائها ـ من أصدقائى [٢٣] . ولا أسامح نفسى إذا استمرت على الأسف لفوات هذه الفرصة ، لأنه لا يكون من وراء الأسف إلا مساعدة العدو على بلوغ الغاية منى ، إذ لا يريد إلا غيظى ! فإن أنا استسلمت لهذا الإحساس ، تم له المرام . ومادمت أجد ما يكفينى ، ولا أضطر لسؤال لئيم ، ولا مضايقة كريم ، فإنى ممنون . ولئن منعت ما أستحق ، خير لى من أن أنال[٢٤] ما لا استحق . والله ولى الصابرين .

---

(٢٣) كان رأى مكماهون الذى بعث به إلى كتشنر يوم ١٤ مايو ١٩١٥ ، أنه على الرغم من أن هناك بعض المخاطر فى تعيين سعد فى الوزارة ، « نظرا لشعبيته ومركزه لدى الجماهير» ، إلا أن وجوده فى الوزارة يحد من مضايقاته التى يمكن أن يسببها وجوده خارج الوزارة ! على أن كلا من السير ادوارد سيسل ، المستشار المالى ، واسماعيل سرى باشا ، وزير الأشغال والحربية والبحرية ، ويوسف وهبة باشا ، وزير المالية ، كتنوا يتشككون فى قدرة حسين رشدى باشا على السيطرة على سعد داخل الوزارة ، بناء على خبرتهم ، السابقة معه . (محسن محمد : سعد زغلول ، مصر الثورة ص ٢٨٨) مكتبة غريب ١٩٨٨) .

(٢٤) أضفنا : « أن » لسلاسة العبارة

ولقد دعانى السلطان إلى مقابلته اليوم ، فى الساعة العاشرة ، وسوف أقول له : إنى شاكر عواطفه الملوكية نحوى ، وإن ثقته الشخصية أحب إلى من الثقة الرسمية [ص ١١٧٣] ، وإن كتشنر إذا أساء تقديرى ، فقد أحسنه عظمته . وإنى أرجو أن أكون على الدوام متمتعا بنعمة هذا الرضا ، لأنه أثمن عندى من كل ثمين . وإنى لا أغير من خطىّ شيئا ، وإنى أعتبر نفسى محسوبا عليه من قبل ومن بعد .

قابلت عظمته فى الميعاد المعين ، وأبديت له كل ما تقدم . وقلت : إنى كنت افتكرت أن ألتمس هذه الجلسة للقيام بواجب الشكر ، ولكن عظمتكم سباق دائما للخير . ولقد كان لطيفا فى المقابلة .

وأخبرنى بأنه تكدر جدا من خيبة المسئلة ، وكان انتخبنى ، لا لأنه يؤدى لى منفعة شخصية ، ولكن لكى أعاونه فى مهام الأوقاف الشاقة . ولكن كتشنر حال بينه وبين ما يشتهى من صميم فؤاده . وإنه يريد أن يتخذ هذه المسئلة وسيلة لأن يفتح مع الإنكليز باب القواعد ــ التى يجرى عليها فى المستقبل ــ فى تعيين الوزراء وتدبير الشئون . وإنه لا تمضى مدة قليلة حتى يكون فتحى[٢٥] فى الحربية وأنا مكانه[٢٦] . وانه أجاب بعض من تكلم فى ترشيحى مستفهما ، بأنه يعدنى لمركز أسمى .

فشكرت له هذه العواطف ، واستأذنته فى الشكر لكماهون فأذن ، وقال : إنك ستقول له إنى أشكر حسن انعطافك وأرجو أن أكون فى ذاكرتك .

---

(٢٥) إبراهيم فتحى باشا ، الذى عين فى وزارة الأوقاف مكان صدقى باشا .

(٢٦) يقصد : نقل إبراهيم فتحى باشا من الأوقاف إلى الحربية ، وتعيين سعد زغلول مكانه فى الأوقاف . وطبيعى أن السلطان حسين كان يأمل فى تحقيق ذلك بعد الاتفاق مع الإنجليز على قواعد تعيين الوزراء بحيث يسترد حقه فى تعيين من يشاء .

فقلت : إذا عافانى مولاى من الجملة [ص ١١٧٤] الأخيرة كان ذلك أحب إلى ــ فقال : كذلك . وبعد أن تكررت منى ومنه هذه الجمل ، دخل سعيد ، وانصرفت .

وقد استأذنت بالتلفون مع مكماهون ، فقال لى من تكلم بالعربية : إن استورز [٢٧] هو الذى يحدد الميعاد ! قلت له : اطلب منه ذلك ! فحدد يوم السبت الساعة ١٢ ! ولما سمعت كلمة يوم السبت ، رددتها مستغربا من طول الأمد ، وهمت بأن أعتذر ، أو أخبر ستورز بأن المقابلة ليس الغرض منها بسط رجاء ولكن عرض ثناء ، ولكنى رأيت أن الأحسن السكوت ، والتنبيه ــ فى أثناء الكلام مع مكماهون ــ على شىء من هذا القبيل . وإذا كنت تأذيت من إطالة المسافة على المقابلة فلم يطل تأذى ، وحملته على معاكسة استورز الشخصية ، أو على اشتغال الرجل ، خصوصا وإنى أعلم من الوزراء أنهم لا يترددون عليه إلا قليلا .

وأنى أشعر من نفسى الآن بشىء من الراحة ، المهزوم صاحبها ! والانكسار المتأتى عن الشعور بضعفى وقوة خصمى . ولكن قوة الله تضعف كل قوة ، وتقوى كل ضعف . وليست ألذ حياة هى حياة الوزراء ، بل ربما كانت أشقى حياة . وقد عودنى الله تعالى أن يبدلنى عن المكروه مرغوبا ، وأن يرينى أن ما اختاره لى أفضل مما اخترت لنفسى ، [ص ١١٧٥] وإنى واثق به تعالى أن يجرى معى على هذه السنة ، وأن يرفعنى من حيث لا أحتسب . سبحانه ما أعظم شأنه ، وما أسطع برهانه ، عليه اتكالى . وأنا فى حالتى الحاضرة محسود . والله يفعل ما يشاء ويريد .

---

(٢٧) قد تقرأ « استورث » ، ولكنها تنطق « ستورز » Storrs . ويكتبها سعد زغلول أحيانا : « استورس » .

يوم ٢١ مايو سنة ٩١٥

رأيت الناس غير مرتاحين إلى تعيين فتحى فى الأوقاف ، ويقولون إن ابتذاله فى الأولاد ، أظهر من تهتك صدقى فى النساء(٢٨) ! وإنهم أرادوا أن يكحلوا عين المريض فأعموها ! وعندى أن هذا التعيين أثر من الروح السائدة فى الحكومة ، وهى روح إضعاف الفضيلة ، وتقوية الرذيلة .

لا أدرى ماذا أفعل الآن ؟ هل أسعى فى استرضاء كتشنر ، أو أترك الأمر لله يتصرف فيه كيف يشاء ، وانصرف إلى وجهة أخرى ؟ وإذا كان الأول فبأية وسيلة أبذل هذا السعى ؟

وعندى أن الأفضل الثانى ، لأن فيه حفظا للكرامة ، وصيانة لماء الوجه ، وترفعا عن النقيصة ، ووفاء بحق نعمة الله علىّ ، وتنفيذا للعهد الذى كتبته على نفسى للأمة عند الانتخاب .

نعم إن الأحوال تبدلت ، ولكنا لم نقيد هذا العهد ، بل [ص ١١٧٦] أطلقناه ، والتأويل فيه غير مقبول(٢٩) .

---

(٢٨) هذا اتهام خطير من سعد زغلول لوزيرين ، ولكنه يشير إلى تسرب الفساد إلى هذه الطبقة الاجتماعية فى ظل الاحتلال .

(٢٩) هذه العبارة تفسر التحول الذى طرأ على سعد زغلول ، من زهد فى المنصب ، إلى إقبال عليه ! لقد كان السبب الأساسى فى زهده فى المنصب الوزارى ، بعد خروجه من الوزارة ، هو أن البلاد كانت مقبلة على عهد من الحياة النيابية ، التى يمكن أن يكون له دور فيها ، رغم أنها حياة نيابية مقيدة . فلما وقعت البلاد تحت الحماية البريطانية ، وعطلت سلطات الحماية الجمعية التشريعية ، لم يعد لسعد زغلول دور يلعبه فى خدمة البلاد ، ودخل فى مرحلة التعطل والبطالة ، ومن هنا عاد إليه اهتمامه بالمنصب الوزارى كوسيلة للبقاء على السطح ، وحتى لا يغرق فى بحر النسيان . ولكن العهد الذى قطعه على نفسه للأمة بأن يعمل فى خدمتها ، وألا يتركها إلى خدمة الحكومة كان يلح عليه ليبقى بعيدا عن المنصب . وقد خدمه رفض

ولعل الله سلط كتشنر على هذه المسئلة حتى لا يوقعنى فى ألسنة الناس ، ويعصمنى من مقالتهم . ولقد قال لى صديق بالأمس : إن بعض الناس لما سمعوا بترشيحى قالوا : وأين العهد الذى عاهد الأمة عليه ؟

ولا يحل لى ، وأنا الذى رفعتنى هذه الأمة فوق هامتها ، وأولتنى رعايتها ، رغم غضب الخديوى ، ومعاكسة الوزارة السعيدية ، وتحامل كتشنر ـ أن أتركها إلى خدمة الحكومة مهما كان فى الأخيرة من النفع للأولى ، إلا إذا أذنت لى فى ذلك . ولقد كان هذا شعورى ، وعبرت عنه يوم أن انتخبت وكيلا ، حيث قلت ما معناه : إنى أعتبر الثقة التى حزتها فوق كل الثقات ، والفوز بها أرفع السعادات . وقلت ـ فى ردى على بعض السفهاء من أعضاء الجمعية : « وإنما أنا رجل وضعت تحت تصرف أمتى(٣٠) لسانى وبيانى ، فلا يصح لنا بعد(٣١) هذا أن نلجأ إلى طريقة أخرى » .

يوم ٢٢ مايو

تعشيت أمس فى الكلوب مع عدلى ، وجرى ذكر استعفاء اسماعيل صدقى من(٣٢) وظيفته ، ورد رشدى عليه ، وانتقاد الناس له بقولهم : إن اسماعيل هدد رشدى ، وأنذر بهتك سر عبد الخالق(٣٣) .

اللورد كتشنر تعيينه وزيرا للأوقاف مكان إسماعيل صدقى باشا خدمة كبيرة . إذ أجبره على البقاء بعيدا عن المنصب الوزارى ، حتى أتيحت له الفرصة فى نهاية الحرب لتنفيذ تعهده بالعمل فى خدمة الأمة ، وكانت قيادته لثورة ١٩١٩ .

(٣٠) فى الأصل : (أمته) .

(٣١) أضيفت «بعد» ليستقيم المعنى .

(٣٢) أضيفت « من » ليستقيم المعنى .

(٣٣) يقصد : عبد الخالق ثروت باشا ، وزير الحقانية .

فامتعض [ص ١١٧٧] عدلى من ذلك امتعاضا شديدا ، ونهض مغضبا ، وقال(٣٤) : كيف يسوغ الناس لأنفسهم أن يوجهوا مثل هذه الانتقادات ؟ أحسبو النظار أطفالا ؟ إنى لا أستطيع صبرا على هذه المناقشة ، وأفضل النوم على سماعها ! وخرج .

واستمر الحديث مع مدحت وعبد الرحيم ، وخطّأت عدلى فى غضبه وحدته .

وكان من ضمن ما روى مدحت ، وهو الذى كان أشار إلى إنذار إسماعيل بهتك الستر عن عبد الخالق ، أن بين هذا وامرأة فؤاد ، بنت على صديق ، علاقة ود ، وأنه رشح زوجها لأن يكون مستشار قضايا الأوقاف الخاصة ، لما كلفه السلطان أن يبحث عن كفء لهذه الوظيفة ، وكاد الأمر يتم لفؤاد ، لولا أن أحد الأشقياء ألقى إلى السلطان خبر هذه العلاقة ، فغضب غضبا شديدا على عبد الخالق ، وعين ابن عفيفى مؤقتا رغم معارضة عفيفى ! ولما حكى مدحت هذه العبارة ، امتنع عدلى ولم يفه ببنت شفه .

أخبرنى عدلى أن رشدى فكر فى أخذ عاطف مديرا ، ولكنه أرجأ أمره إلى وقت آخر . وأخبرنى رشدى بأنه يريد أن يعينه محل كمال . وقال لى إنهم كانوا يريدون أن يعينون ابن محمد على ، الذى كان فيما سبق وكيلا للمنوفية ، بحجة أنه من عهد أن أخذ ستمائة جنيه لم يمد يده !

[ص ١١٧٨]

وقال عدلى : إنهم يدافعون عن كمال بأنه تاب عن الارتشاء . وأشار إلى أن الأنكليز يعتبرون الوطنيين كلهم فاسدين ، فلا يهمهم كثرة الفساد فيهم أو قلته ، ولا يحفلون بما يظهر من نقص فيهم .

---

(٣٤) فى الأصل : « قال » .

وقد ذكرنى ذلك بما وقع لى مع أحد مستشارى محكمة استئناف الجزائر ، فى بانسيون دورون[٣٥] سنة ١٨٩٥ بجنيف ، حيث طعن على القضاة الشرعين والمفتين بكونهم مرتشين ! فقلت : ولماذا لا تستبدلونهم بغيرهم[٣٦] فقال : كلهم على هذا الخلق ، فلا يفيد التبديل ولا التغيير ! ورأيت أن هذه فكرة استعمارية ، لا إنكليزية فقط !

سأقابل اليوم الساعة ١٢ مكماهون ، لأجل أن أشكره على ما أظهره نحو ترشيح شخصى من الانعطاف . وسأقول له إن سموه وسعادة رشدى باشا قد أخبرانى أن . .[٣٧] .

يوم ٢٢ مايو سنة ٩١٥

توجهت إلى دار الحماية ، وانتظرت خمسة دقائق ، فقادنى ستورس[٣٨] فى الساعة ١٢,٣٥ إلى غرفة نائب الملك . فاستقبلنى [ص ١١٧٩] بهشاشة[٣٩] وبشاشة **فقلت له** : إنى جئت لأن أقدم احتراماتى وتشكراتى لسعادتكم على الانعطاف الذى أبديتموه نحوى فى مسئلة الأوقاف . وفى الواقع أن عظمة السلطان وسعادة رشدى ، عرفانى أخيرا بأن سعادتكم سندتم ترشيحى ، فلذلك جئت لأعرب عما خالج عواطفى من الشكر .

فقال : إنى متشكر جدا لكم ، وغير مسرور من هذه المسئلة . ولكن الأمور لا تتم دائماً حسب المراد .

(٣٥) هكذا تقرأ .
(٣٦) هكذا فى الأصل والأصح : «لاتستبدلون بهم غيرهم» .
(٣٧) العبارة من أول «إن سموه ــ حتى أن» مكتوبة بالفرنسية ، ولم يكملها سعد زغلول .
(٣٨) فى الأصل : غورست ، وهى خطأ .
(٣٩) فى الأصل : «بهشا» .

قلت : إنى من الذين يفهمون العالم كما هو ، لاكما ينبغى أن يكون . وثق بأن أكون لك على الدوام شاكرا ، ولمودتك ذاكرا .

ثم تكلم عن الحرب ، فقال : إن الحالة مرضية فى فرانسا ، أما فى الروسيا فالحال ليس على ما يرام . وضحك ضحكة المستخف بأخبار انتصاراتها(٤٠) المتوالية .

وقلت : وفى الدردنيل يظهر أيضا أن الأحوال راضية ، وإن كانت سائرة ببطء .

فقال : نعم ، وإن فتح الدردنيل ، يضعف روسيا . وإن ايطاليا على وشك الدخول فى الحرب اليوم أو غدا ، وإن كان لا أهمية لها ، ولكن لأن تكون معنا خير من أن تكون علينا . وكان يتكلم بذلك وعلامات الاستهتار بها بادية عليه .

[ص ١١٨٠]

وتكلم عن جرحى الحرب فقال : إنهم هنا بلغوا العشرين ألفا ! وسألته عن العميان منهم ، فقال : إن ذلك من أثر الإصابات فى العيون ، لا من شىء آخر ، لأن الغاز غير مستعمل إلا فى غرب فرانسا . وأفضت قليلا فى استهجان استعماله ، وفى توعد كتشنر باستعماله أيضا ، فقال : لا أظن ذلك ، لأنه مخالف لعوائدنا . فقلت : إن هذا من الإنسانية بمكان عظيم ، ولكنه يضعف جانبكم ! قال : نحتمل هذا الضعف ، ولا قسوة استعماله ! قلت : ما أعلى هذا الشعور وأرقه !

---

(٤٠) فى الأصل : « بأخبار نصراتها » .

وتكملنا عن النيل ، فقال : إنه لحسن الحظ عال ، ويبقى كذلك إلى أوغسطس كما أخبر وزير الأشغال . ثم أشار بلطف إلى ما يقوله الناس من أن الحماية جلبت الخراب وأنزلت أسعار القطن . قال : ولكن النيل معنا .

ثم تكلم عن الاسكندرية وهوائها ، وأنه سيذهب إليها فى ٢٦ الجارى . وسألنى عن مصيفى ، فقلت : هنا ! ولكنى أذهب أحيانا إلى اسكندرية ، فأتشرف بمقابلتكم ؟ فقال : أكون مسرورا كثيرا ، وأُسَرُّ لأن تتعشوا معى . وامتدح المنزل الذى استأجره فيها .

[ص ١١٨١]

وشكى من الفحم وارتفاع أسعاره ، وأنه يصرف شهريا ٥٠ جنيه على ما يستهلكه من الفحم فى منزله ! فقلت : إن هذا عال جدا يعلو ثمن الكهرباء عند السلطان،وكل منكم يشكو من أمر ! فضحك ، وضحكت .

وتكلم عن سراى رأس التين ، وحسن موقعها ، وقدم تنظيمها . وسراى عابدين ، وسوء مكانها وضيق غرفها.وعن النيل والتأسف لإهمال إقامة (. . .)[41]على جانبيه وغير ذلك . وكان لطيفا جدا .

وفى الآخر قال ما معناه : تلذ لى محادثتكم ، وتمنيت أجلس معكم كثيرا لولا كثرة الأشغال . ونهض ونهضت ، وسلمت عليه معيدا شكرى ، ومكررا تأكيدى بأنى أكون معه على وفاق فى خدمة البلاد . وانصرفت ، مارا بغرفة استورس ، فتواعدنا أن نتلاقى عندى غدا مساء فى الساعة العاشرة .

(٤١) هكذا فى الأصل : وقد نسى سعد زغلول ذكر المضاف إليه ، وماذا كان يقصد مكماهون أن يقام على جانبى النيل !

يوم ٢٣ مايو سنة سنة ٩١٥

الآن يسافر عظمة السلطان إلى اسكندرية . وأكتب هذا قبل التوجه إلى المحطة لوداعه فى الساعة ثمانية .

[ص ١١٨٢]

قابلت أمس فى نحو الساعة السادسة موسيو برونيت ، وقصصت عليه قصة ترشيحى لوزارة الأوقاف ، وما كان من مكماهون من اللطف والرقة ، وما كان من كتشنر من الحنق والإنتقام . وقصصت عليه أيضا ما وقع لى مع كتشنر فى خصوص مسئلة الوكيلين

فقال لى : إنه لا يعلم من أمر ترشيحى شيئا .

ولكن فهمت منه أنه تكلم فى شأنى مع مكماهون ، بمناسبة مسئلة حسين محرم . فشكرته ، وذكرت له أنى تكلمت مع مكماهون فى شأنه ، وإن مكماهون امتدحه ، وأنى ذكرت له أنه صعب ! .. إلخ .

ثم تناقشنا فى مسئلة إختصاص الجمعية التشريعية . وهو يدعى أن الوقف ليس من الدين ! فقلت له : حقيقة ، ولكن تقرر فى الاعتقاد أنه منه ، ولا يمكن نفيه . وليس له هو أن يخوض فى هذه المسئلة ، ويصر على كون الأوفق أن لا تعطى الجمعية التشريعية صوتا قطعيا فى المسائل الإدارية .

وأخيرا قلت[٤٢] : يمكننى أن أسلم لك ذلك ، ولكن استعمال المبالغ التى تنتج من الإدارة ، يكون للجمعية رأى قطعى فيه . قال : إنه لا يعارض ــ شخصيا ــ فى ذلك .

(٤٢) فى الأصل : قلت أخيرا ، وقد غيرناها لسلاسة العبارة .

ورأيت أنه لا يعتقد فى حشمت التعفف والنزاهة ، ولا فى كمال !
وقال : إن السؤال من المديرين قد جرأهم[٤٣] .. إلى غير ذلك . وانصرفت .

[ص ١١٨٣]

أخذ القلق يخف نوعا ، والفكر فى أمرى يقل شيئا فشيئا ، وأخذتُ أتسلى بمراجعة الماضى ، وما تمتعت به من إقبال الشعب علىّ ، وهتافه لى ، وفرحى بهذا الإقبال .

وفى الحق أنه لايصح لى أن أتطلع إلى مركز أعلى من هذا المركز ، ولكن عطلة الجمعية عن العمل ربما كان له دخل فى إهتمامى بتغير هذا المركز[٤٤] . وإذا كنت السنة الماضية مغتبطا بحالى من الأمة ، مع قلة ذات يدى ، فإنى أحق أن أزيد اغتباطا بها فى هذه السنة ، التى تغير فيها أمرى . فالحمد لله على ما أعطى .

ودعت عظمة السلطان على المحطة ، وكان هناك خلق كثير من العلماء ، والبرنس فؤاد ، والذوات المتقاعدين ، والموظفين الكبار من الانكليز ، وغيرهم . وكان الجمع مهيبا ، وقد أقبل عظمته ، فسلم على المودعين : البعض باليد ، والبعض بالإيماء .

وحضر رشدى من خلفه ، فهويت إلى أذنه[٤٥] ، وقلت إليه :

(٤٣) هكذا تقرأ . والعبارة غير مفهومة ، وقد يقصد أن الاتصال بالمديرين جرأهم .

(٤٤) هذا يؤكد تحليلنا لاقبال سعد زغلول على الوزارة بعد إدباره عنها (أنظر حاشية ٢٩ من هذه الكراسة) .

(٤٥) هكذا فى الأصل ، وهو تعبير غريب ، وربما كان السبب فيه أن حسين رشدى باشا كان قصير القامة ، بينما كان سعد زغلول طويل القامة .

ذهبت إليك مرتين البارحة ! فردد كلمة « مرتين » ! وذهب إلى جراهم[٤٦] ـــ الذى كان خلفى !

ويحتمل أن يكون أراد أن يقول له شيئاً ، ولأجل ذلك لم يقل لى ما يغلب[٥٠] أن يقال ، أو أن[٤٨] يكون قد بلّغه عدلى شيئا !

ويؤيد الاحتمال الثانى ، أنى فى المرة الأولى قبل أن أذهب إليه ـــ سألت عنه ، فقيل : إنه موجود . فلما وصلت الباب ، قيل : [ص ١١٨٤] إنه خرج وقال إنى أخبره عند عودتى ! فلم أفهم لذلك سرا ، وسينكشف الأمر بعد ذلك .

ولقد لاحظت على أغلب الوجوه السرور، وما شعرت بشىء من التكلف .

وقال لى عبد الرحيم الدمرداش عند مرورى به منصرفا : لماذا لم تقف معنا ؟ قلت : لأنكم لستم من مقامى ! قال : هكذا ؟ قلت : كذلك ! وكان بجانبه طلبه سعودى وزايد جلال . قلت : هكذا ، وتركته وسرت ، وذهبت إلى الهلباوى . وإنى أشعر من هذا بنوع من الحياء رغم ما يبديه من الميل ، وقلبى يحدثنى أن ذلك تكلف ! والله أعلم .

طلب حسين باشا محرم أن يقابلنى فى هذا اليوم الساعة ١١ ، فأذنت . وحضر مع أحمد بك لطفى عمر . وفهمت من هذا الأخير أن

---

(٤٦) فى الأصل : «قراهم» . وكثيرا ما يكتب سعد الجيم « قافا » . وجراهام هو المستشار الإنجليزى لوزارة الداخلية حتى ١٦ أكتوبر ١٩١٦ حيث خلفه جيمس هينز حتى ديسمبر ١٩١٩ .

(٤٧) فى الأصل : «يغالب» ، والقراءة ترجيحية .

(٤٨) فى الأصل : « وأن » .

دائرة سيف رفعت دعوى على الأول وشركتى (. . .)[٤٩] وغيرها أمام المحكمة المختلطة، ببطلان البدل الذى جرى فى دائرتى كرم باسكندرية والأطيان الكائنة بالسوالم[٥٠] ودقهلية ، والنيابة تحقق فى مسئلة شراء الدائرتين المذكورتين. ويراد أخذ رأيى فى الدفاع الذى يلزم إبداؤه فيها . وسلمانى نتيجة أقوال الدائرة أمام تلك المحكمة ، واقتصرت فقراتها على صورة[٥٠م] .

وخطر ببالى أن الأحسن لمحرم أن يبتعد [ص ١١٨٥] من أمام هذه المحكمة ، وذلك خير وأبعد عن الارتباك . ومع ذلك فهذا الرأى ليس بنهائى .

إنى تركت تدبير أمرى إلى الله تعالى ، فلا ينبغى أن أتجشم مشقة التفكير فيه . وربما كان ما اتخذه من الوسائل هو بنفسه من الموانع ! وقد تحدث ظروف تجعل النافع مضرا ، والمضر نافعا ! وما أحسن من الرضا بما قسم الله ، والإتكال عليه فى الباقى بعد تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

لا تترك نفسك لهواها ، فتفسد عليك عيشتك ، وتقعد حزيناً محسوراً ! ولا يفيدك الحزن على ما فاتك إلا تكدير ما أنت فيه من الصفا ! فكن عاقلا ، ولا تنظر إلى الماضى إلا نظر الإعتبار ، ولا إلى المراقى[٥١] إلا نظر الاحتقار . واغنم فرصة الحال .

قد كنتَ خائفا فأمنت ، ومعسرا فتيسرت ، وبعيدا فتقربت ، فمالك لا تقنع بما أنت فيه من أمن ويسر وإقتراب ؟ إنك طماع قليل الحساب .

---

(٤٩) عبارة غير مقروءة . وكان حسين محرم يدير دائرة سيف الدين .

(٥٠) قراءة ترجيحية .

(٥٠ م) قراءة اجتهادية .

(٥١) هكذا تقرأ ، وقد تقرأ : « الآتى » وهو أضعف .

[ص ١١٨٦]

صانع الناس لتأمن شرهم ، لا لأن تكسب خيرهم ، وأحسن إليهم لتستفيد منهم اطراقا واحتراما ، ولا تحدث نفسك بخدْعهم ، فإن ذلك خيانة منك . والسلام !

٢٤ مايو سنة ٩١٥

أمس حضر استورس فى الساعة تسعة وبضع دقائق مساءً ، وطلب صورة فتحى ، فأعطيته إياها . ثم جرى الحديث فى الأحوال الحاضرة ، فاتفقنا على أنها هادئة ، ثم جرى ذكر التغيير الحديث ، فاستطردت منه إلى التكلم عن الحوادث التى جرت مع كتشنر ، من أول حضوره إلى قيامه ، فقال : إنه كان يعلم مجملها ، وإنه مسرور من الوقوف على التفاصيل التى أوضحتها .

وقال : إن كتشنر ، لما كتب لوزارة الخارجية فى شأن خروجك من الوزارة ، أشار إلى أنك غير متفق مع الخديوى ، وأن زملاءك[٥١م] غير راضين عنك ، وأنك ، لعداوة بينك وبين حسين محرم ، أردت إبعاده عن مأمورية مهمة .

ثم قال[٥٢] : إن محمد سعيد هو الذى ركز فى قلب كتشنر بغضك ، بما كان يلقيه من الدسائس فى حقك ، وقد صادفَت من جنابه قلبا خاليا من التجربة ، فتمكنت . وإنه لما أريد تعيينك وزيرا ، قَبْلَ هذه المرة ، حصلت معارضة شديدة بأنك تطعن على عميد الإحتلال ، وتعارض مشروعاته ، وتثير الخواطر عليه . ولا يتأتى أن يساعد من كان كذلك على الوجود فى الحكومة .

(٥١ م) فى الأصل : زملائك .
(٥٢) أضيفت : « ثم قال » لاستهلال الفقرة الجديدة .

ثم قال(٥٣) : والمستشار المالى كان ضدك ، ولا يزال كذلك ــ مع خفة ــ [ص ١١٨٧] وقد(٥٤) أيد قول خصومك فيك طعن الأهرام على كتشنر أثناء امتداحك وترددك على الخديوى ، وانعطافه نحوك . فلهذا تأثر الرجل منك .

قلت : ما كنت أحب أن يبقى تأثره لحد الآن ، وأن يبديه فى وسط المهام التى هو قائم بها .

وبينت أن الخديوى هو الذى تقرب منى بعد أن عاكسنى فى الانتخاب . وما كنت أتردد عليه إلا بعض الأحيان ، وما جريت(٥٥) بتعليمات منه ، بل من تلقاء نفسى . ولذلك كانت خطتى مضادة لفكره فى مسائل الأوقاف .

قال لى : إنه حان الوقت لأن تتألف الوزارة من رجال ذوى آراء يعوّل عليها ، لا من أصفار ، فقد كان يُخشى من ذوى الكفاءات فى زمن الخديوى وقبل اعلان الحماية ، أما الآن فلا معنى لهذه الخشية ، بل اللازم هو الاستعانة بأهل الكفاءات والاقتدار على تدبير الشؤون ! وإنه فى كل أسبوع يكتب تقريرا إلى لوندرة ، وأنه كتب هذه الدفعة فى هذا المعنى .

ثم قال : ولو كان اللورد كتشنر هنا لوافق على تعيينك ، لأن الأحوال تغيرت . ولكن الوزارة لا تبقى على ما هى عليه ، لعدم التجانس بين أعضائها . وفى المرة القابلة يصادف ترشيحك النجاح المطلوب . وفهمت منه أن جراهام لم يكن ضدى .

---

(٥٣) أضيفت : « ثم قال » لنفس السبب .

(٥٤) أضيفت : « وقد » .

(٥٥) هكذا تقرأ ، والمعنى أن سعد زغلول لايعمل بتعليمات من الخديوى ، وإنما من تلقاء نفسه .

وتواعدنا على أن نتلاقى كلما سنحت الفرصة . وانصرف بعد ساعة من الزمان .

[ص ١١٨٨]

نسيت أنى أذكر أن استورس قال ــ فيما قال ــ إن كتشنر لما ضاق منك ، وشكى أمرك سعيد إليه ، فوض إلى هذا[٥٦] الأمر فى إعناتك ، وسلطه عليك ، فلم يحسن التدبير ، وأساء التصرف معك . وإذا عاد كتشنر لا يكون نصيب سعيد منه إلا الإغضاء عنه . ثم قال لى : إن رشدى سار معك أخيرا بصراحة وإخلاص . قلت : إنه رجل طيب القلب . ووافق على ذلك ، ولكن لابنغمة النصير ، ولكن بلهجة العارف فقط . وأبدى استغرابه من تأثير سعيد على كتشنر ، وقال : إن هذا كان قليل الإختبار ، غير عارف حق المعرفة بالأحوال .

٢٥ مايو سنة ٩١٥

لم يحدث أمس شيء يستحق الذكر ، غير ما ورد إلىّ من سعيد من أن احتفال الإسكندرانيين بعظمة السلطان كان عظيما !

أشرت على حسين باشا محرم ، عندما إستشارنى ، بأن لا يحضر أمام المحكمة المختلطة ، لأن الشركات المدعى عليها ستدافع بنفس الأوجه التى يمكنه أن يدفع بها ، فإذا قبلت ، إنتفع منها ، وإذا لم تقبل لم يضره شيء . على أنه يمكنه أن يتلافى الضرر فى هذا الحالة بالاستئناف . فقبل ذلك هو وأحمد لطفى بيك أحد محاميه .

[ص ١١٨٩]

أعلنت إيطاليا الحرب يوم الأحد الفائت مساء ، وجاءت بذلك

(٥٦) أى . إلى سعيد .

٢١٠٢

التلغرافات أمس ، وتظاهر التليانيون(٥٧) فرحين بإعلانها ، وطافت جماعة منهم شوارع العاصمة ، حاملين أعلامهم ، هاتفين لملكهم وأمتهم ، ووقفوا أمام نادى محمد على حيث كان البرنس فؤاد وجمع من شبان اليهود ، فضربوا السلام السلطانى ، وحياهم البرنس ومن معه . وكنت حاضرا أتأمل فى الدنيا وتقلباتها ! وسبحان مغير الأحوال !

لا تؤخر عمل اليوم إلى غد ، بل إعمل فى كل يوم عمله .

لا تهتم بالآتى إهتماماً ينسيك لذة الحاضر ، ولا تذكر الماضى الا للاعتبار ، لا لإثارة الأحزان .

لا تسع إلا لخير غيرك ، ولا تهتم بنفسك إلا فيما تحفظ به عليك الصحة ، وتكفى مئونة الحاجة .

إذا عرفت كيف تستغنى عن بعض لوازمك ، عشت سعيدا ناعم البال .

يوم ٢٦ مايو

تتردد على ، من وقت لوقت ، الفكرةفى حقد كتشنر علىّ ! [ص ١١٩٠] وكلما تصورت ما وقع لى معه ، وماأعلم من خلقه ، كلما زدت اعتقادا بأنى لا أنال فى الحكومة مركزا مادام له فيها نفوذ من قريب أو بعيد ! فقد أبى تعيينى فى مجلس إدارة القنال ، ولم يسمع لشفاعة صديق كتب إليه ، ولا لضراعة قدمها بين يديه على أسلوب يستميل الكريم . وفعل ذلك وما فعلت ما يغضبه ، ولا أتيت ما يسيئه شخصياً ، ولكنه توهم أنى عارضت فى تعيين حسين محرم تعنتاً منى ، وافتئاتا ، وصدعاً لغرض شخصى ــ لا لمصلحة عامة .

---

(٥٧) يقصد : الطليان .

فما باله ، بعد أن رآنى أعارض آراءه[٥٨] فى الجمعية التشريعية ، وأطعن عليه فى المجالس الخصوصية ، وأغمزه فى محادثاتى مع الصحافيين ، وتقرن[٥٩] بعض الجرائد مدحى بذمه ، والثناء علىّ بهجوه ؟ إن ذلك يملأ قلبه حنقاً ، وصدره حقدا ، ويحمله على أن يتربص بى السوء ، لا أن يرتاح إلى تقدمى فى حكومة ، له فى إدارتها الرأى الأعلى ، والكلمة النافذة !

ولا أظن أن الإستشفاع يؤثر فيه ، مهما كان الشفيع ، ومهما كانت وسائله . فلم يبقى لى إلا أن أنتظر فرج الله بقطع علاقته بمصر على أى وجه كان ! وما ذلك على الله بعزيز .

[ص ١١٩١]

ولهذا يجمل بى أن أُوَلِّى وجهى شطر عمل آخر ، وأنسى الحكومة ومراكزها . والله يوفق لما يشاء .

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع .

إياك والأسف على ما فاتك من مرغوب فإنه لا يعيده إليك ، ويشمت بك الأعداء .

إن الأعداء يشمتون بعدوهم ، لعلمهم أنه يتألم من خيبة أمله . فإذا علموا أنه لم يقابل هذه الخيبة إلا بحسن الرضا ، قلّت شماتتهم ، وانعكس الأمر عليهم . فلا تكن عونا لأعدائك ، بل لأصدقائك .

لا يسوغ للإنسان أن يخاطر بنفسه إذا كان رب عائلة ، لأنه يسيء إلى

(٥٨) فى الأصل : «آرائه» .

(٥٩) فى الأصل : «ويقرن» .

أقرب الناس إليه إساءة لا يمكن تعويضها . ولذلك فإنى أول من يعذر أصحاب الحذر من أرباب العائلات ، حتى إذا بالغوا فى حذرهم ، وتجاوزوا الحد فى احتياطهم !

أخطَر فى بالى هذه القضية ، ما وقع لأمين يوسف ، زوج رتيبة (٦٠) .(فإنه)لعدم احتياطه ، توجهت الشبهة عليه ، وتفتش منزله فى دمياط يوم الثلاث أول يونية ، عقب أن عاد مع حرمه إلى دمياط ،

[ص ١١٩٢]

فانزعجت ، وانزعج انزعاجا شديداً ، وحضر أمس مقبوضا عليه ، ترافقه زوجته . وقد رأيتها والدموع تسيل على خديها ، ووجهها محتقن ، وولدها الصغير يتعلق بها ، ويلتفت ذات اليمين وذات الشمال يفتش على أبيه ، فلم يجده . وكأنما شعر الطفل باعتقال أبيه ، فانكسرت نفسه ، وعليه علامات تشبه علامات الشعور بالوحدة فى الضعف .

وقد سألت « هرفى » (٦١) أمس عن سبب اعتقاله ، فلم أجده يعرف شيئاً عنه .

وقال فيليبيدوس (٦٢) إنه فتش أوراقه فلم يجد فيها ما يشبه ! وقال

---

(٦٠) رتيبة هى بنت شقيقة سعد زغلول (ستهم) وشقيقة سعيد زغلول ، ووالدة كل من الكاتبين مصطفى وعلى أمين . وقد تزوجت من محمد أمين يوسف ، وهو من أهالى دمياط ، وكان صديقا لسعد ، ولعب دورا فى انتخابات سعد زغلول للجمعية التشريعية ، ثم فى ثورة ١٩١٩ حيث كان يوزع التوكيلات فى الأقاليم .

(٦١) المستشار المالى البريطانى .

(٦٢) هو جورج فيليبيدوس ، مأمور ضبط محافظة القاهرة ، ورئيس المكتب السياسى الذى أنشأه رونالد جراهام ، مستشار وزارة الداخلية ، الذى تعين فى

= ١ / ٤ / ١٩١٠ ليحل محل آرثر شيتى الذى استقال فى أعقاب مقتل بطرس غالى . وكانت مهمة هذا المكتب السياسى مواجهة الأعمال السياسية وجمع المعلومات عن الجمعيات السرية ومراقبتها .

وقد تولى جورج فيليبيدوس رئاسة هذا المكتب السياسى منذ ديسمبر ١٩١٠ ، يعاونه ضابط مصرى اسمه حسنى شعير واليوزباشى فرنشيسكو لوسكيافو ، معاون البوليس السرى ، ومجموعة من المخبرين الوطنيين والأجانب ، ومنهم الكونستابل « تالاريس أنطونيو » ـ ويتبع هؤلاء جميعا الميرالاى جورج هارفى باشا ، حكمدار بوليس العاصمة .

وقد استطاع جورج فيليبيدوس ، الذى حصل على لقب « بك » أن يلعب دورا هاما فى محاربة رجال الحزب الوطنى ومطاردتهم حتى أقنع البريطانيين بأن تصفية الحزب الوطنى هى الأمان الوحيد ضد الحركة السياسية المصرية والعمل السرى ، فسلموا له كل أمور العمل السياسى المضاد ، مما دعاه إلى ادخال « نظام المرشدين » فى البوليس السرى ، لتقديم المعلومات عن تحركات المشتبه فى أمرهم ، واجهاض المؤامرات التى يمكن أن تدبر قبل تنفيذها ، أو تلفيق مؤامرات .

وقد كان من ثمار هذا النظام اكتشاف ما عرف باسم « مؤامرة شبرا » حيث ألقى القبض فى يوم ١ / ٧ / ١٩١٢ على إمام واكد ومحمود طاهر ومحمد عبد السلام فى مقهى بشبرا البلد ، بتهمه تدبير مؤامرة لقتل كل من كتشنر ومحمد سعيد باشا ، وحكم على امام واكد بالأشغال الشاقة لمدة ١٥ عاما ، وعلى كل من محمود طاهر العربى ومحمد عبد السلام بالسجن ١٥ عاما ، تطبيقا لنص المادة ٤٧ عقوبات الجديدة التى تحاسب على الاتفاقات الجنائية حتى ولو لم تنفذ . وقد كان أداة جورج فيليبيدوس للكشف عن هذه المؤامرة مصطفى المحلاوى ، الشهير باسم مصطفى كامل ، الذى حصل على مائتى جنيه منه .

وقد استغل جورج فيليبيدوس ومكتبه السياسى فرصة الحرب العالمية الأولى للإثراء عن طريق الحصول على الرشاوى والاتاوات من المعتقلين السياسيين وتجار

إن موريس(٦٣) أمر بإبقائه فى السجن إلى غد ، لأنه كان على أهبة مغادرة النظارة . ثم قال إن حسن أنيس ، سكرتير المستشار ، كان خاطبه فى التليفون بشأنه ، وفهم منه أن جناب المستشار عارف بالمسئلة .

الرقيق الأبيض وضباط البوليس ، وتلفيق التهم للوطنيين ، وقبض على جورج فيليبيدوس بتهمة الرشوة من المعتقلين ثمنا لحريتهم ، والاتجار بسلطة وظيفته ، كما قبض على مساعده محمود محمد لتوسطه فى الرشوة لرئيسه ، وكذلك فرانشسكو لوسكيافو ، وحكم على جورج فيليبيدوس بالحبس لمدة خمس سنوات مع الشغل ، وحبس زوجته « أسماء » لمدة سنة ، وطرد محمود محمد بك من البوليس المصرى ، وطرد فرانشسكو لوسكيافو من الخدمة ، وتم شطب اسمه نهائيا من قوة البوليس . وقد كان وراء كشف فساد المكتب السياسى جورج موريس ، مدير الأمن العام الذى كان يرغب فى التخلص منه .

(انظر : د. عبد الوهاب بكر : البوليس المصرى ١٨٠٥ ــ ١٩٢٢ ، الجزء الثانى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ١٩٧٧) .

ونود هنا أن نحيل القارىء إلى ما كتبه سعد زغلول عن هذه المؤامرة فى الكراسة الثالثة ، المحققة فى الجزء الرابع من المذكرات ، وإلى حاشيتنا رقم ٣٩٢ مكرر . وقد رجحنا أن يكون تاريخ المؤامرة سنة ١٩١٣ ، على أنه فى ضوء هذه المعلومات الجديدة ، فإنه يبدو لنا أنه لا صلة بين مؤامرة سنة ١٩١٢ ومؤامرة ١٩١٣ التى أوردها سعد زغلول فى مذكراته فى تسجيله لأحداث عام ١٩١٣ ، فالمؤامرة الأولى هى التى تحدث عنها هارولد ويلر Harold Wheeler فى كتابه « قصة اللورد كتشنر » وهى المشار إليها فيما سبق ، أما مؤامرة ١٩١٣ ــ فهى مؤامرة أخرى لم نجد ذكرا لها فى الصحف المصرية ــ كما أوردنا ــ وهذا يفسر قول سعد زغلول : « ويظهر لى من تكرر كشف المؤامرات أنها مفتعلة بقصد الإرهاب » . وقد كان جورج فيليبيدوس وراء هذه المؤامرات كما يتضح من السرد السابق لتاريخه .

(٦٣) جورج موريس George Morice مدير عموم قسم الضبط بوزارة الداخلية من ١٩١٢ ــ ١٩١٧ ، ومدير عموم الأمن العام من ١٩١٧ ــ ١٩٢٠ . =

وقد تكلمت بالتلفون مع موريس ، فأخبرنى بأن (. . .)[٦٤] المفتش هو الذى يعرف تلك القضية ، ولا يدرى هو حقيقتها . ووعد بأن يتعرفها ويعرفنى بها تليفونيا . وراح ولم يعد !

وقد تكلمت مع سعيد فى التليفون باسكندرية ، أن يكلم رشدى باشا من طرفى ، ويرجوه بلسانى أن ينظر فى المسئلة . ففعل . وفى الساعة ثمانية مساء تكلم معى دولته من اسكندرية يقول إن المسئلة فيها نوع من الإشكال صغير . وإنه سيأمر غدا بالإفراج عنه . فشكرت له ، وبشرت زوجته . فارتاحت ، واستكانت نوعا .

وحضر صدقى[٦٥] ، ولازمنى طول الليل .

[ص ١١٩٣]

أما عاطف[٦٦] ، فمع كونه عارفاً بالمسئلة من وقت حدوثها ، فلم يسأل عنها إلا الساعة ٤ من ظهر أمس بالتليفون ، فأجابته رتيبة ، ولكنه لم يجد من المناسب أن يحضر ليراها أو يرانى ! ثم ذهب كعادته إلى النادى ، وحضر فى الساعة ثمانية ، وسأل عن الحالة ، فأخبرته ببرود ! وفى الحال فتح مسألة المديرين ، لأنه يتطلع لأن يكون مديرا ، فلم أجب بشىء ! وتركته يتكلم فيها مع صدقى ! ثم دخل ليرى رتيبة . ويظهر —

= وكان قد التحق بخدمة الحكومة المصرية برتبة صاغ ببوليس أسيوط ١٨٨٤ وظل فى خدمة البوليس حتى ١٨٩٤ حصل خلالها على رتبة بكباشى ، وأصبح مفتشا بتفتيش ضبط الوجه القبلى ، ثم حكمدارا لبوليس القناة ، وفى سنة ١٩٠٢ عين فى وظيفة مفتش بالنيابة العمومية لدى المحاكم الأهلية .

(٦٤) اسم غير مقروء وقد يكون «هينز» .

(٦٥) محمد صدقى بك ، شقيق محمود صدقى باشا عديل سعد زغلول .

(٦٦) عاطف بركات ، ابن شقيقة سعد الأخرى التى أنجبت فتح الله بركات .

كما بلغني ــ أن دخوله كان بطريقة باردة !

ولما اجتمعنا حول المائدة ، أخذت أسلي الحريمات ببعض الكلمات ، فقال : انك تريد أن تسليهن بالحنان[٦٦م] معهن ! فأكبرت الكلمة ، وقلت بغضب : ما هو هذا الحنان يا سي عاطف ؟ فامتقع لونه وسكت !

وقد بتنا تلك الليلة أقل قلقاً . وفي الصباح ، ذهبت إلى مقابلة رشدى باشا في المحطة . ولما حضر ، دعانى لأن أركب العربة معه ، وقال : إنه إشتبه فى رجلكم لكونه يتكلم كثيرا ، ويمسح سواد الجرائد ويعلن ما فيه للناس[٦٧] . وإنى عازم على أن أحضره وأكلمه أمامك ، وأفرج عنه .

فشكرت له ، ودعوته إلى الأكل عندى . فاختار أن يكون ذلك فى العشاء . وأخبرنى أن السلطان أهداه أوتوموبيلا [ص ١١٩٤] جميلا ، فهنأته على هذه الهدية ، وقلت : قد سبق أن خطر على بالى ــ ولا أدرى لأى سبب ــ أن السلطان يهدينى أتوموبيله الأحمر ، وينعم على الجمعية الخيرية[٦٨] بالمنزل الذى كانت فيه دائرته . ولا أعلم لهذا الشعور من سبب ؟ فإذا الهدية أصابتك فلى عليك مثلها ! ولما وصلنا منزله ، وعدنى أن يدعونى فى التليفون .

ودعانى ، وأحضر أمين ونبه عليه أن لا يدع محلا لسوء الظن فيه . فاحتج بأنه لم يصدر عنه ما يوجب اللوم ، وأن أعداءه هم[٦٩] الذين دسوا الدسائس فى حقه ، وأنه يطلب التحقيق ! فأسكته ، وأمر بالإفراج عنه .

(٦٦ م) قراءة تقريبية .

(٦٧) يقصد أنه يقرأ أسوأ الأخبار عن الحرب فى الجرائد ، وينقلها للناس .

(٦٨) يقصد : الجمعية الخيرية الإسلامية (اقرأ حاشية ٣٦٥ فى الجزء الثالث من المذكرات) .

(٦٩) فى الأصل : « أعداءهم » .

وانصرفت معه ، ونبهت عليه أن يعصم لسانه من الكلام ، وألا يشتغل إلا بما يعنيه ، وأنه إذا عاد إلى مثل ما اتهم به فإنى أثور عليه لا له . وشددت كل التشديد .

وبما(٧٠) قلت ــ أمام صدقى وبهى الدين وغيرهم : إن الهيئة الحاضرة ، من السلطان ومكماهون ورشدى إلى غيرهم ، من أصدقائى . وليس لنا إلا أن نشيد بذكرها ، وننشر خيرا عنها ، وندافع عنها بكل جهدنا . أما إذا تطرف منا متطرف إلى الطعن فيها ، فذاك لا يعد إلا إنكارا للجميل .

[ص ١١٩٥]

٦ يونيو

تعشى عندى رشدى باشا وصدقى بيك يوم الخميس ٣ يونيو سنة ٩١٥ . وقال رشدى ــ أثناء حديث ــ : إنك نفعت مظلوم باشا(٧١) : لولاك لم يكن من أصحاب المعالى ! قلت : ولكنه منهم بحكم القانون ! قال : ولكنه ليس منهم باعتبار آخر ــ يشير بذلك إلى أنه سيعطى له الإمتياز الذى يخوله هذا اللقب ، لأن فى النية اعطاءه لى ! ولكنى لا أظن ذلك يحصل ، لأن معارضة كتشنر من شأنها أن تغل أيديهم عن مساعدتى

(٧٠) فى الأصل : وبأنى .

(٧١) أحمد مظلوم باشا ، وزير الحقانية ثم المالية فى وزارة مصطفى فهمى باشا ، ووزير الأوقاف فى وزارة محمد سعيد باشا الثانية (لمزيد من التفاصيل إقرأ حاشيتنا رقم ٣٠١ فى الجزء الأول من المذكرات) وقد تولى رياسة الجمعية التشريعية من ١٩١٤ ــ ١٩٢٣ .

والإلتفات إلى[٧٢] .

فهمت من رشدى ، يوم الجمعة ٤ يونيو ، أن الأنظار كانت متجهة إلى رفت كمال ، مدير أسيوط ، لأنهم كانوا يحسبون أنه سيثبت عليه شيء مما عُزى إليه أخيرا ، ولكن ذلك لم يحصل ، فلم يبق عليه إلا الوقائع القديمة ، التى شملها كتشنر بعفوه ، وإن لم يكن يعلم ما فعل بمدرسة البنات ، والدناءة التى استعملها مع موريس عندما هوى ليقبل يديه ! ولكنى استنتجت من مجموع كلامه ، ومن هيئة الأداء ، أنه محمى بعناية اللورد !

[ص ١١٩٦]

حضر عبد الله[٧٣] أول أمس ، وحكى لى وقائع على أنها شكوى من معاملة الإدارة والمفتش الأول له . وقدم مذكرة بأهم ما لديه ، فلم أجد فيها مُهماً ، ولا ما يستوجب شكوى مرءوس من رئيس ! وأخذت منها أن

(٧٢) لكى نفهم هذه المسألة ، فإن السلطان حسين كامل كان قد أصدر فى ١٨ إبريل سنة ١٩١٥ أمرا سلطانيا بأن يمنح لقب « صاحب المعالى » للوزراء ، ورئيس الجمعية التشريعية ، والسردار ، ورئيس الديوان السلطانى ، وكبير أمناء السلطان ، وأصحاب الوشاح الأكبر من نيشان محمد على ، وحائزى رتبة الامتياز (الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، الجزء الأول ، ص ٢٣) .

ولما كان سعد زغلول غير حائز على رتبة الامتياز ، فقد كان اتجاه السلطان إلى منحها له حتى يحمل لقب « صاحب المعالى » . ولكن سعد زغلول كان يشك فى امكان السلطان منحه هذه الرتبة بدون موافقة كتشنر . على أن السلطان منحه الرتبة فى ٢٢ يونيه كما سنرى .

(٧٣) يقصد عبد الله زغلول ، ابن شقيق سعد زغلول (الشناوى أفندى زغلول) وقد أصبح عضو مجلس مديرية الغربية ، وتوفى فى عام ١٩٢٦ (الجزيرى : آثار الزعيم سعد زغلول ، عهد وزارة الشعب ، ص ٢٤٩) .

عبد الله جاهل بمركزه من رؤسائه ، وبواجباته ، وفوق ذلك فيه كيد الغشيم ! فعنفته تعنيفا شديدا ، وأوجعته بالكلام ، لأنى كنت نصحته أن يخضع لرؤسائه ، وأن يحسن معاملة مرءوسيه ، وأن يدارى الحكام ، فلم يفعل إلا ضد ذلك ! ورأيت أن أبالغ فى إيلامه ــ خصوصا بتقريعه أمام عاطف ــ ليكون ذلك أبلغ فى ردعه ، وأنفع فى إنصاحه .

يوم ٨ يونيو

أكثر الناس إنتفاعاً بالمبادىء الجميلة التي حددتها الحكمة ، وأوصى بها العقل ، هم المخالفون لها ! فترى ــ مثلاً ــ الألمانيين عندما خرقوا حرمة البلجيك ، يهزأون بالوفاء بالعهد ، ويقولون : إن هو الاخرقة بالية ! ثم إذا خرج البلقان من تحالفهم ، وأشهروا الحرب عليهم ، قالوا : ما أقبح خيانة العهد ! [ص ١١٩٧] ونرى كل دولة من الحلفاء مستولية على كثير من المستعمرات ، بحجة كونها قوية ، وتجب لها السيادة(٧٤) ثم إن كلا منهن تلعن ألمانيا لأنها تريد أن تستعبد العالم أجمع ! سبحان الله ما أبعد الإنسان عن العقل فى قوته ، وما أقرب منه فى ضعفه ، وما أبكاه على العدل عندما يكون مغبونا ، وما أشد ارتياحه للظلم إن كان هو الظالم .

٩ يونيو

إذا أردت أن تكون كبيرا ، فلا تأت الصغائر !

وإذا أردت أن تكون سيدا فلا تضع نفسك حيث الخدم .

---

(٧٤) فى الأصل استخدم سعد زغلول ضمير المذكر الغائب المتصل ليعود على « دولة » بدلا من ضمير المؤنث ، على هذا النحو : مستوليا ــ كونه ــ قويا ــ له ــ وقد أجرينا التعديل اللازم كما هو موضح فى المتن .

أحسن وسيلة تتوصل بها إلى الاعتدال فى قولك وعملك ، هى أن تضع نفسك دائما موضع من تلوم !

لا تفتكر أن الإنسان مَلَك من السماء ، بل هو مخلوق يميل بطبعه إلى أشياء ممنوعة فعلًا ، وقد يكون السبب فى منعها الضرورة الإجتماعية [ص ١١٩٨] ما أصعب عيشة الذين خرجوا على الشرائع الأهلية ، ووضعوا لأنفسهم شرعاً يحرم عليهم كثيراً مما أحلته تلك الشرائع ؟ إنهم لخاسرون فى الدنيا بما قيدوا أنفسهم ، وفى الآخرة إن كانت بما خالفوا من العقائد !

إذا ما تراكمت الهموم عليك ، فبددها بذكرى الآخرة . وإذا فاتك مرغوب ، فافرض أنه وصل إليك ! وعش مرتاح الفؤاد ، فإن إتعابه لا يصل مقطوعاً ، ولا يقطع موصولا .

إن سلمت الناس من يدك ولسانك ، وانتفعوا على قدر الإمكان ببرك ومودتك، فاهنأ ، فإنك أسعد الناس .

أنظر إلى من فوقك فى سرورك ، وإلى من تحتك فى حزنك ، فإن هذا أمنع لطيشك فى الأولى ، وأبعد لغمك[٧٦] فى الثانية .

لا تصاحب الأشرار يبعد عنك[٧٧] شرهم ، ولا تناصبهم العداء إن كنت لا تقدر عليهم .

مجاراة العالَم أسهل من تعديله !

---

(٧٦) فى الأصل : « أبعد من غمك » ، وقد تكون : « أبعد عن غمك » .
(٧٧) قراءة اجتهادية مستقاة من المعنى .

[ص ١١٩٩]

أشقى الحياة حياة العاطل ، وألذها حياة العامل ، وخير العمل ما انتفع الغير بفائدته .

لا تعجب بما عملت ولو كان عظيما ، فإن العُجْب يحمل النفوس على العناد ويبخس الأشياء .

٢١ يونيو سنة ٩١٥

أنعم الجناب السلطانى برتب ونياشين عل الوزراء ورئيسهم ، والأمراء : فؤاد ، وكمال ، وعمر . وانتقد بعضهم توجيه هذه الرتب والنياشين فى آن واحد على الوزراء !

فى ٢٢ يونيو

أنعم[٧٨] عظمته على مظلوم باشا وعلىّ برتبة الإمتياز ، وعلى آخرين من الموظفين والأعيان برتب مختلفه .

وحار الناس فى منح الباشوية لبعض الباشوات ، والبيكوية لبعض البيكوات ، ولم يهتدوا لتأويل صحيح .

وقد توجهت إلى[٧٩] الإسكندرية يوم ٢٤ ، وقابلت السلطان ، وشكرت لعظمته الإنعام . وكذلك رشدى باشا والوزراء فى بولكلى .

وزرت مكماهون ، ولم أقابله ، وعدت فى اليوم نفسه . ولم أستقبل تهانى على هذه الرتبة إلا من القليل ، وأغلبهم [ص ١٢٠٠] ممن لم أكن أنتظر منه تهنئة ، ولا وداد بينى وبينه !

(٧٨) فى الأصل : « أنعمت » .

(٧٩) « إلى » غير موجودة فى الأصل .

٢١١٤

وقد ارتحت لهذه الرتبة وتألمت ! أما وجه الإرتياح ، فلأنها تدل على أنى غير مبغوض من الهيئة الحاكمة ، ولهذا تأثير فى بلدنا على كثير من الناس ، الذين نعيش فى وسطهم ، ومصالحنا مرتبطة معهم .

وأما وجه التألم ، فلأنها تعرضنى لسخط فريق من الناس ، الذين بهم سخط على الهيئة الحاضرة ، والإتهام بأنى خرجت من الوطنية ، ودخلت فى دين الخائنين .

والله يعلم أنهم مخطئون ، وأنى أكثر وطنية منهم ، وما نلت هذه الرتبة بالتساهل فى شيء من واجباتى ، ولا بالموافقة على ما لا ترضاه ذمتى . ولقد دلتنى التجارب أن أكثر الإنتقاد إنما يصدر ممن لايهتم إلا بصالحه ، وأما الذين يهتمون بالصالح العام ، ويفخرون بالفضيلة ، فلا ينتقدون إلا قليلا ، ولا يشعرون التكبر على غيرهم إلا بطريق الإعتدال ، ولا تجد فى نفسك حرجاً من انتقادهم ، لأنه صادر عن روح الإخلاص ومحبة الخير العام .

ولقد أعرف الكثير ممن لا يستفزهم حق خُذل ، ولا باطل نُصر ، يؤيدون الزور ، ويزورون الحقيقة ، ويكتمون الحق متى كان لهم فى ذلك فائدة . ولهذا يجب على العاقل أن لايتقى إلا الله وتوبيخ الضمير فقط .

[ص ١٢٠١]

٣٠ يونيو

ذهبت إلى العزبة ، مع شوقى ومحمد يوسف بيك وحتاتة . وكان يوما شديد الحر للغاية . وقد بلغنا فى الطريق خبر وفاة المرحوم محمود رياض باشا فى إسكندرية ، وأن عظمة السلطان أجل جلسة مجلس الوزراء مجاملة للرئيس رشدى باشا . فكتبت تلغراف تعزية إلى رشدى

٢١١٥

بإسكندرية . وذهبت فى المساء إلى الميتم وكان معى صديق ، وكان بالخيمة خلق كثير من طبقات مختلفة .

وغضب منى شكرى ، أمام على باشا شعراوى ، لأنى تجاهلت العلم بورود تلغراف من كتشنر إلى حسين محرم فى شأن قضيته . وكان صدقى أخبره بما يدل على علمى به . وكان الغضب شديدا ، فأعلى صوته أمام الحاضرين ، وتوسط شعراوى بالاسكات .

واجتمعت بسعيد ، ورأيته ضد الحلفاء . وقال : إن فى البحر الأبيض سبع غواصات ، منعت الصادر والوارد من والى إسكندرية ، وإنهم اكتشفوا على مستودع لها فى السلوم وغيرها ، وإن لدى الترك جيوشا فى المورة ، ويبنى فى الأستانة رستا لجمع(٧٩م) مائتى ألف مقاتل من كل هذه الجبهات .

وفهمت من رشدى أن المستشار المالى قدم مذكرة يعارض فيها إعطاء لطفى بيك السيد سبعمائة جنيه ماهية فى الكتبخانة ! وأنه لا علم له بشيء فى قضية محرم ، ولكنه سئل ـ كشاهد فيها ـ عن بعض نقط لا أهمية لها .

[ص ١٢٠٢]

يخطر فى بالى أن هذه الحرب إذا انتهت صلحاً ، من غير أن يكون لفريق الغلبة على الآخر ، تؤثر تأثيراً شديدا فى القوانين الإقتصادية والمدنية ، وقد تحمل أغلبية العقلاء والمسئولين فى كل أمة ، من الكتاب والساسة والحكماء والعلماء ، على أن يبحثوا فى طريقة توجب إبطال الحرب .

أما تأثيرها فى القوانين ، فلأن الثقة ، التى هى أساس عظيم لكثير من المعاملات فى العالم ، تضعف ضعفاً شديدا ، ويترتب على هذا الضعف

(٧٩ م) قراءة تقريبية .

تغيير جميع الأحكام التى كان أساسها قوة الثقة. فلا يمكن لأجنبى أن يمتلك عقاراً ، ولا أن يؤلف شركة ، أو أن يفتح محلا للتجارة ، اللهم إلا تحت شروط خاصة ترمى — على الأقل - إلى تداخل الحكومة ، ومراقبتها الشديدة . ولا تدخل بضاعة أجنبية ، ولا تخرج كذلك بضاعة وطنية إلا بقيود وشروط صعبة جدا . ولا يتحرك أجنبى حركة إلا تحت مراقبة شديدة ، ولا يستخدم أجنبى فى محل تجارى أو صناعى أو زراعى ، أو فى بيت أو منزل ، إلا نادرا ، وتحت روابط ضيقة جداً .

[ص ١٢٠٣]

أما كونها تحمل على السعى فى إبطال الحرب ، فلا شك عندى فى أن أنصار السلام يكثرون جداً ، ويجدون من كل أمة وكل قطر آذانا تصغى لأقوالهم ، وقلوباً تتأثر بها ، وعقولا تقدرها حق قدرها ، لأنها تكون قد أدركت جميع الأضرار الناتجة عنها إدراكاً آتياً من الحس والعيان ، لا من الرواية والبيان .

نعم إنه يصعب أن توجد طريقة لإبطال الحرب ، ولكن صعوبة الوصول إلى الغاية لا تمنع من السعى إليها ، وجمع العزائم عليها .

على أننا إذا رجعنا إلى مبدأ الإنسانية ، نراها سائرة بالتدريج إلى السلام الدائم . ونستنتج أنه ليس من المستحيل أن يصبو إليه الإنسان . فقد كانت أفراد الإنسان فى بداية أمرها فى حرب مستمرة بعضهم ضد بعض ، ثم انضم أفراد كل عائلة إلى بعضهم ، وألفوا بينهم وحدة هى العائلة ، وانتقل الحرب من الفرد إلى العائلة ، ثم منها إلى المدينة ، ثم منها إلى القبيلة ، ثم منها إلى الأمة ، ثم اتسعت إلى الدولة . فلمَ لا يجوز

أن تنتهى بالزوال من الدول ؟

نعم إن مطامع الإنسان تدفعه إلى التعدى على غيره ، ولكن هل يستحيل أن تقبل كل دولة أن تخصص جزءا [ص ١٢٠٤] من قوتها لأن يكون تحت تصرف محكمة تحكيم ، يُرجع إليها فى فض كل خلاف يقع بين دولتين فأكثر ، ويكون لها الحق بأن تستعمل هذه القوة ضد الدولة التى لا ترضخ لحكمها ، ولا تتبع القانون العام ؟ إذا قيل انه يخشى أن تستبد تلك المحكمة بالأمر ، قلنا : ان ذلك لا يكون ، لأنها مؤلفة من أعضاء من دول مختلفة .

على أنى عندما أرى الإتحاد الأميركانى ، والإتحاد بين أغلب الدول الأوربية فى هذه الحرب ، لا أستبعد أصلاً أن يتم هذا الإتحاد بين الدول جميعاً ، وقاية للإنسانية من الحروب وويلاتها [٨١] .

---

(٨١) هذه الفكرة التى عرضها سعد زغلول ، هى أصل فكره « عصبة الأمم » التى نشأت فى أعقاب الحرب ، وأصل فكرة الدكتور ولسن ، رئيس الولايات المتحدة ، التى أطلقها أثناء الحرب عن « سلم بلا نصر » ، و« تأليف عصبة الأمم » .

وقد كتب سعد زغلول هذه الفكرة فى ٣٠ يونيو ١٩١٥ ، قبل دخول الولايات المتحدة الحرب فى عام ١٩١٧ ، وقبل أن يعلن الدكتور وودرو ويلسون نقاطه الأربع عشرة فى عام ١٩١٨ .

على أن فكرة فرض السلم بواسطة قوة عسكرية دولية ــ كما اقترح سعد زغلول ــ لم تتحقق إلا بعد حرب عالمية أخرى ــ هى الحرب العالمية الثانية ــ بإنشاء مجلس الأمن . وقد كانت حرب تحرير الكويت صورتها التنفيذية المثالية ، كما كانت الحرب الكورية صورتها المحرفة !

2118

فى ٣ يوليو سنة ٩١٥

أول أمس توفيت الأميرة خديجة خانم ، حرم الأمير حسين باشا ، شقيق السلطان ، وشيعت جنازتها فى مصر من كوبرى قصر النيل إلى المحطة ، حيث تحمل لتدفن فى الإسكندرية . ولم يحضر من الأهلين إلا القليل ، وتخلف الأمير فؤاد فلم يحضر الجنازة ! وكان مساء فى الكلوب ! وذهبت الظنون فى ذلك مذاهب !

[ص ١٢٠٥]

الحمد لله ، أشعر الآن بنوع من الراحة فى الفكر ، والهدوء فى البال ، والاستعفاء عن كثير مما يتعلق به الناس عادة .

ولم أعلق على رتبة الإمتياز أهمية ، ولم تقع عند الناس ــ حتى الأصدقاء والأقارب ــ الموقع الذى يناسب ما أعطته الحكومة لها فى القانون من الأهمية !

من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه !

من سوء التدبير أن يسعى الإنسان فيما لا فائدة فيه ، وأن يتهاون فيما فيه كل الفائدة !

فى الناس من يتلذذ بالمنكر ، وهماً لا حقيقة .

١١ يوليو سنة ٩١٥

فى يوم الجمعة ٨ يوليو ، عندما كان موكب السلطان مارا من شارع رأس التين بإسكندرية ، لأداء صلاة الجمعة ، إذا بقنبلة ألقيت على عربته ، فأخطأتها ، وسقطت بين أرجل الخيل ، ولم تنفجر !

ولم يعلم السلطان بها حتى أدى الصلاة ، وعاد وتغدى ، وبعد ذلك علم بالحادثة .

٢١١٩

ويظهر أن الذين رءوها من الذين كانوا معه ، لم يهتموا أول الأمر بها ، ولم تتوجه أنظارهم إلى المنزل الذى سقطت منه إلا بعد برهة [ص ١٢٠٦] تمكن الفاعل فيها من الهروب ، بالوثب من سطح إلى سطح حتى أفلت تماما .

وتبين ــ من التحقيق ــ أنه شاب إستأجر شقة فى المنزل الذى سقطت منه ، من يوم ٢٨ يوليو ، ولم يؤثثه ، ووجد فى هذه الشقة قنبلة أخرى . وصاحب المنزل يعرفه ، ويعرف المزين الذى توسط فى تأجير المنزل إليه بالذات . وقد سمى نفسه فى عقد الإيجار بإسم محمود حلمى من (. . .)[٨٢] ولكن لم يوجد في هذه الناحية من يحمل هذا الإسم ، ولايزال التحقيق جارياً . .

وقد توافد كثير من الناس على سراى رأس التين للتهنئة ، وأرسلت مهنئا ساعة وصول الخبر يوم الجمعة الساعة ٩ مساءً ، ثم سافرت إلى إسكندرية .

واستقبلنى السلطان وحدى ، ومكثت فى حضرته مدة أربعين دقيقة . ورأيته متأثراً جداً ، وكان يختنق أحياناً بالبكاء ، وكنت ألاطفه ، وأسهل وقع الحادث عليه .

ويُؤلمه تصور أن الشعب لا يحبه ، ويستخف به ، رغم ما يسديه من المعروف ، وما يبذله من الجهد فى سبيل إسعاد الوطن وتقدمه . والذى يقلقه أن هذه الجناية لا ترتكب إلا باشتراك الكثيرين .

وقال لى إن مظلوم باشا غضب لاشتراكى معه فى رتبة الإمتياز ! فقلت له : إن الرتبة لا تهمنى ، ولكن رضاه . وتستوى عندى[٨٤] الرتبة

(٨٢) اسم غير مقروء . وقد يكون النهارية .

(٨٤) قراءة اجتهادية مستقاة من السياق .

عظمت أو صغرت ، فإنى مدين له بشىء كثير .

[ص ١٢٠٧]

وقال : إنى معدك لأمر هام ! (كلام إن اعتقدَه لا يمكنه أن ينفذه كما دل علية الإختبار ! ولكنى قبلته منه وشكرته عليه) . ثم وصانى أن نُفهم الناس حقيقة ماانطوى عايه من مكارم الأخلاق ، ومن علو الشعور . وانصرفت متأسفاً على حالته .

ولم أجد رشدى فى الوزارة . وقابلت عدلى ، وفهمت منه أن المحافظ لم يأخذ خبرا بالحادث إلا بعد ست ساعات من وقوعه ! والوزراء لم يعلموا بها إلا عرضاً ! وأنه حصل تثاقل من البوليس فى أول الأمر ! واستغربت ــ معه ــ أن يكون الجانى غريباً ، وينزل فى أحد المنازل مستأجراً ، ولا يشعر به أحد من رجال السلطة ! وشعرت ــ من بُعد ــ أنه غير راضٍ عن إدارة رشدى !

وقد تكلمت بالتليفون مع رشدى من سفواى أوتيل ، بأنى لم أتمكن من مقابلته . فقال لى : متأسف ومتشكر ، ولم يزد . ولابد أن يكون مشغولا أو مذهولا ، لأنى لا أظنه مشتغلا .[٨٢] .

وكنت صادفت ، فى طريقى إلى اسكندرية ، لطفى بيك السيد ، فتغديت معه ، وفهمت منه أن مسئلته انتهت على أن يأخذ راتباً ستمائة جنيه لا أزيد .

---

(٨٥) يقصد سعد زغلول بكلمه « مشغولا » غير ما يقصد ــ بكلمة « مشتغلا » . فالكلمة الأولى تعنى : « مهموما » والكلمة الثانية تعنى : « مشتغلا بعمل » .

والناس الذين رأيتهم عقب هذه الحادثة ، لم أرهم متأثرين منها كتأثرهم للحادثة الأولى ! ولعل لمسئلة توزيع الرتب والنياشين دخلا فى هذا الفتور . والتشريفات فى سراى عابدين [ص ١٢٠٨] كانت تجرى فى سراى رأس التين على غير قاعدة . ولابد أن يُسخط هذا الأسلوب كثيرا من الناس ، أو يزيد من سخطهم .

والناس ، على اختلاف أهوائهم ومشاربهم ، يأخذون على السلطان خلطه بين الناس ، وعدم تمييزه بين أفرادهم ولا طبقاتهم ، وكثرة كلامه ، وافضاءه لكل من لقيه بكل ما عنده ، وافتخاره بالقوة والسلطان وليس فى يده شىء من السلطة والنفوذ . ومقامه فى الناس يسقط يوماً فيوماً ، واستخفاف الخلق به يزيد آناً فآناً !

وقد قلقت الحكومة لعدم وقوفها على من ألقى القنبلة على عربته يوم ١٨ الجارى ، وجعلت لمن يعثر عليه ، أو يرشد إليه ، جعلا خمسمائة جنيه مصرى ، ونشرت ذلك على الناس .

وإنى آنس من الإنكليز فتورا فى هذا الحادث ! ولا أعرف العلة فيه ! والله أعلم !

[ص ١٢٠٩]

حدثنى أحد الأصدقاء ، بأنه هام زمن الصبا بفتاة كانت تسكن معه فى بيت ، فأخذ يغازلها حتى إستمالها إليه ، ولكنه عندما أراد وصالها خطر فى باله ، وهو يعانقها ، الجنة ونعيمها ، والنار وجحيمها ، فاسترخى ، وندم ، ولم يفعل ــ من ذلك الوقت ــ شيئا يغضب الله .

ومن هذه الحكاية ، يُستدل على أن الإيمان بالله ينهى عن الفسق والمنكر ، ويقيهم من الفجور .

٢١٢٢

أرشد تلميذ ، فى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية باسكندرية ، عن أستاذ فيها رآه يوم الخميس ، السابق على اليوم الذى ألقيت فيه القنبلة ، داخلا المنزل الذى حصل إلقاؤها منه . وكان أفضى إلى أبيه بهذه المشاهدة فأخبر البوليس بها ، وبناء على ذلك قبض على ذلك الأستاذ ، وهو شاب يبلغ من العمر ٢٥ خمسة وعشرين سنة ، تخرج من مدرسة مصطفى كامل . ولما فُتش منزله وُجد فيه أوراق تدل على أنه من الحزب الوطنى ، ومن المغرمين بمبادئه وسياسته ، [ص ١٢١٠] وعدد رجاله وشيعته . وفتش منزل والده فى آن الوقت ، فوجد من بين أوراقه خطاب من إبنه إليه ، يقول له فيه ما حاصله: قد انتهت الامتحانات ، وعولت على أن أبقى فى إسكندرية إلى ١٥ رمضان ، ترويحاً للنفس من عناء الأعمال . وإنى أرى المستقبل مظلما ومعتما للأمة ! ولا أدرى أنكون من الأشقياء أم من السعداء ، من الأموات أم من الأحياء ؟ . وإنى أرسل بصورتى إليك ، فاحترس عليها أشد الإحتراس حتى أعود ، لأنها البقية الباقية . وإنى أجثو على ركبتى ، وأطلب منك الدعوات الصالحة !

وتبين أنه صنع من هذه الصورة ١٢ نسخة ، ولم يوجد عنده واحدة منها . وكذلك لم يوجد عنده الكليشيه الذى كان اشتراه ، وقال إن كل ذلك ضاع منه ! ولم يفسر ما جاء فى ذلك الخطاب بتفسير مقبول .

ولما رآه الحلاق ، الذى كان واسطة فى إيجار المنزل فى العزل[٨٦] ، فدل بمعرفته ، وقال إنه حضر إليه ، وسأله عن المنزل المذكور فدله عليه ، وكان معه مفتاحه .

ووجد فى المنزل المذكور ــ عند تفتيشه ــ عُقْب سيجارة ، عليها اسم تاجر ، تبين أنه شاهد هذا الأستاذ . وتبين من أقوال الأستاذ والتاجر

(٨٦) قراءة اجتهادية .

أن هذا يبيع إلى ذاك مزيجاً خاصاً من الدخان لا يبيعه لغيره ! وأكد التاجر وأهل الخبرة أن ذلك العقب [ص ١٢١١] من هذا المزيج (٨٧) .

وقد حكى تاريخه بعد وقوع الحادثة ، وأتى فيه ببعض وقائع ظهر من التحقيق كذبها . من ذلك أنه أكد أنه بات ، ليلة تسعة وعشرة يوليو ، عند من يدعى عبد الله حسن . فكذبه هذا فى ذلك ! ولما ووجه به قال : إذن أكون بت هاتين الليلتين عندى ، لأنى إما أن أبيت عندى، أو عنده ، فمادام أنه لم يثبت أنى بت عنده ، يثبت أنى بت عندى !

ومن الغريب أنّ فى ملامح هذا الشاب وهيئته ، شيئا يشبه مصطفى كامل ، وعلى الأخص حركاته !

والحكومة مهتمة غاية الاهتمام بالوقوف على الشركاء ، لأنها تعتقد ــ كما هو الظاهر ــ أن إلقاء تلك القنبلة ليس إلا نتيجة عمل أيدٍ كثيرة ، واشتراك أشخاص متعددين .

ورشدى باشا يحضر التحقيق بنفسه ، ويباشر أولا جمع الإستدلالات ، ثم يدفع منها إلى النائب العمومى ما يراه مفيدا لكشف الحقيقة . وكذلك يلازم التحقيق ناظر الحقانية . وقد حضرت بعضه .

ولم أرتح لإشتراك هؤلاء فيه ! لأن هؤلاء ليس لهم أن يستعملوا سلطة التحقيق إلا بواسطة الإنتداب ، [ص ١٢١٢]

---

(٨٧) لتوضيح هذا الكلام ، فإن التدخين فى ذلك الوقت كان يتم بطريقتين ! إما شراء سجائر جاهزة الصنع من ماركات مختلفة ، وإما شراء الدخان (التبغ) من صنف واحد أو خليط من الأصناف ، وشراء دفاتر أوراق السجائر الصغيرة ، ولف السيجارة بوساطة اليد عند التدخين ، عن طريق وضع كمية من التبغ فى الورقة الرقيقة الصغيرة ، ولفها باليد حتى تتحول إلى سيجارة ، ويلصق طرفها عن طريق البلل باللسان .

لا بأنفسهم(٨٨) . وفى ذلك الغباء إسقاط من هيبة الحكومة ، وابتذال لها .

وقد أخذ بعض الناس على رشدى سهره بنفسه على حياة السلطان فى غدواته وروحاته ، وفعله ما هو من خصائص مأمورى الضبط ، فيصحبه إلى الجامع ! ولايصح اشتغاله بحراسته وقد رأيته ، ليلة الإحتفال بوفاة محمد على ، فى طريقه إلى العباس المرسى ، وهى ليلة ١٣ رمضان ، آتيا خلف السلطان على قدميه ، وعند إنصرافه شيعه كذلك ! ورأيت عدلى مستاءً كل الإستياء من ذلك ، غيرة على المسند(٩١) وكرامته .

ويتردد رشدى بين إسكندرية ومصر(٩٢) غالباً ، باحثاً مدققاً مشتغلاً كل الاشتغال مع البوليس ! ولا يتمكن إلا القليل من مقابلته !

وقد سمعت منه أن السلطان ألحَّ عليه فى إبعاد عثمان مرتضى (٩٣) من القطر المصرى . وطلب أيضاً جاد شوقى ومن يدعى ساتو(٩٤) ، وبعض موظفى الخاصة ، بعلة كونهم يتآمرون عليه ، ويروجون عند الناس تعيين عباس باشا .

[ص ١٢١٣]

وقد نشر جورنال دى كير ، بتاريخ ٢٩ الجارى أى ٢٩ يوليو ، أن السلطة نفت هؤلاء ، وزادت عليهم حافظ عوض ، وإسماعيل أباظة ــ

(٨٨) هنا يؤكد سعد زغلول ضرورة الفصل بين السلطة التنفيذية والسلطة القضائية .

(٩١) المسند يعنى المنصب ، فيقال : مسند الخديوية ، أى منصب الخديوية .

(٩٢) مصر هنا تعنى « القاهرة » .

(٩٣) عثمان مرتضى ، السر تشريفاتى الخديوى .

(٩٤) قراءة تقريبية .

ولكن هذا الخبر لم يثبت بعد . وعلى كل حال ، فمهما كان من فساد أخلاق هؤلاء ، فإن الحكومة تكون ملومة إذا عملت على إبعادهم من غير أن يكون لديها ما يبرر هذا الإبعاد(٩٥) ولا أظن ذلك ، لأنها تعودت التأنى فى هذا الأمر ، وشدة الإحتياط .

٣١ يوليو سنة ١٩١٥

لا يشغل فكرى منذ شهر ما يؤلم ، ولا يرد على خاطري ما يزعج ، ولا يتعاقب على نفسي ما يقلقها من الشعور والإحساس . ولكنى مشغول بغير ما كنت من قبل مشغولا به ، وهو الميل إلى محادثة النساء ، ومغازلتهن ! وكلما نظرت إلى مليحة تأثرت بملاحتها ، وملكنى شيء من الميل إليها ، [ص ١٢١٤] وكلما خلوت بنفسى رأيتها لا تشعر إلا بهذه الشهوة !أفهذا عرض من الأعراض ، أو مرض من الأمراض ، أو حال من أحوال الشيخوخة ؟ لا أدرى ! ولكن يلزم معرفته(٩٦) !

---

(٩٥) ربما كان هذا التعليق من جانب سعد زغلول على ابعاد إسماعيل أباظة باشا ، وادانته للحكومة لابعاده ، مما يصور جانبا من جوانب هذه الشخصية ، وهى كراهته للظلم حتى ولو لحق عدوا له ، وهو يختلف بذلك عن كثيرين ، الذين يشمتون فى أعدائهم إذا لحق بهم أى ضرر . لقد كانت الخصومة بين سعد زغلول وإسماعيل أباظة شديدة ، وبلغت ذروتها فى أعقاب استقالة سعد زغلول ، حين لعب إسماعيل أباظة دور مخلب القط للخديوى ، وهاجم زغلول على نحو لم يملك معه سعد سوى مقاضاته ، وشغلت القضية الرأى العام ، وسببت لسعد زغلول كثيرا من الآلام . ولكنه لم يقبل ابعاد الحكومة لإسماعيل أباظة عن غير مبرر . وقد كان الأبعاد لمديريته .

(٩٦) هذا نص فريد ! لأن سعد زغلول لم يسبق أن أبدى هذا الاهتمام بالمرأة ، طوال صعوده إلى السلطة ، أو طوال تعلقه بالمنصب الحكومى أو النيابة عن الأمة . وفيما يبدو أن السبب فى ذلك هو الفراغ والبطالة أيام الحرب العالمية الأولى

يوم أول أوغسطس سنة ٩١٥

لم يحدث فيه ما يستحق الاثبات .

يوم الاثنين ١٠ أغسطس سنة ٩١٥

حضر عندى فى نحو الساعة ١١ مساء الشيخ ناجى ، رئيس المحكمة العليا ، وقال إنه عقب دخول رمضان ، كتب تقريرا إلى عظمة السلطان فى شأن عدم ثبوت كون أول رمضان الثلاث ! ورجا أن لا يؤمر بإطلاق المدافع إيذانا بإقبال العيد ، بالنهار ، بل ينبغى الانتظار إلى ما بعد الرؤية والإثبات . فلم يجب على هذا من المعية ، وأرسل إليه شكرى باشا ، وكيل الحقانية ، فحادثه فى الأمر ، وطلب منه ألا يتشبث فيه(٩٧) . ثم قال لى إنه نبه عليه أن يجلس لغروب اليوم . فجلس ، ولم يثبت شيئا ! [ص ١٢١٥] وتنبه عليه أن لا يجلس غداً . وإنه حائر فى أمره !

قلت له : الأولى الامتثال لما أُمرت به ، وإذا شئت أن تعمل بعلمك فى خاصة نفسك ، فلا جناح عليك .

قال : إنى لا أقدر أن أذهب إلى إسكندرية ، ولا أن أرسل تلغرافا للتهنئة ، خوفاً من أن يكون هذا إقراراً على أن العيد يوم الأربعاء !

قلت : الأولى لك أن تذهب إلى إسكندرية ، حتى لا يقال إنك

---

(٩٧) وقد تقرأ «ألا يتثبت منه» ، ويكتب سعد لفظ «ألا» فى صورة «أن لا» .

مخالف ! وإذا رأيت ــ بعد أن تكون هناك ــ أن لا تذهب إلى السراى ، فافعل ، من غير أن تظهر للناس أن امتناعك للمخالفة [٩٨] .

ولقد ذهبت فى اليوم التالى مساء إلى إسكندرية ، وتوجهت فى الساعة التاسعة مع عاطف إلى رشدى باشا فى الرمل ، فرأينا عنده عدلى ولما استقربنا المقام ، أخذ يقص علينا ما كان من نتائج التحقيق فى حادثة القنبلة . وفهمت منه أن شاباً يدعى إبراهيم صالح ، أرشد عن أناس يؤلفون جمعية تسمى جمعية الرابطة الإسلامية ، وسئل بعضهم وأبقى سؤال البعض إلى غد . وعند الانصراف تعرف [ص ١٢١٦] صادق ، المزين الذى كان واسطة فى إستئجار البيت الذى ألقيت القنبلة منه ، من بين[٩٩] الذين سبق سؤالهم ، على شاب من تلامذة مدرسة التجارة ، يدعى محمد شمس الدين ، وقال إنه هو الذى إستأجر ذلك المنزل ، وكتب العقد بخطه . ووافق على هذا التعرف كل من صبيه ومالك البيت . وأظهرت المضاهاة أن خط العقد خطه . وأنكر ذهابه إلى اسكندرية من ثلاث سنوات ، فثبت أنه كان فيها فى التاريخ الذى ألقيت القنبلة فيه ، وأنه كان ضيفاً عند أحد التجار . وأنكر هو معرفته ذلك

---

(٩٨) واضح أن سعد زغلول كان يساير الشيخ ناجى ، وأنه غير مقتنع برأيه ، والقضية هى قضية الخلاف بين مدرسة ضرورة ثبوت الرؤية بالعين المجردة ومدرسة الاكتفاء بالحسابات الفلكية . وقد أعلنت الدولة بداية شهر رمضان يوم الثلاثاء بناء على الحساب الفلكى ، ولكن الشيخ ناجى كان يصر على الرؤية بالعين ! وحتى يسكته وكيل الداخلية ، طلب منه الجلوس للغروب للتثبت من رؤية الهلال بعينيه ، فلما أعلن أنه لم ير شيئا ، لم يسمح له بالجلوس للغروب فى اليوم التالى لمحاولة الرؤية من جديد ، لأن بداية رمضان تكون قد ثبتت يوم الثلاثاء .

(٩٩) أضيفت « من بين » ، وحذفنا : « فتعرف من بينهم » لسلاسة العبارة

التاجر ، ولكن ثبت عليه معرفته بخطاب شكر ، أرسله إليه عقب إنتهاء الضيافة ووصوله إلى بلده . وقد كذب فى كثيرمن الأقوال التى أبداها كما تبين من تحقيقها .

ووصل إلىّ خبر هذا الإكتشاف بالتليفون بواسطة سعيد بيك زغلول ، ثم تأكدته من رشدى باشا وعدلى باشا بالتليفون أيضا ، وذهبت إلى إسكندرية يوم ١١ كما سبق البيان .

بعد أن انتهى رشدى باشا من هذه القصة ، إنتقل إلى قصة أخرى ، وهى أن الحكومة دست ضابطين إنكليزى ورومى بين الأسرى الأتراك ، فأوهماهم أنهما ألمانيان ، ولكن قصدهما أن يثبتا للحكومة أنهما روسيان ، حتى تحسن معاملتهما ، وتخلى سبيلهما ، وأنهما توصلا إلى هذا الإثبات . (ص ١٢١٧] واقتنعت الحكومة بروسيتهما وأخلت ــ بناءً على ذلك ــ جانبهما .

فهذان الضابطان ترددا بين(١٠٠) بعض أسرى الأتراك الذين هم من أصل مصرى . ولهم أقارب ومعارف بالمنصورة . وأخذا يوصلان رسائل بين الفريقين .

ويتضح من هذه المراسلة أن جماعة من المنصورة عقدوا النية على أن يساعدوا الأتراك عند دخولهم مصر ، بإحداث الشغب فيها ، بأن يتوجه منهم جماعة إلى كل مديرية ، ليبثوا الهياج فيها ، ويكسروا الكبارى ، ويقطعوا طرق المواصلات . وأنهم مستعدون للقيام بهذه الأعمال ، متى حضرت إليهم الأسلحة ــ التى كانوا يعبرون عنها بأنها كتب فى رسائلهم !

---

(١٠٠) أضيفت : « بين » .

وكانوا صمموا على أن يعقدوا إجتماعاً هائلاً فى إسكندرية ، يضم إليه كل أعضاء حزبهم أو أغلبهم ، ليقروا الخطة التى يجرون عليها فى تنفيذ قصدهم . ولكن بوليس المنصورة ـ الذى لم يكن له علم بصفة هاتين الضابطين الرسمية ـ إرتاب فى حركاتهم الظاهرية ، وألقى القبض على أحدهما ! وترتب على ذلك أن امتنع هذا الإجتماع .

ولقد قالا ـ أى الضابطان ـ إنهما علما من جماعة المنصورة أن وراءهما أناساً من الأعيان الكبار ، وذكروا لهما أسماء مكباتى بيك ، وغيره من الأعيان ، [ص ١٢١٨] وبعض الموظفين . قالت الجماعة لهما ذلك ، بعدما قالا لها : إننا نرى أنكم صغار على هذه الأعمال ! فقالوا : ولكن لنا رفاق من الكبار !

وكان رشدى يلقى هذه العبارة وهو يبدى السرور من وقوف الحكومة عليها ، ويعجب باكتشافها ، ويلعن بوليس الدقهلية لتسرعه فى القبض على أحد الضابطين ، وبوليس مصر لأنه لم يخبر إدارة المنصورة بمهمة هؤلاء الجواسيس .

وقد نبه على عاطف ـ أكثر من مرة ـ أن لا يتكلم بشىء من هذه الأسرار فى الخارج . ثم ركبنا نحن الثلاثة معا إلى سراى رأس التين ، فى أتومبيل رشدى باشا ، وكان مضاءً ، وبعد قليل من الخطوات أطفأ عدلى النور ، فقلت : ألخوف فعلت هذا ؟ لا تخافا إنى معكما ! ولكن يظهر أنه فعل هذا حتى لا يُرى راكبا معنا(١٠٠م) والله أعلم !

ولقد وصلنا إلى سراى رأس التين فى نحو الساعة ١٠ ، ورأينا فيها إبراهيم فتحى باشا ، فدخل صاحباى ، وتخلفت . وبعد برهة أذن لى بالدخول ، فتمنعت ، لأنى لم أكن لابساً « ردنكوت »(١٠١) فقال لى محمود

(١٠٠ م) قراءة تقريبية .

(١٠١)يقصد : ردنجوت ، Redingote وهى السترة السوداء الطويلة لمقابلات الرسمية فى ذلك الحين .

٢١٣٠
شكرى : ادخل ! إن الإمتثال خير من الإلحاح ! فدخلت ، واعتذرت عن عدم الإستعداد .

وجلست أمام السلطان ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث فيما كان من أمر ذلك الأثيم ، الذى ثبت استثجاره للبيت [ص ١٢١٩] ثم انتقل الكلام إلى الحزب الوطنى ورجاله ، فقال رشدى ما معناه : إنه يلزم التشديد على هؤلاء الرجال وإبعادهم ، لأن صغار الأحلام يتشجعون ــ بوجودهم ــ على ارتكاب ما يخل بالنظام العام . وأخذ السلطان يضرب على هذه النغمة ويندد بالأمة وأفرادها . وكان متأثرا .

فقلت له : يا مولاى ! إن الأمة لا ذنب عليها ، فيما يبدو من السخط منها ، لأن عظمتكم كنتم تعلمون منها هذا الشعور ، ولذلك أردتم إرضاءه بالحصول على شىء من مساعيها قبل توليكم . وسعيتم لذلك جهدكم مدة أربعين يوما !

وما كدت آتى على آخر هذه الجملة ، حتى أخذته الحدة ، وقاطعنى قائلا : إنه لا يمكننى بحال من الأحوال أن أعبر عن أفكار وآراء الحزب الوطنى ، ولا أن أنضم إلى مطالبه ! فهذه فئة باغية ، وإذا كنت تريد أن تخوض فى هذا الموضوع فلا أريده ! ودخل فى موضوع آخر !

وأتخيل أن عدلى قال ــ أثناء ذلك ــ كلاما يؤيد قولى من بعيد .

ولا أحفظ من هذه الجلسة إلا تأثرى من حالة السلطان ، وخصوصا من حالة رشدى باشا ، لأننى رأيت منه ميلا للتشديد على الناس . [ص ١٢٢٠] وخرجت ساخطاً .

وبعد ذلك تقابلت مع عدلى فى الكلوب يوم العيد ، حيث كان مدعواً إلى وليمة فيه من رشدى مع إبراهيم فتحى وبعض الإنكليز ، ومنهم ليدى مكسويل ، فحضرت هى دون بقية الإنكليز .

وفهمت من عدلى أنه غير موافق لكل الشدة التى ظهرت من رشدى ، وقال إنه لم يطلعه على الكشف الأخير .

فرجوته كثيرا أن يتأمل فى الأمر ، وأن يلطف من حدة رشدى باشا ، ومن غضب السلطان ، لأن الإسترسال فيها مضر بالناس ، وبسمعة الحكومة ، ومخالفا لما يريد عظمة السلطان من استمالة الناس إليه .

وقلت له : إنى أخشى أن تكون مسئلة المنصورة مصطنعة ، لأنى لا أصدق أن رجلا فيه من العقل قلة ، يذهب إلى تكدير الراحة بمثل هذه الصغائر !

ولم يعجبنى منه أنه كان يتلقى كلامى ببرود ، ويتبرم من أكثره ! ونظر فى الساعة ، ثم قام فزعا قائلا : إن الوقت أزف ! وانصرفنا على برود تام ، كأنما كنا متشاجرين !

ثم عدت إلى مصر ، وتردد علىّ كثير من الناس ، ورأيتهم ساخطين على الحكومة خطة الإزعاج والإرهاب التى سلكتها أخيرا ، وقيل لى إنها ألقت القبض [ص ١٢٢١] على كثيرين . وأشاعوا القبض على كل العظماء تقريباً ، حتى بعض النظار ، وبعض الوكلاء . فذكروا إسم عبد الخالق ثروت ، وجعفر والى ، ثم اسم محمد سعيد ، ومظلوم ، وحسين واصف ، ومصطفى ماهر ، وعلى شعراوى ، وإبراهيم سعيد ، وسعيد زغلول ، وغيرهم وغيرهم ! ويظهر لى أن كل واحد ظن أنه إن لم يقبض عليه فعلاً ، فلا يبعد أن يقبض عليه بعد ذلك !

وهكذا اضطربت القلوب ، وانكسرت النفوس أيما إضطراب وأيما إنكسار .

وتصادف أن صدقى بيك أراد السفر إلى إسكندرية ، فرجوته أن يكلم رشدى باشا ــ من قِبَلى ــ بالإسراع فى إنهاء مسئلة المكباتى ومحرم رستم

مبكرا ، إن لم يكن هناك ما يوجب إدانتهما . فلما وصل إليها ، وجد بالنزل الذى نزل فيه رشدى ، فبلغه الرسالة ، فقال له : إن المسئلة أصبحت فى يد النيابة ، ولا عمل له فيها ! مع أنه لم يُحل على النيابة إلا الأول دون الثانى !

وفى يوم الثلاثـاء ١٧ أوغسطس ، حضر عنـدى عباس الدرملى[١٠٢] ، الأمين الثانى ، [ص ١٢٢٢] وجلس أمامى على الكرسى الكبير ، وعلامات الكآبة بادية عليه . ثم إنتقل إلى كرسى آخر بجنبى ، وتلمظت شفتاه ، وارتعشت نوعاً ! ثم قلت : هات ما عندك ! وشعرت بأن الأمر غير سار . فقال : إن عظمة السلطان يبلغك السلام ، وقد اتصل به أنك تسعى آناء الليل وأطراف النهار لأجل تخليص المكباتى من التهمة التى سجن فيها ، وقد علم[١٠٣] عظمته بذلك من جماعة من الأوروبيين أحاطوه به فى الصباح ، وآخرين[١٠٤] فى المساء .

فأكدت له أولا أنى لم أتكلم فى شأن المكباتى مع أى أوروباوى ولا أمامه ، ولم أرجو فى شأنه أحدا من أرباب السلطة إلا رشدى باشا ، حيث كلفت صدقى بيك أن يقول له عن لسانى . . الخ . وعلى ذلك إذا أنا كنت مقتنعاً ببراءة أحد المتهمين ، فلا جناح علىّ أن أسعى إليه ! ثم قلت له[١٠٥] : إرجع إلى ربك ، وارفع إلى أعتابه إحتراماتى ، وما سمعت منى ، وسأحضر أنا بنفسى غدا فى الساعة ١١ ، وأعرض على مسامعه الشريفة هذه القصة . فانصرف .

---

(١٠٢) فى الأصل : « الدره مللى » .
(١٠٣) فى الأصل : « وعلم » .
(١٠٤) فى الأصل : « وآخرون » .
(١٠٥) أضفنا : « ثم قلت له » لتوضيح العبارة .

وذهبت إلى رأس التين فى الغد ، فوجدت فتح الله بركات وأخاه عاطف ، عند سعيد باشا ذى الفقار . فجلست معهما مقدار ثلث ساعة . وكان عند السلطان البرنسان فؤاد وكمال . وبعد انصرافهما ، إستدعى فتح الله وعاطف [ص ١٢٢٣] إلى عظمته ، ومكثا لديه أربعين دقيقة تقريباً . وبعد ذلك خرجا ، وأدخلت ، وكان المؤذن يؤذن الظهر ، فقال : قدمت ساعة الأذان ! فلم أسمع جيدا ، فكررها ! . فقلت : فأل حسن ! ولكننى كنت شديد الإنفعال .

ثم طأطأ برأسه بين ركبتيه وهو جالس على أتيليه ، وقال : ثم ماذا ؟

قلت : مولاى ! حضر عندى عباس بيك الدرمللى ، وبلغنى رسالة عظمتكم التى هى . . . وحكيتها . وهو مطرق . ولما انتهيت إلى آخرها ، قلت : فاستغربت ذلك جدا ! قال : استغربت ! قلت : جدا ! لأن السعى فى تبرئة متهم يعتقد الساعى براءته ليست جريمة . ولأنى ما سعيت إلا على طريقة بسيطة جداً ، ولأن المكباتى من الجمعية التشريعية ، التى أنا وكيلها ، ولى به معرفة ، وعلمت أنه سجين ، فأردت أن لا يطول السجن عليه إن لم يكن فى أوراقه ما يدينه . وما سعيت إلا عند رشـدى ، لأنه صديقى ولا أدرى لماذا غضب من هذا المسعى ؟ فقال إنه لم يغضب ، لأنه صاحبك .

ثم أخذ يتألم من أحوال الناس ، وفساد [ص ١٢٢٤] أخلاقهم . وتبرأ من القبض على الناس ، ويقول إن هذا شغل الحكومة .

قلت : إن الإنجليز ، وفى مقدمتهم مكسويل ، يؤكدون للساعين لديهم أنه لا دخل لهم فى هذه المسائل ، وأن الأمر فيها بين عظمتكم ورشدى باشا ! ولقد كان الناس ــ قبل الأسابيع الثلاثة الأخيرة ــ فى أمان واطمئنان ، يدعون للسلطان بالعز والتأييد ، ولوزارته بالعمر

المديد ، ولكن ما حصل أخيرا أوقع الرعب فى قلوبهم ، وسلب الراحة عنهم ،ومكن الاضطراب من نفوسهم ، فلم يبق واحد إلا قيل عنه : مقبوض عليه ! ولم يبق واحد لم يظن فى نفسه أنه موضوع القبض والاضطهاد ، وحريته معلقة بكلمة يقولها جاسوس أو نمام !

ولا ينبغى لمولاى أن يغضب من الأمة بتمامها ، لعمل بعض سفهائها ! ولو كان للعقلاء طريق لإظهار أفكارهم ، وماتكنه صدورهم ، لرأيت منهم ما يسرك ويشرح صدرك . ولهذا كان من اللازم أن تنعقد الجمعية التشريعية ، حتى يعبر نواب الأمة عن آراء العقلاء الذين يمثلونهم فى مثل هذه الحوادث .

[ص ١٢٢٥]

فلم يحسن وقع هذا الكلام لديه ــ اللهم إلا قليلاً !

وجاء فى كلامى أيضا أن قلت له : إنهم يشيعون أن عظمتكم صرحتم بأنكم قطعتم عن الأمة يد إحسانكم ؛ وبسطتم لها يد الإنتقام ! وما عهدناكم منتقمين ! وما عرفنا فيكم إلا الإحسان !

ولا يمكننى أن أسرد كل ما قال وقلت بالتفصيل ، لأن ذلك صعب جدا . وقد انصرفت فى نحو الساعة واحدة وربع . ولكنى انصرفت غير مسرور ولا ممنون ، إذ لم أشعر بارتياح تام لكلامى .

ثم ذهبت إلى رشدى فى نحو الساعة الرابعة ، وقصصت عليه ما دار من الحديث بينى وبين السلطان ، ولمته أشد اللوم على ما أبدى من الشدة فى القبض على الناس . وكان يؤيد القبض على تلامذة الحقوق ، وبعض رجال الحزب الوطنى ، بأنه يلزم إبعادهم اتقاء من شرهم !

فاستغربت هذا الكلام منه ! لأننى ، وإن لم أكن من رجال هذا الحزب ، وكان [ص ١٢٢٦] فى أول نهضته ضدى ، وكثيرا ماطعنت علىّ جرائده من نفسها تارة ، وباغراء الخديوى عباس تارة — ولكنى لا أميل إلى الظلم ، وأمقت فاعليه ، ولو كانوا من أخص أصدقائى ، والظالمون(١٠٥م) من أشد أعدائى ، حتى أبديت صادق أسفى عندما علمت أن أباظة قبض عليه وأبعد ، لا لسبب سوى انتمائه للخديوى عباس — فقلت : هذا ظلم لا يُرضى الله .

وبناء على هذا المبدأ ، شددت النكير على رشدى ، خصوصا عندما رأيت منه الميل إلى اعتقال أربعة عشر تلميذا من مدرسة الحقوق ، الذين سبق رفتهم لعدم حضورهم المدرسة يوم تشريف السلطان !

وقلت له : لا ينبغى من رشدى ، وهو رجل الحق وأستاذه ، أن يتذرع لإيذاء(١٠٦) الناس بهذه الذرائع ، وأن يؤيد ظلمهم بهذه الوسائل . إنى أؤكد لك أن المصريين هادئون ، ولا يرفعون فى وجه الحكومة سلاحاً أصلاً ، ولكنى أؤكد لك أنهم يزينون بيوتهم إذا انتصرت تركيا ! للعلاقة الدينية . [ص ١٢٢٧] ولا ينبغى أن يؤخذ الناس على ما يعتقدون ، أو يتصورون ، بل على ما يعملون من ضرر .

وأمام الحكومة طريقة من أحسن الطرق وأفيدها فى تأييد الأمن ، مع عدم الإخلال براحة الناس ، وهى أن تستحضر كل من وقعت عليه ريبة ، وتنذره بأن يقلع عن عمل الريبة ، فإن فعل نجا ، وإلا حقت عليه كلمة العقاب . ذلك أبلغ فى الردع ، وأحفظ لكرامة الناس ، وأبعد عن سوء الظن بالحكومة .

وإنى أؤكد لك أن مثل هذا الإنذار لا يخالف إلا قليلا ، لأن الناس

(١٠٥م) فى الأصل : والمُظلِمون .

(١٠٦) فى الأصل : لاذاءة .

يعلمون الآن علماً تاماً أن للحكومة الآن عليهم قوة الإحياء والإماتة ، والسعادة والشقاء ، فلا يجرأون على مخالفة أوامرها ، ولا يتجاسرون على الإنحراف عن جادتها .

فقال : حقيقة إن ذلك أولى . ثم تركته ، وإنصرفت . وصادفت ببابه عند الإنصراف مدحت سامى ومحمود رستم ، فبشرتهما بالإفراج عنهما .

[ص ١٢٢٨]

ومضيت إلى عدلى ، فقصصت عليه كل ما تقدم ، ورجوته فى أن أن لا يتقدم على طريق الخفة(١٠٧) ، ولا يجرى فى طريق الإرهاق ، وأن يستعمل ما رُزق من أحسن أسلوب فى إرجاع رشدى عن الشدة ، لأن ذلك يفقد الوزارة المزية التى كانت لها فى قلوب الناس ، وهى مزية الإعتدال ، وعدم الميل إلى الإضرار بالعباد .

ورأيت منه أنه غير متفق مع رشدى فى بعض النقط ، كالقبض على التلامذة مثلا (إن كانت ذاكرتى جيدة) .

وقد عدت إلى مصر ، بعد أن تقابلت مع على شعراوى ومحمد محمود ، وقلت لهما طرفا مما تقدم ، ورأيت منهما نوعا من الإحتياط فى القول . وكنت منفعلا مما سمعت من حديث القبض على الناس لأوهى الأسباب ، ومن ميل ولاة الأمور إلى الشدة ، والقدح فى حق المحكومين بهم ، وكأنى بهم يريدون أن يحللوا(١٠٧م) شلتهم بالسخط على الأمة ، والطعن فى أخلاقها !

(١٠٧) هكذا تقرأ بصعوبة بالغة ، والمعنى ألا يخفف من محاولاته مع رشدى باشا أكثر من اللازم .

(١٠٧م) وقد تقرأ : « يعللوا » .

[ص ١٢٢٩]

وأنى أفهم هذا الطعن من الأجانب ، لأن لهم أمة يفتخرون بالإنتساب إليها ، وإنها تفوق غيرها من الأمم ، ولكن إذا طعنت على أمتى فبمن أفتخر ؟ وقد دخلت فى عموم طعنى !

ورأيت أن الأحسن أن أبتعد بضعة أيام عن القاهرة . فذهبت إلى مسجد وصيف ، وأقمت بها ثلاثة أيام ، لا أفتكر إلا فى الزراعة والعمارة ، ولا أتحدث إلا فى شئونهما !

ثم عدت أمس ٢٥ أوغسطس ، وعلمت فى الطريق من بعض الناس ومن الجرائد ، أن المكباتى قد أخلى سبيله . فسررت بذلك . وأخبرنى ثقة أن النيابة لم تجد أثراً للتهمة عليه ، ولم توجه إليه سؤالاً يتعلق بها . ومن الغريب أنها سألته : ما هى تهمته ؟ فلم يقدر بالطبيعة أن يقول شيئاً عنها !

وقد حضر عندى بعد ذلك ، وأخبرنى أنه لم يكن يشتغل فى المدة السابقة إلا بالزراعة وشؤونها ، وأنه أهين فى السجن ، **[ص ١٢٣٠]** ووضع فى حبس الإنفراد نحو الخمسة أيام ، ولم يسأله النائب العمومى إلا عما إذا كان يعرف شخصين : أحدهما أجنبى ، والثانى وطنى ؟ وكان لا يعرفهما ، فقال : إنه لا يعرفهما ، فأفرج عنه !

وقد(١٠٩) أشار عليه أن يقابل رشدى ، فقال هذا إليه : إنه يتأسف لهذه الحادثة ، وإن حقيقة تهمته أن ضابطاً من الأسرى الذين جاءوا فى الجيش التركى من جهة الشام ، استعمل بصفة مخبر ، وتردد بين جماعة من المساجين المصريين والضباط الأتراك الأسرى ، وكان يحمل كتابات من

---

(١٠٩) أضفنا « وقد » لبداية الفقرة .

بعضهم لبعض ، تتعلق بمساعدة الأتراك عند دخولهم مصر ، بقطع السكك الحديدية ، ونسف الكبارى ، وتهييج الأهالي ، ودعوتهم للثورة . وأن بعض هؤلاء قالوا له ،عندما أفهمهم بخطورة هذاالمشروع ، وأنهم أصغر شأنا من أن يقوموا به : إن من ورائهم رؤساء كبارا يصح الإعتماد عليهم ! وذكر له جملة أسماء ، من بينهم المكباتى !

قال رشدى باشا : ولكن ظهر كذب هذا الراوى ، لأنه أختفى من بضعة أيام ، ولم تقف الحكومة له على أثر ! ولذلك رأينا الإفراج عن الذين اتهمهم ! وكرر تأسفه ، وأشار إليه بالتوجه إلى المعية فيتشكر .

وهمّ بالإنصراف ، ولكن قبل خروجه دخل خادم بكارت ڤيزيت ،(١١٠) فإستمهله ،وأشار له أن صاحب هذا الكرت يتهمك ، وهو فلان من السوريين ! فقال : إنى أعرفه ، وبينى وبينه قضايا ، حكم فى ثلاثة منها ضده ! فقال : إذهب أنت فإنا لا نعوِّل على قوله .

[ص ١٢٣١]

وفهمت منه أنه لم يذهب إلى السلطان ، لأنه أراد أن يستأذن قبلا منه ، وينظر فيما إذا كان يقبله . فوسط ماهر قريبه ، فأذن السلطان بالمقابلة . فقلت : إذن تجب المبادرة اليها . فذهب إلى إسكندرية ، وعاد بعد بضعة أيام ، مخبراً بأن السلطان لم يأذن بمقابلته ، ووعد بها !

فقلت : مع ذلك تردد(١١٢) ! لأن غضب الملوك لابد أن يقابل

(١١٠) أى بطاقة زيارة . وفى الأصل : « بكرته فيزته » وقد قرئت بصعوبة بالغة .

(١١٢) أى تردد على السلطان .

بالرضا والإستعطاف ! خصوصاً وأن الإسترضاء يستميل السلطان الحالى ، لأنه يغلب الكرم على طبعه .

فى مساء ٥ سبتمبر ، حضر عندى(١١٣) حمد باشا الباسل مع المكباتى بيك ، وكان حاضرا(١١٤) عاطف وصدقى ، وأخذنا نتكلم فى مسئلة المكباتى ، ووجوب تردده على السلطان حتى يقبله .

فقال : ولكن علمنا الليلة بحادث فظيع ، أخبرنا به حمد باشا ! فقال هذا : نعم ، وهو أن إبراهيم باشا فتحى أصيب فى المحطة بجروح بالغة ، فإن شاباً موظفاً بصفة عداد فى المالية ، فاجأه وهو حاضر من الإسكندرية ، بطعنه بالسكين فى كتفه وفى وجهه . فأطلق عليه عياراً ناريا ولم يصبه ، ثم سقط إلى الأرض ، وقبض على الجانى ، ولم تُعلم أسباب الجناية !

فقلت : أرجو أن لا يكون سببها سياسياً ، لأن ذلك يضُرّ بالبلاد ضرراً عظيماً . فأمن الحاضرون على ذلك .

[ص ١٢٣٢]

قلت : ولكن ظروف المكان والزمان ، التى وقعت الحادثة فيها ، تدل على أنها سياسية ، لأن القاتل أراد أن يعلن عن نفسه .

ثم أجمع الكل على التأسف لمصاب الجريح ، لأنه طيب القلب ، ولا يسىء لأحد ، ومحضره خير ! وفى الصباح ، زرت منزله ، فعلمت أن حالته حسنة ، وأنه لا خطر عليه ـ كما أخبرنى الدوكتور على لبيب الذى تولى علاجه .

(١١٣) فى الأصل : « عند » .
(١١٤) فى الأصل : « حاضر » .

وقد نشرت الجرائد خبر الحادثة ، ولكنها لم تشر إلى سببها بكلمة واحدة . وذهبت إلى الكلوب بنية أن أتلاقى فيه مع الوزراء الذين حضروا لهذه الحادثة ، فوجدت رشدى وعدلى . وأخبرنى الأخير بأنه مر علىَّ فى البيت ولم يجدنى . قلت : إنى حضرت من تلقاء نفسى بقصد مقابلتكم .

ولما قدمت ، كان رشدى على طاولته مع سيسل وبعض الإنكليز ، فقام ضاحكاً يقول : سعد ! إن الإجتماع بنا فى هذه الظروف خطر ! قلت : إنى أحميكم !

وكان يظهر الإستخفاف ، ولكن عدلى كان مأخوذاً ومهموماً جدا . فتبادلنا بعض عبارات الأسف على هذا الحادث وأمثاله .

وفهمت من رشدى أن المستشار تأسف ، عقب وصول خبر الحادثة إليه ، على إطلاق المكباتى !

وأخذنا نبحث عن علاج هذه الحالة التى امتدت وانتشرت ، ولكنا ــ بالطبع ــ لم نهتد لشىء مفيد . وانصرف رشدى ، وبقيت مع عدلى إلى الساعة الرابعة .

وأرسل إليه نتيجة التحقيق ليحملها إلى عظمة السلطان ، فقرأها علىّ ، وفهمت منها أن الجانى شاب من حملة الكفاءة(١١٥) ، موظف فى المالية ، ولكنه يشتغل بصفة عداد فى تفتيش الرى ، سنه ٢٥ ، [**ص ١٢٣٣**] قال إنه ارتكب هذه الجناية بسبب كون المجنى عليه أرشد عن إبراهيم صالح ، الذى اتهم (الجماعة) المسجونين ، وبسبب كونه هو الذى وضع الخطط الحربية فى القنال . ولما طعنته ، هربت لأقتل رشدى باشا السافل ، وعبد الخالق الخائن ! وكان فى عزمى أيضا أن أقتل

---

(١١٥) شهادة تعادل الصف الثانى الثانوى .

مكماهون . وإنى اختلست ثمانمائة جنيه وصرفتها على المحتاجين !

وقال لعبد الخالق : إنه لابد من قتلك ! وإنك لا تتم هذا التحقيق قبل أن تقتل ! وقال : إننا نعلم انك بائت الليلة فى مصر(١١٦) : ولم يرد أن يدل على مصدر علمه ، مع أن عبد الخالق لم يكن صمم على البيات إلا بعد الظهر ! وقال : إنه لا يجيب على مثل هذا السؤال ، وإن كل مصرى متشبع بفكرته حتى نفس وكيل النيابة ! ويعبر عن السلطان « بحسين الخائن » ! وأن رشدى إستحق القتل للقبض على الناس ، واعانته حسين الخائن ، وقوله إننا سنضرب الأمة فى شبانها !

وقد أخبرنى(١١٧) رشدى بأنه فى غاية الوقاحة والتفاهة ! وقد طال الحديث بينى وبين عدلى فى هذه الروح التى انبثت فى الشبيبة ، ولا يعود منها إلا الضرر ، وفهمت منه أن بعض إخوانه يتخذون منها حجة لحرمان البلاد من التمتع ببعض مزايا الحكم الذاتى !

قلت : إنه ليس فى وقوع هذه الحادثة فى الظروف التى تمت فيها ، حجة لهم ، بل بالعكس! لأنهم مهما بالغوا فى تفييد الحرية ، لايمكنهم أن يؤسسوا نظاماً يكون أبلغ من الأحكام العرفية فى تقييدها ! وقد حدثت ثلاث حوادث تحت الحكم العرفى ! [ص ١٢٣٤] ووقعت بعض حوادث أخرى بعد تقييد حرية الصحافة ! ولكن لم يحدث قبل هذا التاريخ شيء من ذلك ، مع أن الصحافة كانت حرة أكثر من اللازم !

وهذا طبيعى ، لأن الحرية إذا كانت مطلقة للقلم واللسان ، كان كل من تضايق من أمر عمد إلى تنفيس ضيقه بكتابة ينشرها ، أو مقال يلقيه ، ويكتفى بذلك . ولكنه إذا وجد أمامه طريق الكتابة والقول

---

(١١٦) يقصد : فى القاهرة .

(١١٧) نظراً لأن سعد أكمل ما ورد فى المتن بسطر فى الهامش ، فقد عدلنا وضع العبارة الأخيرة ، من أول « وقد أخبرنى رشدى » بحيث تأتى فى نهاية الكلام .

مسدودا سهل عليه طريق الفعل ! ولهذا كان من وسائل علاج هذه الحالة عدم التضييق على الحريات .

فأظهر عدلى الموافقة على ذلك ، وقال : إن السلطان يريد شيئا كثيرا من الانكليز ، وأن يعطوه سلطة أوسع ، ولكنه يطلب هذه السلطة لنفسه ! فإذا أمنا من جانبه سوء استعمال هذه السلطة ، فإننا لا نأمن أن يضطر إلى استعمالها فى غير ما يريد ! وكذلك لا نأمن من يخلفه !

قلت : هذا حق . ولا معنى لأن الإنكليز يتنازلون عن سلطتهم لفرد ! لأنهم إذا شاءوا ذلك ، فلا يكون قصدهم إلا إرضاء الأمة ، لا شخص سلطانها !

قلنا هذا ، وأمثاله ، حتى أتت ساعة الوابور ، فانصرف إليه ، وانصرفت إلى منزلى .

وقد لاقيت كثيرا من الناس ، وسألتهم عن أثر الحادثة فيهم وفى غيرهم ، فقالوا جميعا : إن أثرها سيىء بالنسبة **[ص ١٢٣٥]** لشخص المجنى عليه(١١٧م) ، لأن أكثر الناس يعرفونه بطيب القلب ، وسلامة النية ، والميل إلى الخير . ولكنهم غير مبالين بها من الوجهة العامة !

وقد سألت البعض عن العلاج ، الذى يستأصل هذا الداء الذى انتشر فى الشبيبة ، وهو داء الفوضوية ؟ فمنهم من قال بوجوب إستعمال الشدة ، حتى تزهق هذه الروح وتموت فى صدور أصحابها.ولكنه لم يفسّر معنى هذه الشدة ، ولم يبين كيفية إستعمالها ، ولا من تستعمل ضدهم ! ومنهم من قال : إن أنجع الوسائل فى قطع دابر هذا الفساد هو أمران : الأول ، فتح الدردنيل . والثانى ، إطلاق حرية الكتابة والقول إطلاقاً يناسب ظروف الأحوال .

قال : أما الأول ، فلأن وقوف الحلفاء أمام الدردنيل وقفة العاجز ،

(١١٧ م) فى الأصل : الجانى ، ولكن السياق يشير إلى المجنى عليه .

مشجع للمتهوسين منا ، وملهب للحمية التى تغلى فى صدورهم . وأما الثانى ، فلأن تقييد الحرية يغذى ذلك التهوس ، ويبلغ به إلى حد الجنون .

وإنى أميل إلى هذا الرأى ، ولكن الشق الأول من العلاج ليس بيد الحكومة المصرية ! أما الثانى ، فهو من مقدوراتها . وأرى من الخطأ العظيم جعل الشدة علاجاً للجنايات التى من هذا القبيل ، بل بالعكس إن هذه الشدة لا تزيدها إلا كثرةً .

وفى ظنى أن نوع هذه الجنايات لا يوجد فى بلد ، إلا نتيجة للسخط العام الذى يقوم بنفس الجمهور على حكومته ، حيث يشتد [ص ١٢٣٦] انفعال النفوس العصبية ، ويخيل لها أنها إذا نفذت هذه الجناية أرضت الساخطين ، وجعلتهم يعجبون بفاعلها . إن لم يكن فى جهرهم ، ففى سرهم ! ولذلك يعرضون أنفسهم للخطر ليفوزوا بهذا الإعجاب .

فأحسن ما تفعله الحكومة لمعالجة هذا الفساد ، هو العمل على إرضاء الأمة ، بالنظر فى مصالحها ، وتحقيق ما هو حق ومفيد من آمالها . ومن الخطأ جدا إعتبار الأمة المصرية كمية مهملة ، وصرف النظر عن مراعاة إحساسها ، لأنها ابتدأت تشعر بوجودها ، وبحقها فى الحرية . ولا يمكن سلب هذا الشعور منها ، لقربها من الأمم الأوروبية ، واتصالها بها ، واختلاطها بالمتمدنين ! مما يغذى هذا الشعور دائما وينميه فيها .

ولو أن الإنكليز ، عِوض أن يعلنوا حمايتهم على مصر بعد إعلان الحرب ، ساعدوا المصريين على نوال استقلالهم ، وعلى إنتخاب هذا السلطان بواسطة نوابهم ، لملأوا قلوب المصريين حبا وإخلاصاً لهم ، ولوجدوا ــ خصوصاً من الطبقة الراقية منهم ــ ميلاً حقيقياً لمعونتهم . ولكنهم استخفوا بآراء العقلاء ، وأدخلوا مصر تحت حمايتهم ، [ص

١٢٣٧] ولم يجعلوا للأمة صوتا فى هذا التغيير . ثم انتظروا أن تُصَفِق الأمة إستحساناً لهم ! ويغضبون كلما[١١٨] رأوا منها عكس ذلك ! ولو أنصفوا لخطأوا أنفسهم ، وعادوا باللوم على الذين حسنوا لهم هذه السياسة منا أو منهم .

ولقد سلكت الحكومة ، فى هذه الأيام الأخيرة ، مسلك المستخف كل الإستخفاف بأمن الناس وحريتهم الشخصية ، وسوء الظن بهم . فألقت القبض على كثير منهم لأقل الشبهة ، وأزعجت عائلاتهم إزعاجاً شديدا ، ولم تسأل الكثير منهم عن تهمته إلا بعد أن أمضى الكثير من الأيام فى السجن ، وبعضهم فى سجن الإنفراد ! وبعضهم لم يوجه المحقق له سؤالا بتهمة معينة ! وقد منعت الجرائد من نشر أخبار القبض عليهم ، والإفراج عنهم ، وتركت بذلك سبيلاً واسعاً للإشاعات تدور على الألسن ، بالحق وبالباطل . ولم تشرك الأمة ، ولا أحدا من نوابها — لا رسمياً ولا غير رسمى — فى عمل من أعمالها العامة ، بل استبدت بسائر الأعمال . فلا بِدْع أن يشتد سخط أمتها !

[ص ١٢٣٨]

نعم إن الظروف الحالية ظروف إستثنائية ، ومركز الحكومة دقيق فيها ، ولا يصح أن تطالَب فى هذه الأحوال بما تطالَب به فى الأحوال الإعتيادية ، بل لابد من أن تظهر بمظهر الشدة والبأس ، حتى تدفع كل شر ، ولا يقع أى مكروه ، وحتى تأمن على نفسها — خصوصا من دسائس حزب الإتحاد والترقى ، الذى له إتصال برجال الحزب الوطنى ، ومن دسائس الخديوى ، الذى لابد أن يكون له أعوان ، يروجون مقاصده الفاسدة .

(١١٨) فى الأصل : « كل ما » .

ولكن كل ذلك لا يبيح لها إلا التشديد على أصحاب تلك الدسائس والفتن ، ومعاقبة من يثبت عليه ذلك منهم بالعقاب الصارم . ولكن ليس من ذلك القبض على الناس لأضعف الشبهات ، ثم إطالة السجن عليهم قبل سؤالهم ، كما حصل لكثيرين ! وليس منه أيضا مشاق القبض عليهم ، وإخفاء تهمهم على الجمهور !

كذلك(١١٩) قبضوا على السبعة عشر تلميذا من مدرسة الحقوق ، الذين سبق الحكم عليهم بالطرد من المدرسة لتظاهرهم ، بالغياب عن المدرسة يوم أن زارها عظمة السلطان ــ لا لسبب آخر غير هذا السبب الذى عوقبوا عليه بالطرد ! [ص ١٢٣٩] فأوقع ذلك عند الناس . وقد رجوت رشدى باشا ، عندما أخبرنى بعزمه على القبض عليهم ، بأن لا يفعل ، فلم يرد الإصغاء .

وقد(١٢٠) رجوته ، بعد ذلك ، فى واحد منهم ، وهو من يدعى إسماعيل حمدى ، أخو امرأة مصطفى بيك الباجورى ، الذى أنا وصى على أولاده ، فوعدنى خيرا وقال : إنه سيفرج عن جميعهم عند قرب إفتتاح المدارس ، وبمناسبة هذا الإفتتاح . وكان ذلك يوم الجمعة الماضى ــ أى ٣ سبتمبر ــ فى الكلوب الخديوى . فقلت : إذا لم يكن عليهم شيء ، فالأولى الإفراج عنهم قبل ذلك التاريخ . فقال : سأنظر فى ذلك !

ثم رجوته فى شخص يدعى حسين أفندى فهمى بهجت ، لا أعرفه . ولكن صدقى بيك يعرفه ويعرف عائلته ، وفهمت منه انه برىء ، وأنه كان من الذين سعوا فى إنتخابى لقسم السيدة زينب . فقال رشدى

---

(١١٩) أضفنا : « كذلك » لإفادة إستمرار الكلام .

(١٢٠) أضفنا : « وقد » لبداية فقرة جديدة .

باشا : إن هذا الشاب اتهم أولاً بأنه ، وشخص آخر ، عندهما منشورات محرضة على الثورة ، فلم يوجد عنده شيء منها ، وما وجد عند صاحبه ، وظهر أنه ملفق عليه ! قلت : إذن فالإفراج عنه عدل ! قال : ولكنه من ضعاف العقول ، الذين يكثرون من الكلام ، وقد فاتنى أن أنظر فى شأنه لكثرة الأشغال ، وسأنظر فيه حالا . [ص ١٢٤٠] قلت : أشكرك سلفا .

مما تقدم يثبت أن هناك إستخفافا بالحرية الشخصية ، أزيد مما تقتضيه طبيعة الظروف الإستثنائية . والسبب فيه راجع إلى التسرع فى العمل ، والتشتت فى فكر رجال الحكومة ، وعدم معرفة القادرين فيهم لطبيعة الأهالى معرفة تامة .

وإنى شديد الأسف جدا لهذه الحالة : أولا ، لما يترتب عليها من الضرر بالبلاد ، وثانيا ، لأن السلطان ورشدى باشا وعدلى باشا من أصدقائى ، وأود أن لا يكون على أيديهم إلا الخير العام . وقد كنت ــ قبل الآن مغتبطاً بهم وبسياستهم ، مفتخرا بما فيهم من ميل للخير ، وتأييد للعدل ، وبعد عن الشر . وكنت دائما أقول للناقمين عليهم : احمدوا الله على الهيئة الحاضرة ! لو كان فينا غيرها ، لكثر الظلم ، وعم الفساد وساءت الأحوال . ولكنى عاجز الآن عن استعمال هذا اللسان .

(٧ سبتمبر سنة ٩١٥)

بعد كتابة ما تقدم ، دق التليفون فى نحو الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٧ سبتمبر ، فوجدت البندارى المحامى قال : إن الدكتور حافظ عفيفى يريد مقابلتك ، لأن يبلغك رسالة من أمين الرافعى . فهل تسمح بذلك [ص ١٢٤١] قلت : إن كان الغرض السعى لأمين الرافعى ، فلا يمكننى مع الأسف أن أصنع له شيئا ، لأنى عاجز عن ذلك . ثم قلت : ومع ذلك فليحضر الدكتور المذكور فى الساعة تسعة مساءً .

قلت ذلك وقد أخذنى شىء من التردد والحذر ، وخشيت أن يُعد ذلك عند السلطة معاكسة لأعمالها ، لسابقة ما حصل فى مسئلة المكباتى ! ولكنى لم أبال بهذا الشعور ، وقلت : لا شىء أن تقابل من يرجوك ، وتعلم منه ما يريد . فإن استطعت أن تسعى لخير فعلت ، وإلا اعتذرت .

ولكن أليس هذا الشعور عند هذا الأمر البسيط جدا ، من نتائج اضطراب الحالة العامة ، وعدم اطمئنان النفوس ؟

حضر البندارى ، ومعه الدكتور المشار إليه ، فى نحو الساعة التاسعة . وقال لى الأخير : إن أمين الرافعى يرجوك أن تتوسط له لدى رشدى ، لأن السجن أضناه ، وأبوه شيخ كبير .

قلت : إنه لا حيلة لى فى شأنه . ومع ذلك أفعل ما يقدرنى الله عليه ، وإن كانت قدرتى فى هذا الأمر محدودة ، وصارت المسئلة صعبة بعد [ص ١٢٤٢] ما وقع لإبراهيم باشا فتحى ، فإن ذلك أثر ، ويؤثر ، تأثيرا سيئا لدى الحكومة .

قالا : إنها حادثة محزنة فى الواقع ، ولكن وقوعها فى أثناء سجن المذكور وغيره ، يدل على أنه لا دخل لهم فى الأمر .

قلت : نستعين بالله على إظهار الحق ، ونستمد منه العناية . ثم انصرفا بعد قليل من الزمان .

وقد كان حضر عندى على شعراوى باشا ، ومحمد على بك المحامى ، وصدقى بيك . وجرى الحديث فى المقبوض عليهم ، وما تأتىّ على ذلك من انزعاج الكثير ، وحادثة فتحى باشا ، وما لحق الناس من الأسف عليها . وكل أبدى فكره ، واتفق الجميع على استهجان جناية المعتدى وسوء أثرها ، وعلى أن الحكومة تجاوزت حد الاعتدال فى القبض

على الناس ، ولكن على باشا شعراوى كان أقل اعتراضا على ذلك ، وأكثر اعتذارا عن رشدى باشا الذى يُنسب إليه الأمر فى هذا الخصوص .

وقد سافرت إلى العزبة صباحا ــ أى يوم الأربع ٩ من سبتمبر ــ وتقابلت فى السكة الحديد مع الدمرداش ، وأمين يحيى . وكان مسافرا معى محمد بيك يوسف .

وجرى الكلام فيما جرى عن هذين الموضوعين ، فقال أمين يحيى: إن حادثة فتحى ستؤخر الإصلاح المنوى ! قلت : لا يلزم أن تؤخر شيئا من ذلك ، لأن الأمة كلها تستقبح هذا الجرم ، [**ص ١٢٤٣**] وتلعن فاعله . ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ولا ينبغى أن تظلم أمة بتمامها لسفاهة ارتكبها بعض الجهلاء بها . ولكن الواجب أن يشدد العقاب على مثل هؤلاء الأثمة ، وأن تنظر الحكومة فى الاصلاح اللازم .

ثم علمت أن البرنس يوسف كمال فى القطار . فذهبت إليه ، وجلست معه حتى وصل القطار إلى بنها . وبعد ذلك انتقلت مع الدمرداش إلى السكة الضيقة ، فقال : يا باشا ، إنه يلزم أن لا تكلم مثل يحيى بمثل هذا الكلام لأنه يؤوله عنك ، ويرويه معكوسا ، فيحدث سوء الأثر !

قلت : يكون عليه وزر ما يؤول . ولا شىء فيما قلت يُحترس منه !

قال : وهل كان هناك شىء فى أنك أرسلت مع صدقى رسالة لصاحبك رشدى باشا ، ترجوه أن يسرع فى النظر فى أمر المسجونين ، وإطلاق من لا يوجد ضده شىء منهم ، حتى أرسل السلطان إليك أمينه الأول يلومك على هذه الشفاعة ؟

فقلت : لا ! قال : الأولى بالإنسان أن يحاذر ، وأن يدور مع الزمان .

ثم انتقلت إلى الكلام فى الزراعة ، ولم يكن معنا غير محمد بك يوسف .

وبعد أن تركت الدمرداش ، لم نتكلم فى شيء غير الزراعة [ص ١٢٤٤] وأحوالها ، حتى وصلنا العزبة . وشاهدنا العمارة ، وغيرها من الأعمال الجارية : فوجدنا البرسيم الناتج قليلا جدا ، ووجدنا القطن مصابا إصابة عظيمة ، بحيث أن جميع اللوز الذى لم يفتح مصاب بالندوة بعضه ، وبعضه بالدودة !

وجاء إسماعيل باشا سر هنك ، وتغدى معنا ، ومضى أغلب وقته فى الطعن على محمود صدقى(١٢١) . وكنت أدافع أحيانا عنه .

وحضر العمدة مساء ، وأخذ يتكلم فى كثير من الموضوعات . ومما قال وأعجبنى : إننا استفدنا من كرومر(١٢٢) كثيرا من إختلافه مع الخديوى ، لأن كلًا كان يمنع الثانى من التعدى ! وقال : إن كل الناس ساخط ، ولكنهم لا يتكلمون ! وكلهم يميل لإنتصار الترك ــ حتى الفلاحين فى مزارعهم ــ ويأتون بأخبار على حسب ما تهوى أنفسهم ، وتتصور عقولهم !

ثم أقمنا فى العزبة إلى آخر يوم تسعة منه ، وعدنا ، فوجدت رشدى باشا قد حضر صباحاً ، وأرسل إلىّ مع صديقى صدقى السلام . ولكنه سافر اليوم صباحاً ، من غير أن أتمكن من مقابلته .

وقد ورد تلغراف صباحاً من عبد الله بيك(١٢٣) يفيد أنه تعين مفتشا للزراعات بالديوان . ولابد أن يكون ذلك نتيجة شكوى مفتش الرى من

---

(١٢١) محمود صدقى باشا ، عديل سعد زغلول ، وعديل اسماعيل باشا سرهنك أيضا .

(١٢٢) قراءة ترجيحية أوحت بها الخلفية التاريخية .

(١٢٣) عبد الله زغلول .

جهة ، وخلو الديوان من مفتش بسبب انتقال نظار (١٢٣م) من جهة أخرى . ولم أجب على هذا الخبر . ولن أجيب ! والله الموفق .

[ص ١٢٤٥]

يوم ١١ سبتمبر

لم يتصل بى شيء يستحق الإثبات ، سوى أن محمد بيك يوسف جاء عندى ، وتحادثنا فى أشياء كثيرة : منها خاص ، ومنها عام . ومما قاله لى : إنهم فتشوا اليوم منزل البندارى المحامى ، ولا يَعلم إن كان قبض عليه أو لا .

ثم ذكر لى — بهذه المناسبة — أن أحمد عبد اللطيف بيك أخرجه (١٢٤) من مكتبه ، لأنه ضبط خطابا من مطلقته إليه يدل على أنه كان شارعا فى التزوج بها ، فلهذه المناسبة غضب منه . قال : وقد كان أراد أن يتزوج بنت عديلى مرسى بيك ، ولكنى ترددت فى قبوله ، لأنى لم أكن واثقاً من أخلاقه !

قلت : وماذا تم فى مسألة أتعاب قضايا شقيقة مصطفى باشا ، التى كانت محلا للخلاف بينهما ؟ قال : لم يتم فيها شيء ، لأن كلا يدعى بأنه هو الذى يستحقها (١٢٤م) . وصدقى بيك كان كلفنى بالنظر فيها ، ولم أتمكن من نهوها لاشتغالى بأمور أخرى .

وقد اتفقت مع موسيو (. . .) (١٢٥) البوهيجى ، على أن يكون المتر فى السقف بثلاثة قروش ، وفى غيره بثلاثة ونصف .

(١٢٣ م) قراءة اجتهادية .

(١٢٤) أى أخرج البندارى .

(١٢٤ م) قراءة تقريبية .

(١٢٥) بياض فى الأصل وهذا النص يوضح أن الأجانب فى مصر كانوا يعملون فى كل شيء ، حتى فى الأعمال الدنيا ، مثل دهان الحوائط وغيرها ! كما يعطى القارىء الفرصة ليعقد المقارنة بين تكلفة هذه الأشغال فى زمن سعد زغلول ، وتكلفتها حاليا ! .

[ص ١٢٤٦] وقدم لى زكى كرجى[126] مشروعاً عن الأعمال الصحية فى منزل مسجد وصيف ، فلم أوافق عليه ، لأن فيه مبالغة بالغة . فرددته إليه ، بعد أن حذفت منه الشيء الكثير ، وأفهمته مطلوبى ، فراح يضع غيره .

أمس حضرت عندى حرم باجورى بيك ، وطلبتُ منها أن تنظر فى الحساب بنفسها ، أو بواسطة خبير تثق به[127] . فامتنعت تلطفاً ، ولكنى ألححت عيها ، فقبلت . ثم أخبرتنى بأن أخاها المسجون مرض بحمى الملاريا ، وأبوا أن ينقلوه إلى أحد المستشفيات ، وأن يمكنوا أخاه الحكيم الدكتور صالح من رؤيته ، وينقلوه من سجن الإستئناف . قالت : وأرجوك أن تنظر فى شأنه .

قلت : إن مسئلته مع إخوانه كادت تنتهى ، لولا حدوث حادث فتحى باشا ، فقد كان رشدى باشا وعدنى بنهوها ، ولكن هذه الحادثة نقلت الأفكار عما عداها.وأشارت إلى مجادلة[128] على حسين بيك فى تقديم الحساب ، وقالت : إنها طلبته منه من أكثر من سنة ، وهو يجادلها . قلت إنى لست ممنوناً منه ، وأحواله مريبة !

أخبرنى صدقى بيك أن المتهم فى حادثة فتحى باشا ، المدعو صالح عبد اللطيف ، مستخدم مع شخص قبطى وإنكليزى ومسلم فى مصلحة واحدة ، فقبض على الأخير ، وحضر سؤاله عند النائب [ص ١٢٤٧] العمومى ، واستغرب إنه لم يكن من شبهة عليه سوى كونه مستخدما فى مصلحة واحدة مع الجانى ! فأفرج النائب عنه ، بعد أن مضى ثلاثة أيام !

(١٢٦) هكذا تقرأ .

(١٢٧) فى الأصل : « بها » .

(١٢٨) هكذا تقرأ ، والمعنى : مماطلة .

ولا حرج على الحكومة فى أن تشتبه فى أى كان ، وتقبض على أى إنسان لأوهى الأسباب فى مثل هذه الأحوال التى نحن فيها ، ولكن لا يجوز لها ــ فى أى حال ــ أن تترك المقبوض عليهم بلا سؤال أزيد من يوم واحد ، ولا أن تترك الأمراض تفتك بالمسجونين منهم ، من غير أن تعتنى بعلاجهم . فقد أخبرنى أحد الحكماء[١٢٩] بأن بين المسجونين[١٣٠] من يدعى : الشوربجى ، الأفوكاتو[١٣١] بطنطا ، عنده نزيف ، وكان يعالج منه ، ولم يمكن فى السجن من معالجة هذا النزيف !

وسأتكلم فى هذه الأحوال مع رشدى باشا ، وغيره من ولاة الأمور ، عند أول مقابلة .

فى ١٢ سبتمبر

التحليل كانت نتيجته أمس أحسن من اليوم ، مع أنى لم أتناول ممنوعاً فيما أكلت أمس ! ولعل اللبن ، الذى لم يبلغ درجة الحموضة ، غير موافق ! ولقد مشيت أمس خمسين دقيقة ، وأول أمس سبعين ، وقبلها ساعتين ! وأرانى فى صحة بحمد الله . وقد نمت أمس باكرا ، ونمت أول الليل نوماً مستريحاً ، وانقطعت عنى الوساوس ، التى كانت تساورنى فى كثير من الأحيان مصحوبة بالهموم والأحزان .

[ص ١٢٤٨]

وكثيرا ما أحمد الله على كونى الآن خارجاً من الحكومة ، لأن حملها ثقيل جداً . وكثيرا ما أرثى لحال رجالها الذين يحملون أثقالها ،

(١٢٩) يقصد بالحكماء « الأطباء » .
(١٣٠) فى الأصل : المسجون عليهم .
(١٣١) الأفوكاتو ، أى : المحامى .

ولا يجدون راحة لأنفسهم . وقد زال الميل الذى وصفته فيما كتبته يوم ٣١ يوليو(١٣٢) .

لم يمر على مصر حال أشد اضطرابا مما هى فيه الآن ، لأن الأفراد يخشون ظلم الحكومة ، ورجال الحكومة يخشون غدر الأفراد . فالله نسأل أن يحسن الأحوال ، وأن يوفق الكل إلى طريق النصر والسداد .

سقط محمدى ، نجل فتح الله بيك ، فى إمتحان الشهادة الإبتدائية . فتألم من ذلك كثيرا ، وتألم والده أكثر ، وكان يعتقد أنه لا محالة ناجح . فسأل عمه عاطف عن حقيقة الأمر ، فتبين أنه ساقط فى الخط ! وأن سقوطه فيه نتيجة خطأ وقع من الممتحنين ، إذ لم يعطوه نمرة : لا على النسخ ، ولا على الرقعة ، توهماً منهما أنه لم يكتب منهما شيئاً ! ولكنه كتب ، ولم يلتفتا إلى ما كتب لاندماجهما فى الإنشاء . وقد وعد بإستدراك هذا الخطأ لأنه حادثهما بامتحانه شفهيا . فسُرِرْتُ بذلك . ولكن ، ألا يجوز أن يكون ما وقع لهذا التلميذ وقع لغيره ، ولكن أمره لم يكشف لعدم وجود من يقدر على البحث عنه ؟

صدقى بيك صاحب مخلص لأصدقائه ، متفان فى خدمتهم ، وفى طبعه نزاهة ــ ولكنه بطيء الفهم نوعا ! وقد أعتراه [ص ١٢٤٩] من منذ عام ما أظهر فى أخلاقه شدة ، وفى نفسه حمقاً . وكثيراً ما يقدر الأشياء بغير قدرها ، ويقيسها بغير مقياسها .

كان فى ضيافة فتح الله بيك ، مع الشيخ عبد الكريم سلمان وغيره ، فجاء ذكر الدين الإسلامى ، فانتقده صدقى ــ خصوصاً بالنسبة للأحوال الشخصية ــ فغضب الشيخ لهذا الإنتقاد ، وأوسعه مُر الملام . فغضب البيك لهذا ، وحنق ، وعزم أن يفارق المكان . فرجاه أصحابه أن يبقى ، حتى لا يتكدر صفوهم ، ولا يتوحش أنسهم ، فبقى ولكنه عدَّ

(١٣٢) يقصد : الميل إلى النساء ومغازلتهن .

إلحاحهم عليه خطأ فى حقه ، وعزم أن لا يعود إلى ضيافتهم مرة أخرى ـ كما أخبرنى بذلك هو نفسه .

ولا أدرى كيف غضب لهذه الحالة ، مع أنه لا شيء فيه إلا زيادة العناية به ، والاهتمام بشأنه ، والحرص على ارضائه .

وقد أخبرنى عاطف أمس أنه كان وعد ـ أخيرا ـ بالذهاب إليهم وطلب رفع ناموسيات تمنع الناموس الرفيع ، ففعلوا ، وذكروه بوعده ، فقال فى التلفون (. . .)(١٣٣) !

أما صدقى باشا(١٣٤) فلئيم فى طبعه ، دنىء فى نفسه ، غبى فى عقله ، سيء فى ذمته ، حقود وحسود !

بعد أن حصل بيننا ما حصل ، مرض ابنه ، فوصلته بعد القطع ، وعدته عدة مرات ، وصرح هو وامرأته ـ أمام الكثير من الأصدقاء ـ **[ص ١٢٥٠]** أنى عملت ما أشكر عليه شكرا جميلا ، وما لا يجدان للمكافأة عليه سبيلا . بعد ذلك زرته فى يوم الأربعين فى منزله ، وزرت حرمه ، وكلمتها فى شأن إجابة السلطان لما طلب من استئجار بيت الجزيرة ، واستملتها لذلك بعد أن ترددت فيه كثيرا ، واتفقت معها أن يبلغ محمود باشا(١٣٥) هذا الاتفاق للسلطان بالتلفون ، زيادة فى الاهتمام بشأنه .

ولما أعلمت محمود بذلك ، علته كدرة الحنق ، وقال : لا لزوم للإخبار بواسطة التلفون ! فقلت : إن ذلك أبلغ فى المجاملة وأحسن فى

---

(١٣٣) عبارة غير مقروءة ، وقد تكون : «حط فى الخُرج» ـ وهى عبارة استهزاء وعدم اكتراث .

(١٣٤) محمود باشا صدقى ، عديل سعد زغلول . ونلاحظ أن سعد زغلول يكتب كلمة « مكافأة » فى هذه الفقرة على شكل « مكافئة » .

(١٣٥) أى : محمود صدقى باشا .

المعاملة . فقال : وما العمل فى الكهرباء والماء ؟ قلت : هذه مسئلة ثانوية لا يليق الكلام فيها مع السلطان .

ثم حضر صدقي بيك(١٣٦) وأيد رأيى فى الإسراع بالإخبار . فقال صدقى باشا : إذن أرسل الزلعة(١٣٧) إلى البيت الكبير ! قلت : ما هى هذه الزلعة ؟ قال : زلعة كانت فى البيت الكبير ونقلها محمد إلى بيتكم ! قلت : إنى لا أعرف وجود زلعة عندى ؟ وكل ما أعلم أن محمد قال لى ذات يوم إنكم تريدون بيع الزلعة ، قلت : الأحسن عدم بيعها . هذا كل علمى بالزلعة ، ولكنى لا أعلم مطلقا بنقلها إلى بيتى .

قال صدقى باشا : ولماذا لا تباع ؟ قلت : لأنها من الآثار ! قال : مادامت من الآثار فالأحسن نقلها إلى البيت الكبير خشية كسرها . قال صدقى بيك : وكم ثمنها ؟ قال صدقى باشا : إن تليانيا(١٣٨) كان فصلها بثلاث جنيهات ! قال صدقى : مادامت من رخام فهذا الثمن لا يوازى قيمة [ص ١٢٥١] حفرها !

فكرر صدقى باشا القول فى إعادتها إلى منزل الجزيرة . فقلت منفعلا : إنى متى وجدتها عندى أرسلتها فى الحال . وخرجت مع صدقى مستغربا من حدة هذا الرجل ! وقلت لصدقى : أرجو الله أن لا تكون الزلعة عندى ، لأنى لا أود أن يكوّن لهذا الدنىء سبيل علىّ ، وليتنى كنت بقيت بعيدا عنه فى حياتى لأنى لا أشعر بما يفعل من بوادر .

ولما وصلت البيت ، قال لى الخدم : إن الزلعة أحضرها محمد خوفا عليها من السرقة . فأمرتهم فى الحال باستدعاء محمد لإعادتها . ولكن

---

(١٣٦) شقيق محمود صدقى باشا ، وهو محمد صدقى بك .

(١٣٧) الزلعة أى آنية كبيرة من الفخار أو الرخام للزينة .

(١٣٨) أى : إيطاليا .

محمد لم يحضر فى الحال ، فقابلته فى نحو الساعة السادسة ، فأخبرنى بأن محمود باشا أمره ، بعد خروجى مع صدقى من عنده ، بإعادة الزلعة . وأنه كدره على كونه أخبرنى بكونه يريد بيعها .

فذهبت إلى منزل هذا الباشا ، ورأيت عنده محمد بيك متولى . وبعد أن جلست هنيهه ، قلت : إنى وجدت ــ مع التأسف ــ الزلعة عندى ، ولكنى رأيت أنه لا لزوم لإعادتها ، وأن الأحسن تثمينها ، ومن له رغبة منا فيها يأخذها بالثمن المقدر . قال : زى بعضه ، ولكن محمد قال لى إنه لم يقل لك إنى أريدبيعها . قلت : محمد قال ذلك ؟ قال : نعم . قلت : معناه أنا كذبت على محمد ! يلزم حضوره لأنظر كيف أنه لم يقل لى !

فنادى عليه ، وشرع يسأله ، قلت : لازم هو يتكلم عما أخبرنى به بخصوص الزلعة . فقال : إن الشيخ صالح ، [ص ١٢٥٢] وهو كاتب صدقى باشا ، أحضر تليانيا لشرائها ، وثمّنها . فقلت : يلزم إخبار الباشا ، فأخبرته بذلك ، فقال لى : روح شوف الشيخ صالح عاوز إيه ، واتفق معه ! قلت : وهل لايعد هذا رغبة فى البيع ؟ إنه أكثر من الرغبة ، لأنه شروع بالفعل فيه . قال : لا ، ليس الأمر كذلك ، إنه لايعد رغبة ولا شعورا . قلت : وما معنى إحضار التليانى وعرضها عليه ؟ قال : هذا لا يدل على البيع ! وإن هذا تأويل منك ، وأنا لا أحب إلا الصدق ، هذه طبيعتى ، وإن هذا عيب منك وعليك .

فأخذنى الغيظ ، وقمت واقفا أريد الانصراف ، لأن هذه الكلمات أثارت غضبى ، وقلت : والعيب ليس منى ، إنى ما كنت أنتظر ، وأنا آت لأزورك ، أن تفاتحنى فى مسئلة تافهة مثل هذه ، ثم تكذبنى فيها ! إنى لا أريد البقاء . ولكن توسط محمد متولى بيننا، ورجانى فى الجلوس . فجلست أكثر من نصف ساعة ، ثم انصرفت .

بعد ذلك توجهت إلى العزبة ، ثم عدت ، وكان معى محمد حتاتة بيك ، فوجدت صدقى باشا فى عين ذات مقاعد ثلاث فقط ، ووجه الجالس فيها يجب أن يكون متجها للجهة المقابلة للجهة التى يسير نحوها القطار . قلت : أنا لا أستطيع الجلوس فى هذه العين ، وتعال نبحث عن أخرى . وسرت ، ولكنه لم يتبعنى ، فوجدت عينا[١٣٩] أكبر ، فأرسلت محمد [ص ١٢٥٣] يدعوه للجلوس معى ، فعاد مخبرا بأنه لم يقبل !

ثم جاء محمد حتاته ، وجلس معى ، وقال : إنه تقابل مع صدقى باشا ، وسلم عليه ببرود !

ولما وصلنا مصر لم أجد وجها لمقابلته ، فذهبت إلى بيتى ، وكانت الشقيقات اتفقن أن يصنعن فيه «خَتْمة »[١٤٠] يجتمع فيه أقاربهن لسماع تلاوة القرآن ، تذكارا لوفاة والدهن قبل عام . فجاءنى صدقى ، فى اليوم الذى صنعت الختمة فى مسائه ، وطلب منى أن أدعو صدقى باشا لهذه الختمة ، فرفضت ، لأن الداعى ليس له فيها شأن أكبر من المدعو ! وتم الاكتفاء على ذلك ، والله الهادى .

من بضعة أيام ، ورد إلى طرد مانجو من تيمور بيك ، بإشعار وخطاب يقول فيهما : إن هذا الإرسال بناء على طلب محمد بيك مصطفى ! ولما لم يسبق لى تكليفه بشىء من ذلك ، خابرته فى هذا الشأن ، وأعلمته برداءة المانجو . فأجاب بأن صدقى باشا هو الذى كان كلفه بذلك ، وأنى أعتبر هذه الرسالة لاغية ، وأستقبل أخرى من طرف حرم صدقى باشا . فلم أرد أن لا أرسل مبلغ ثمن الأولى ، وحاولت أن

(١٣٩) يقصد سعد بلفظ «عين» ! كابينه .

(١٤٠) حفلة دينية لتلاوة القرآن .

أمنع وصول الثانية . ولكن الست[١٤١] أخبرتنى بأن أختها كلمتها **[ص ١٢٥٤]** فى هذه الهدية ، وشكرتها مقدما عليها .

فأمس ، وردت المانجو ، ومعها فاتورة ببيان ثمنها ، والمصاريف عبارة عن مائتى قرش ! فاستلمتها ، وأرسلت هذا المبلغ حوالة بريدية ، ورجوت الست أن تكتب لأختها بذلك ، حتى تعلم أن ليس لها ، ولا لزوجها ، حسنة علينا ! وحمدت هذه المناسبة للتملص من هذا الدين الثقيل .

فى ١٣ سبتمبر سنة ٩١٥

حضر عندى عبد الرحيم صبرى ، مدير المنوفية ، بعد الغداء ، وكان معه عاطف بيك . وكانا يتناقشان فى شخص كان أراد صبرى باشا أن يعينه ناظرا لإحدى المدارس التابعة إلى مجلس المديرية ، ولما طلبه قيل له : إنه مسئول أمام حكمدار بوليس مصر ، لشبهة توجهت عليه . فعدل المدير عن تعيينه .

فقلت له : الأحسن أن تتمهل ، ربما يظهر عدم صحة الشبهة ! قال : الأولى أن نعين خاليا عن الشبهة ، خصوصا وأنا لم أكن متأكدا من سعة كفاءة المشبوه .

وبهذه المناسبة ، جرى الحديث فى القبض على المشبوهين ، وما يقع من المضايقة . فقال : أمرت أن أفتش تلميذا ، وأقبض عليه ، وكان من أكرم التلامذة خلقا وأذكاهم فؤادا . فتلطفت كثيرا فى تنفيذ الأمر حتى لا ينزعج خاطره ، وخاطر ذويه ، وأحسنت الشهادة فى حقه . ثم لم يتبين عليه شىء ، وأخلى سبيله !

---

(١٤١) يقصد : صفية زغلول .

قلت : حسنا فعلت ! ولاحق فى الاعتراض على الحكومة فى القبض على المشبوهين ، ولكن يعترض عليها إذا أساءت القبض ، [ص ١٢٥٥] ولم تسرع فى تحقيق أمرهم . وفهمت منه أن تعيين ابنه سكرتيرا لعدلى (. . .) (١٤٢) .

كثر تحدث الناس فى هذه الأيام ، بالجمعية التى تأسست فى اسكندرية تحت اسم العروة الوثقى ، وبرئاسة محمد سعيد باشا . وقد طعنت بعض الجرائد فى إدارتها طعنا بليغا ، واستعفى بعض أعضائها ، ورأت الحكومة أن تعين لجنة لتحقيق أمرها من خمسة أعضاء ، فباشرت اللجنة أعمالها .

وقد ذكر لى رشدى باشا هذا القرار ، وقال لى : إن محمد سعيد باشا استاء منه ، وقال : اتهتم الحكومة بالأمر لمجرد الطعن من بعض الجرائد ؟ فقال رشدى : إن اهتمام الحكومة ليس آتيا من ذلك فقط ، بل ومن استعفاء بعض الأعضاء على التوالى ، ومن الإشاعات المتواترة . على أنه إذا أنكر حق الحكومة فى تعيين هذه اللجنة ، فلا يمكن أن ينكر عليها حقها فى تحريك الدعوى العمومية بشأن الاختلاسات المنسوبة اليها . قال : وقد علمت أن دفاتر الجمعية لم يتقيد فيها شىء من أراضى هذا العام : لا صادر ولا وارد ، بل هى باقية بيضاء !

وأخبرنى اليوم عاطف ، نقلا عن اثنين من أعضاء لجنة التحقيق [ص ١٢٥٦] أنه تبين لهذه اللجنة أن محمد سعيد باشا كان اشترى أشياء من الجمعية بمبلغ ستمائة ونيف وسبعين جنيه ، ولم يدفع إلا أخيرا بعد لجنة (١٤٣) التحقيق ، وقبيل مباشرتها للعمل فيه بمدة قليلة جدا . وأن الجمعية فيها اختلال عظيم !

(١٤٢) عبارة غير مقروءة بسبب عدم وضوح الحبر .

(١٤٣) قراءة اجتهادية .

٢١٦٠

في ١٦ سبتمبر سنة ٩١٥

سافرت إلى العزبة فى يوم ١٤ سبتمبر سنة ٩١٥ صباحا ، وأقمت بها ليلتين ، ثم عدت منها اليوم . وقد رأيت النجار أحضر الشبابيك ، والأبواب بعضها ، والبعض مشتغلا باحضاره . ورأيت الخشب غير موافق للشروط ، فتأثرت ، وكنت أريد رده ، ولكن رأيت الوقت يطول ، فقبلت مكرها . ولكنى أصررت على أن لا أدفع إليه قيمة الخشب المتفق عليه ، بل قيمة الخشب المصنوع .

وبعد أن رتبت أشغال العمارة ، وأجريت بعض التعديلات فى المبانى ، وعاينت المزروعات والمحصولات ، عدت اليوم على قطار الظهر .

وعلمت أن رشدى باشا حضر إلى مصر ، فمررت به فى منزله ، فوجدته فى الديوان ، فتكلمت معه بالتليفون إنى أريد مقابلته ، ثم اتفقت معه على أن يتناول عندى الغدا .

ثم سألنى عما إذا كنت قرأت حديثه المنشور فى أهرام أمس ؟ فهنأته عليه . وقد حضر[١٤٤] فى نحو الساعة ٢ **[ص ١٢٥٧]** بعد أن أمضنا الجوع . وفهمت منه أنه استاء من كون الإنجليز يتبرأون من القبض على الناس واعتقالهم ، ويسندون ذلك إليه وإلى السلطان . وأفهمهم بأن هذا التبرؤ[١٤٥] يزيد فى مسئوليته ، ويضعف من أهمية عمله ، وأنه إذا كان له رأى فى ذلك ، فهذا لا ينافى الإشتراك فيه..

وقال إن[١٥٤] من رأى مكماهون أن يعتقل مع كل مشبوه كل

---

(١٤٤) فى الأصل : وحضر .
(١٤٥) فى الأصل : التبرأ .
(١٤٦) فى الأصل : وأن .

المخالطين له من الأقارب والأصدقاء حتى يمنعه هول مصيبته فى نفسه وفيهم من التشرد(١٤٧) وإن هذه الطريقة نجحت فى الهند نجاحاً عظيماً ! وقد استعظم رشدى ذلك ، وعده(١٤٨) ظلماً عظيماً .

وجاء ذكر الرافعين : وهما عبد الرحمن ، وأمين الرافعى . فقال : إنه شخصياً مقتنع بأن لهما صلة بالترك ، وبأنهما كانا عاملين على تنفيذ مشروع ثورى ، ودلت كتابات ضبطت عندهما على ذلك .

وقال إنه نسى(١٤٩) مسئلة حسين فهمى بهجت ، وإن السبعة عشر تلميذاً سيفرج عنهم قريبا ، وإن البندارى ، الذى قبض حديثا [ص ١٢٥٨] عليه ، لم يمض عليه فى السجن إلا القليل ، وقد تقدم إليه فى شأنه تقارير كثيرة ، آخرها أنه تكلم فى حق السلطان وضد الإنكليز فى المحكمة ، فى وسط قاعة المحامين .

---

(١٤٧) هكذا تقرأ ، ومنطق العبارة غير مفهوم ، خصوصا وهى تعود على « الأقارب والأصدقاء » وليس على الأبناء .

(١٤٨) فى الأصل : « وإن رشدى استعظم ذلك ! وعده » .

(١٤٩) فى الأصل : « وانه نسى » .

وبالنسبة لكل من عبد الرحمن الرافعى وشقيقه أمين الرافعى ، فقد يكون من المفيد أن نورد هنا ماكتبه عبد الرحمن الرافعى عن اعتقاله وشقيقه فى مذكراته المنشورة تحت عنوان : «مذكراتى ١٨٨٩ ــ ١٩٥١» ــ الطبعة الثانية ، كتاب اليوم عدد ٢٩٨ ــ ص ٣٨ ــ ٤٢» . وفيها يقول :

اعتقالى ١٩١٥ ــ ١٩١٦

شبت الحرب العالمية الأولى فى يوليو ــ اغسطس سنة ١٩١٤ ، وأعلنت السلطة العسكرية البريطانية الأحكام العرفية فى مصر ابتداء من ٢ نوفمبر من تلك السنة ، على أثر دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء .

=

= وفى ديسمبر سنة ١٩١٤ وقع الانقلاب المشئوم الذى أعلنت فيه الحماية البريطانية الباطلة على مصر ، وخلع الخديو عباس حلمى الثانى ، وعين الأمير حسين كامل سلطان .

وقد احتجبت جريدة (الشعب) — وكان يتولى رئاسة تحريرها المرحوم أمين الرافعى — عن الظهور احتجاجا على إعلان الحماية ، وتولت السلطة العسكرية حكم البلاد فى خلال الحرب ، فكان أول عمل لها اضطهاد الحزب الوطنى ومطاردة رجاله.فضبطت أوراقه ودفاتره وسجلاته ، وشتتت شمل الكثيرين منهم ، ووزعتهم على سجن الاستئناف بالقاهرة ، وسجن الحضرة بالاسكندرية ، والمعتقلات التى أنشأتها لهم خصيصا فى درب الجماميز وطره والجيزة وسيدى بشر ، ونفت بعضهم إلى مالطة وأوربا،وكنت ممن أصابهم الاعتقال ، وأذكر من أسماء المعتقلين وقتئذ : أحمد بك لطفى . على فهمى كامل بك ، عبد الله بك طلعت . عبد اللطيف بك الصفانى وقد وضع تحت المراقبة فى دمنهور . عبد اللطيف بك الكباتى . الأساتذة عبد المقصود متولى . محمد زكى على . أحمد وفيق . أمين الرافعى . عبد الرحمن الرافعى . مصطفى الشوربجى . إسماعيل حافظ صهر محمد بك فريد . محمد فؤاد حمدى . إبراهيم رياض . الدكتور عبد الحليم متولى . الدكتور عبد الفتاح يوسف . الدكتور شفيق منصور . أحمد أفندى رمضان زيان . اليوزباشى حافظ محمود قبودان . اليوزباشى أحمد حمودة . محمد أفندى الشافعى . مصطفى أفندى حمدى . يعقوب أفندى صبرى . اليوزباشى أحمد نبيه قبودان . إسماعيل أفندى حسين .. الشيخ إبراهيم مرونى إلخ إلخ .

وممن نُفوا إلى أوروبا . الدكتور نصر فزيد بك . وإلى مالطة الدكتور عبد الغفار متولى . الدكتور محمد عوض محمد . الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقى . الأستاذ محمد عوض جبريل . حامد بك العلايلى . سلامة أفندى الخولى . الأستاذ على فهمى خليل . الأمير أفندى العطار وغيرهم وغيرهم ، وقد لبثوا فى المعتقلات أو فى المنفى مددا طويلة ، ومنهم من لبث فى السجن أو المنفى إلى ما بعد الهدنة سنة ١٩١٨ ، أما من أفرج عنهم فقد قيدت حريتهم ووضعوا تحت المراقبة .

=

إلى السـجن

كان اعتقالى بالمنصورة يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩١٥ ، وفى نفس هذا اليوم اعتقل لفيف من خاصة أهل المنصورة ممن عرفوا بميولهم الوطنية ، ورحلونا معتقلين إلى القاهرة حيث اودعونا سجن الاستئناف بباب الخلق ، وهناك التقيت بأخى أمين ويفوج آخر من الوطنيين ، اعتقلوهم بمصر يوم اعتقالنا ، وكان نظام الاعتقال بسجن الاستئناف أن تخصص كل غرفة من الغرف الانفرادية لاثنين من المعتقلين ، وقد نسقوا اختيار كل اثنين بحسب مراكز المعتقلين وشخصياتهم ، وإذ كنت قد اعتقلت بالمنصورة ، فقد وضعونى أنا والمرحوم عبد اللطيف بك المكباتى عضو الجمعية التشريعية (وعضو الوفد المصرى فيما بعد) فى غرفة واحدة وهى الغرفة رقم ١٥ من العتبر رقم ٥ . وكنا صديقين حميمين ، ومنزله بالمنصورة تجاه منزلى بها وقتئذ ، وكنا قبل الاعتقال نتبادل الزيارات والأحاديث ، وله ميول نحو مبادىء الحزب الوطنى ، وكنت أقدر فيه وطنيته وشجاعته الأدبية ، واحتفاظه بكرامته ، واعتزازه بشخصيته ، وكفاءته الممتازة ، فلما علم كلانا أنه زميل لصاحبه فى «الزنزانة» ، اطمأنت نفسنا إلى هذه الزمالة ، وخففت عن كلينا غضاضة السجن ، وقد استقبلنا موظفو السجن وعماله بالاحترام والتقدير ، لأنهم عرفونا وعرفوا سبب اعتقالنا ، وعرفوا على الأخص أننا لسنا من طراز ضيوفهم الآخرين نزلاء سجن الاستئناف ، فأكرموا وفادتنا وبذلوا لنا كل ما أمكنهم بذله من التسهيلات ، ولكن فى حدود اللوائح ، لأن عليهم رقباء من رؤسائهم فى المحافظة .

فى الزنزانة

ولما التقينا ــ أنا والمكباتى بك ــ أول مرة فى «الزنزانة» واقفلوا علينا بابها و «تمموا» علينا طبقا للتعليمات ، نظر كل منا إلى صاحبه نظرة دهشة واستغراب ، وأخذنا نتامل فى تصاريف الأقدار ، ثم مالبثنا أن مزجنا الدهشة بشىء من الفكاهة والسخرية من سياسة الحكومة التى تعتقل الناس جزافا وفى غير حدود العدل والقانون ، دون توجه إلينا أى تهمة ، وقد رأيت من المكباتى جلدا وصبرا أعجبت =

= بهما ، وزادا من تقديرى له ، إذ كنت أظن أنه قد يتسخط على مسلكه الوطنى الذى أدى به إلى الاعتقال ، ولكنى على العكس رأيته فخورا به معتزا بشخصيته ، عالى الرأس كعادته ، وأخذنا نقطع الوقت بالأحاديث نتناولها فى شتى المواضيع ، فكانت خير سلوى لنا فى هذه الأوقات العصيبة .

وفى ٣٠ أغسطس جاءنا الفرج ، لا بإطلاق سراحنا ، بل بنقلنا إلى معتقل أعدوه لنا بدرب الجماميز ، فى مبنى مخازن وزارة المعارف ، ذلك أن اعتقالنا فى سجن أعد لاستقبال المحكوم عليهم أو المنتظر أن يحكم عليهم فى الجرائم ، قد قوبل من مختلف الطبقات بالسخط والاستنكار ، وأبديت رغبة فى معاملتنا كمعتقلين سياسيين لهم على كل حال حق الرعاية والمعاملة الإنسانية ، فاعدوا لنا المعتقل الجديد بدرب الجماميز ، وقد شعرنا فيه بشىء من الراحة النسبية إذا قورن بسجن الاستئناف ، وسمح لنا فيه على الأقل أن نجتمع معا فى أى وقت نشاء ، وأن نختار من الغرف الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ما نشاء ، وأن يختار كل منا زملاءه ، فاخترت مع أخى أمين غرفة واحدة كان بابها مفتوحاً فى كل وقت ، ولا رقابة علينا فى خروجنا منها ، وكتبت لأهلى خطابا أبشرهم فيه بأننا انتقلنا من سجن الاستئناف إلى المكان الجديد ، وأن دواعى الراحة متوفرة فيه .

على أنه قد كتب علىّ أن انتقل وقتا ما إلى سجن انفرادى آخر يشبه من بعض الوجوه سجن الاستئناف ، وهو سجن « الحدرة » العمومى بالأسكندرية ، إذ نقلونى إليه وأبقونى فيه مدة أسبوعين مع لفيف من معتقلى المنصورة للتحقيق معنا فى بلاغ كاذب عن تهمة باطلة تبين من التحقيق كذبها وتلفيقها ، وقد صحبنى أيضا المكباتى بك فى سجن الحدرة وأفرج عنه هناك ، ثم عدنا إلى معتقل درب الجماميز ، فرحب بنا الإخوان والزملاء . وهنأنى على بطلان التهمة التى وجهت إلينا .

فى رحاب ليمان طره

فى شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ نقلونا إلى معتقل آخر أعدوه لنا فى بلدة طره بجوار ليمان طره المشهور ، ويبدو لى أن سبب نقلنا إلى هذا المعتقل الجديد أن السلطة العسكرية رأته أبعد عن أنظار الناس وعن الزيارات العائلية من معتقل درب =

....

....

الجاميز ، فضلا عما يوحى به اعتقالنا فى طره ـ حيث الليمان المشهور ـ من الرهبة والفزع لمن كانوا مطلقى السراح من الوطنيين وربما كان من أسباب هذا النقل أيضا أن معتقل درب الجماميز ضاق بمن فيه ، إذ زاد علينا بعض طلبة الحقوق الذين اتهموا بتحريض زملائهم على الإضراب يوم زيارة السلطان حسين كامل لمدرستهم .

ثم نقلونا فى فبراير سنة ١٩١٦ إلى معتقل آخر أعدوه بالجيزة فى مبنى سجن قديم مهجور كان يعرف بالسجن الأسود ، وقد تحول بعد ذلك إلى عدة مبان حكومية بأول شارع الهرم بالقرب من كوبرى عباس . .

ومكثنا به إلى أن أفرج عنا يوم ١٧ يونيه سنة ١٩١٦ ، أى أننا مكثنا معتقلين عشرة أشهر ، وكان الإفراج عنى مع أخى أمين بك وعبد الله بك طلعت فى يوم واحد .

وقد ذهبوا بنا نحن الثلاثة إلى الإسكندرية ، حيث أعدوا لنا عدة زيارات اقترنت بإطلاق سراحنا ، فقابلنا حسين رشدى رئيس الوزارة فى منزله بالرمل بمحطة كارلتون (الآن محطة رشدى باشا) ، فأحسن استقبالنا وتحدث إلينا عن ضرورات الحرب وعن مساعيه لدى السلطة العسكرية البريطانية لإطلاق سراحنا حتى كللت أخيرا بالنجاح ، فشكرناه على حسن مسعاه ، وطلب إلينا أن نذهب لمقابلة السير رونلد جراهام مستشار وزارة الداخلية وقال عنه إنه هو أيضا سعى فى الإفراج عنا ، فذهبنا إليه بدا الوزارة ببولكى وقابلناه وأبدى نحونا شعورا طيبا .

فى حضرة السلطان

ثم ذهبنا إلى سراى رأس التين حيث قابلنا المغفور له السلطان حسين ، وقد استقبلنا بعطف وحفاوة ، وأخذ يدافع عن سياسته منذ إعلان الحرب العالمية وقبوله عرش السلطنة ، وقال إنه قصد خدمة مصر والأسرة العلوية ، والتفت فى ختام الحديث إلى أخى أمين وقال له : «وطلّه الغازيته يا أمين بك» ، ووعده بالمساعدة المالية لإصدار الغازيته .(صحيفة الشعب وكانت محتجبة احتجابا على اعلان الحماية) ، فشكره أمين وانتهت المقابلة بالتحيات المقرونة بالدعوات ، على أن امينا رحمه الله لم يفكر فى إعادة صحيفة الشعب طيلة مدة الحرب . =

وفهمت منه أيضاً ، كما فهمت من حديثه ، أنه متأثر مما نسب إليه من أنه يريد ضرب هذه الأمة فى شبيبتها ! وقد أنحينا باللائمة (١٥٠) على الأفكار الفوضوية وأصحابها ، وحكمنا عليها بالجنون والضرر .

وقد حضر أحمد عبد اللطيف ، وتكلم معه فى المراقبة ، فأجابه بمثل ما أجابنى به ، ثم خرج . وبقى عبد اللطيف يقرأ حديث رشدى فى جريدة النوڤيل . ثم حضر شكرى باشا ، وبعد هنيهة إنصرف عبد اللطيف .

ورجانى شكرى أن أرجو رشدى فى شأن على باشا فهمى ، وتواعدنا أن نقابل رشدى هذه الليلة أو غدا . ولكن خادمه أنكره ، فخاطبته بالتلفون ، وطلبت أن أقابله خمس دقائق ، فأجابنى الخادم مصطفى بأن أقابله غدا صباحا .

---

(١٥٠) فى الأصل : «أنحينا» وقد أضفنا «باللائمة» لبستقيم المعنى . وبالنسبة لما نسب إلى حسين رشدى باشا من أنه يريد ضرب الأمة فى شبابها، فقد رد رشدى باشا على هذا الاتهام فى حديث إلى جريدتى « الأهرام » و« الجورنال دى كير » فى يوم ١٥ سبتمبر ١٩١٥ ، فقال : « إن صالح عبد اللطيف بدوى (المعتدى على إبراهيم فتحى باشا) عزا إلىّ أننى قلت العبارة الآتية : « يجب سحق الأمة المصرية بضرب ناشئتها » . وإنى لأبرأ إلى الله من هذا القول . أأنا أريد سحق الشعب المصرى ، وأنا مصرى ، وأجدادى سفكوا دماءهم فى سبيل استقلال مصر ؟ وإن أحد أجدادى انتصر على الجنرال فريزر الإنجليزى ، فقابله بعد انتصاره الرجل الخطير الشأن محمد على ، فترجل ونزل عن جواده ، وقبله . وكلما تذكرت ذلك تأخذنى هزة الفخر . وإذا كان جدى قد قاتل الإنكليز حبا فى مصلحة مصر ، فإن هذه المصلحة نفسها تحملنى اليوم على أن أماشيهم واضعا يدى بيدهم » (أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية ، تمهيد ، الجزء الأول ، ١٩٢٦) .

وأخبرنى عاطف ـ عن حافظ باشا حسن ـ أن الإنكليز ابتدأوا يتذمرون من أعمال القبض الجارية ، ويريدون [ص ١٢٥٩] الإفراج(١٥٢) عن المعتقلين ، بعد أن تفحص السلطة العسكرية أحوالهم . وأنهم ينسبون هذه الأعمال إلى رشدى والسلطان خاصة ! وأوعزوا إلى عمالهم فى المديريات ، أن يثبتوا فى أذهان الناس ابتعادهم عنها ، وإرادتهم تخليص الناس من شرورها .

قال : وإنه(١٥٣) هو دافع عن أعيان مديريته أمام رشدى والوزراء . وكانوا كلهم سكوتاً ، ولم ينبس(١٥٣م) أحد منهم ببنت شفة ، غير يوسف وهبة(١٥٤) حيث قال : لا يصح أن يؤاخذ مأمور مركز طلخا دون القاضى ، على أن حالتهما واحدة ، وغير إبراهيم باشا فتحى ، حيث أحسن الشهادة فى حق ذلك المأمور .

وقد تأيد لعاطف صدقي رواية حافظ حسن ، لأنه سمع فتحى باشا يقول له : إنك دافعت دفاعاً كريماً عن أهالى مديريتك .

ورأيت من لاقيت ممن قرأوا حديث رشدى ، غير مستحسنين لكثير من أقواله ، ويتهمونه بأنه بالغ فى محاباة السلطان والإنكليز . ويظهر أن هذا الحديث أثَّر عكس القصد منه ! وقد أخبرنى رشدى أن بعض الإنكليز لم يستحسنوا بعض ما جاء فيه . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١٥٢) فى الأصل : فى الإخراج .

(١٥٣) أى : حافظ باشا حسن .

(١٥٣ م) كتبها سعد زغلول : ينبث .

(١٥٤) يوسف وهبة باشا هو وزير المالية فى وزارة حسين رشدى باشا .

[ص ١٢٦٠]

فى يوم ١٧ سبتمبر سنة ٩١٥

أمام المحاكم الأهلية قضية نصب واحتيال ، مرفوعة من النيابة العمومية ضد إثنين من عائلة كيشار ، وسمسار شهير يدعى عزيز بحرى ، من عائلة سورية قديمة فى مصر . وحاصلها أن عزيز المذكور توسط للكيشارية فى رهن أطيان لبنك الرهونات ، مع كونها موقوفة ! والنيابة العمومية تدعى أن المتهمين فعلوا ذلك ، توصلا لسلب مبلغ الرهن من البنك .

والكيشارية يدعون الجهل بالإجراءات ، وأن الذى حسن لهم ذلك ، ونفذه معهم ، هو عزيز بحرى . وهذا الأخير يدعى أنه توسط فى الأمر ، من غير أن يعلم أن الأطيان المراد رهنها موقوفة .

هذا حاصل الدعوى تقريباً . وبلغنى أن النيابة ، بعد أن حولتها أولا على محكمة الجنح ضد جميع المتهمين ، وسلمت إعلانات الحضور لقلم المحضرين ، عادت فسحبت من عذا القلم الإعلان الخاص بعزيز بحرى ، وحفظت الدعوى بالنسبة إليه ! وقيل إن ذلك كان بأمر وزير الحقانية ــ إذ ذاك ــ رشدى باشا .

ثم تغيرت الوزارة ، فتغير عمل النيابة ، وأخذت تتصيد أدلة جديدة لتعود إلى التحقيق . فعادت ، وأدانت عزيز ، وحكم القاضى الجزئى على جميع المتهمين !

فاستأنفوا ، وطلبت النيابة أولا تأييد الحكم المستأنف . ثم صدر لها الأمر بأن تطلب براءة عزيز بحرى ! وقبل أن تفعل ذلك ، علم به [ص ١٢٦١] بقية المتهمين . ولما أرادت النيابة أن تتكلم ، أرادت المحكمة أن لا تسمح لها بذلك ، فقام المحامون عن عزيز بحرى ، ورجوا المحكمة ـ بإلحاح ـ أن تسمع أقوالها ، لعل أن يكون فيها مفيد . وطلب المحامون عن الكيشارية إثبات هذه الحالة فى المحضر . ثم تأجلت الدعوى إلى الغد . وفى هذه الأثناء ، أرسل الكيشارية تلغرافاً إلى رئيس الجلسة ، يقولون فيه : إن النيابة ستطلب براءة عزيز ـ كما علموا من مصدر سام ! ـ وبالفعل طلبت النيابة ذلك فى الغد ! ويقولون إن رشدى باشا يساعد بحرى ، وكذلك استورس ، وإن ناظر الحقانية ، ووكيلها ، يساعدان الكيشارية .

وللناس فى أسباب ذلك أقاويل شتى ، كلها لا تشرف هؤلاء الحكام !

وقد كان عندى أمس رشدى ، فدخل علينا أحمد عبد اللطيف ، وريثما جلس ، سأله رشدى عن الحكم فى الدعوى ؟ فقال له : إنه تأخر أسبوعاً .

وقد فهمت أن الدعوى هى دعوى كيشار . ومن المؤكد أن بنك الرهونات يسعى ضد بحرى سعى المجد ! ويقولون إن ذلك لأنه غنى وبقية المتهمين فقراء ! والله أعلم !

وقد أيد لى شكرى باشا كل ما تقدم من الروايات ، وزاد عليها أن رشدى باشا وثروت ، عقب الحكم على بحرى ، قرآ الحكم على عبد العزيز فهمى ، [ص ١٢٦٢] وقالا : إنه فى غير محله ، وإنه

رغماً عن نصيحة المستشار قبل سفره بوجوب ترك القضاء فى حريته ، قد أمر النائب العمومى بأن يكلف عضو النيابة المترافع فى الدعوى أن يطلب البراءة ! وقد فعل ذلك ، مع كونه ــ هو بنفسه ــ الذى ترافع فى الدرجة الإبتدائية ، وكان مُشتدا فى طلب الإدانة !

فإذا أضفنا ذلك إلى ما يتحدث به العارفون فى مجالسهم عن القضاء والقضاة ، أسف كل محب لهذه البلاد على اختلال أمور العدالة فيها ، ويئس من تحسن الأحوال .

ولقد قال لى لطفى بك السيد ، عقب قدومه من بنى سويف ، وإستلام وظيفته فى دار الكتبخانة ، إنه شعر كل الشعور ، وهو ببنى سويف ، بصحة ما قلت عن القضاة ، بأنهم : «قضاة ضرورة» !

وبهذه المناسبة ــ أى مناسبة لطفى بيك ــ أقول إنه تغير كثيراً عن ذى قبل ، وأصبح لا يهمه من الأمور إلا ما تعلق بشخصه ! جرى ذكر إعتقال الناس ــ فى حديثى معه ــ فقال ما معناه : إنه فى الوقت الذى يكون الحكم فيه للمنفعة ، ليس للناس أن يشكوا من سلب حريتهم ، إذا عملوا شيئا تقضى هذه المنفعة بالعقاب عليه بالتضييق على هذه الحرية ! وفهمت منه أنه ترك كل شيء عام ، حتى قراءة الجرائد !

١٧ سبتمبر

قابلت أمس رشدى فى منزله ، وكلمته فى على فهمى باشا ، بناء على رجاء شكرى وصالح حقى . فوعد خيراً . وفهمت منه ــ من بعيد ــ أن السلطان لا يزال غضبان من شفاعتى فى المكباتى ! [ص ١٢٦٣] وقال : الأحسن أن لا تناوئه ! قلت : أنا بعيد عن ذلك ، ولكن أحياناً

نتكلم مع بعض الأعضاء ، كعلى باشا شعراوى ، فى شأنه ، كلام المحبين لا الناقمين . قال : إنه[١٥٥] سريع التأثر ! ونصحنى بأن لا أستشفع فى أحد عنده !

قلت : إنى تجنبت السفر إلى إسكندرية ، لكى لا أندفع إلى ما لا يجب من قول أو إشارة .

ثم عدت إلى الكلام فى ما تقرر فى أذهان الكافة من أنه هو الذى يتولى أمر الحبس والإفراج ! وبلغته ما سمعته من عاطف بهذا الخصوص . قال : إنى سأتكلم فى هذا الخصوص مرة أخرى ، وإنى مستعد لأن أعلن الحقيقة فى الجرائد . قلت : لا داعى إلى ذلك . ثم تثاءب ، فانصرفت .

وفى أثناء انصرافى ، رأيت فتاة ممشوقة القوام ، تدل تقاطيع جسمها على أن فيها جمالاً ، داخلةً إلى داخل المنزل بغير إحتشام ! فنظر إليها رشدى نظر المنفعل ، ثم تبعها إلى الداخل ! وخرجت ، فوجدت عجوزاً واقفة بالباب تنتظر !

تاريخه أى ١٨ سبتمبر

أخبرنى محمد متولى بيك أنهم فتشوا منزل أحمد لطفى المحامى ، تفتيشاً ثانيا ، ولكنهم لم يقبضوا عليه ، لأنهم لم يجدوا عنده شيئا .

[ص ١٢٦٤]

١٩ سبتمبر سنة ٩١٥

اجتمع عندى طلعت باشا وشكرى باشا الثانية[١٥٥م] ، وصدقى

(١٥٥) فى الأصل : « لأنه » .

(١٥٥ م) قد يكون معناها : الساعة الثانية ، أو المرة الثانية .

وعبد الله زغلول ومحمد بيك حتاته .

وقبل اجتماع كلهم ، علمت من الخادم أن الحرم تريد إستدعاء الحكيم فرنوموش(١٥٦) ، فكلفته أن يستدعيه ، لمرض فى العين ألم بها . ثم دخلت عندها ، فوجدتها تتألم أشد الألم . وحضر الحكيم ، وقرر أنه الرمد . وعالجها ، ثم إنصرف .

ونزلت عند هؤلاء الإخوان . ودار الكلام على موضوعات شتى ، ومن ضمنها : مسائل التعدى على حياة السلطان والوزراء . وقد قال محمد بيك حتاتة إن المعتقلين نقلوا إلى طره فى خيام . وكانت جرت الإشاعة بذلك من قبل ، فجاء هذا الخبر مؤيدا لها .

ثم اندفع النائب العمومى يؤيد سياسة الحكومة فى اعتقال من اعتقلتهم وتفتيش من فتشت منازلهم . فقال : إن الحكومة على بركان من نار، فإذ لم تشتد فى الاحتياط لنفسها من عمل الفوضويين والمجندين لأعمالهم والمشجعين لهم بالسخط من الهيئة الحاضرة ــ ساءت الحال . وإن رجال الحزب الوطنى مسئولون عن الجرائم التى يرتكبها أولئك الحمقى ، لأنهم هم الذين سمموا أفكارهم . ولقد ضبط عند بعضهم خطاب من تلميذ ، أرسله عقب أن وصل إلى لونده ، يطعن فيه على الحكومة أقبح طعن ، ويقول : انه لابد لنجاح مصر من إراقة الدماء !

وقال إن(١٥٧) توالى مثل هذه الجرائم ، يدفع بالحكومة **[ص ١٢٦٥]** إلى الاحتياط ، باعتقال من يخشى منه . نعم إنه قد يقع ظلم على بعض الناس ، ولكن ذلك لابد منه لتسكين الفتنة . واسترسل فى ذلك البيان كثيرا .

---

(١٥٦) هكذا تقرأ .

(١٥٧) أضيفت : « وقال إن » لبداية فقرة جديدة .

فقلت : لا جدال فى أن للحكومة الحق فى أن تتخذ وسائل استثنائية ، فى مثل الحالة التى نحن بصددها ، وتشتد فى عقاب من يثبت عليه شىء من تلك الجرائم . ولكن يظهر أنها تجاوزت الحد فى ذلك ، لأنه إن دعت الضرورة للإعتقال ، فلا تدعو مطلقا لتعذيب المعتقل ، بوضعه تحت الخيام ، ومنع معالجته إذا مرض ، وعدم سؤاله عن تهمته ، ووضعه فى سجن الإنفراد ، من قبل أن يوجه إليه سؤال !

وعلى الحكومة أن تفهم أن الأمة ، التى يربطها مع الترك علاقة الدين والعوائد ، لا تستبدل هذه العلاقة بسهولة ، ولا تنساها فى وقت قريب . وعلى ولاة أمورها أن يعطوها الزمن الكافى لأن تندب حظها ، وتبكى حالها . ولا تحاسبها على شىء من ذلك ، إلا إذا تحول البكاء والندب إلى أعمال تضر بها . هنالك تعاقب فاعلى هذه الأعمال بأشد العقاب .

وعليها ـ مع ذلك ـ أن تجتهد فى استرضاء الأمة ، بأن تمنحها من الحرية والعدل ما لم تكن تتمتع به تحت تلك الرابطة . ولكنها إذا اعتمدت على الشدة وحدها فى معالجة تلك الحالة ، فإنها تخطىء خطأ عظيما . فوافق سعادة النائب على هذه الأقوال .

[ص ١٢٦٦]

في ٢٠ سبتمبر سنة ٩١٥

زارنى أمس محمد بيك أباظة ، ورجانى أن أرجو فى شأنه عدلى باشا ورشدى باشا لأن يستميلا نحوه عظمة السلطان . فوعدته بذلك .

وزارنى الدوكتور ألفريد عيد ، وتكلم معى فى قضية كيشار المرفوعة للقضاء ، وقص علىَّ طرفاً مما ورد ذكره آنفاً فى هذه القضية .

وأراد إستطلاع رأيى فيما يجب ؟ فقلت : لا شىء يُعمل الآن إلا إنتظار ما يأتى به القضاء ، لأن كل سعى قد يعود بالخسران . ولا أدرى لماذا اهتم بأخذ رأيى فى هذا الخصوص !

ثم حضر بعد العشاء إبراهيم باشا سعيد ، وشكرى باشا . وتكلمنا فى بعض المواضيع الزراعية .

ثم حضر محمد يوسف المحامى ، وتطرق الكلام إلى نقص القانون فى عدم معاقبة الموظفين فى غير المصالح العمومية بما يشبهها(١٥٨) ، كالأوقاف الخاصة ، والبنوك ، والشركات ، وغيرها ـ إذا ارتشوا وعملوا أعمالا مضرة بهذه المصالح . وقد ملت إلى وجوب حماية هذه المصالح بعقوبات خاصة .

إشتد مرض العيون بالحرم أمس ، ولكنه خف اليوم ، ولم تنم البارحة . لطف الله بها .

نشرت جريدة الأهرام أمس جملة بإمضاء زكريا نامق ومحمد بيك سليمان ، أعضاء فى الجمعية التشريعية عن بنى سويف ، يمتدح فيها حديث رئيس النظار المنشور فى هذه الجريدة من بضعة أيام . [**ص ١٢٦٧**] ونشرت اليوم جملة أخرى ، لمحمد بيك خطاب المحامى ، فى هذا المعنى ! ولعل الصلة التى بينه وبين توفيق رفعت ، أخ صادق بيك كاتم أسرار دولة الرئيس ، لها دخل فى نشر هذه الجملة ـ كما ظن بعض الناس !

وبهذه المناسبة نقول : إن هذا الحديث لم يصادف الإستحسان الذى كان ينتظره صاحبه فى نفوس الناس ! ولا يكون لمثل هذه الجمل قيمة ، حتى تصدر من أرباب النزاهة والفضل ، وقتما يكون فى الإمكان نشر

---

(١٥٨) قراءة ترجيحية .

أضدادها وحتى تكون كثيرة ، من معارف متعددة .

في ٢٢ سبتمبر سنة ٩١٥

أمس نشرت الأهرام جملة رابعة لكاتب يدعى حسن شريف ، وهى فى موضوعها أحسن ما كتب وأشد إيلاما للمصريين .

توجهت أمس إلى زراعة دسونس ، . فاستقبلنى مديرها أحسن إستقبال . وبعد أن شربنا القهوة عنده ، ركبت مع حتاتة بيك عربة لمن يدعى على نجاتى ، حتى وصلنا القرية . فوجدنا حالتها غاية فى الإهمال ، خصوصا مبانى القرية . وعلمنا أن أكثر الأطيان تروى بمياه الراحة فى زمن النيل ، إذا كان لها فتحات بالخندق وترعة (. . .)[١٦٠] التى كانت تدعى [ص ١٢٦٨] سابقاً بحر الاحكار[١٦١] .

وقد علمت أن البعض يريد إستئجار بعضها ، فأمرت الكاتب أن يأخذ طلبات الراغبين ، ويكتب لى كشفا بها .

ورأينا حولها أرضاً تبلغ مساحتها سبعة أفدنة ، متخلفة من إبطال ترعة الخطاطبة ، وفيها مياه غزيرة من النشع ، وبها بردى وحشائش أخرى مما تنبت عادة فى المياه الراكدة أو مياه النشع . وقيل لنا : إن مفتش الرى أبدى رغبته فى بيعها ، وأن يسمح للمشترى أن يأخذ ردما من حافة الخندق لردمها به .

كما علمنا أن قطعة الأرض ، التى فى آخرها من الجهة الغربية ، بيع منها نصف فدان بالمزاد ، وقد علم[١٦٢] بالبيع عبد الله ، ولم يرد الأخذ

(١٦٠) أسم غير مقروء .

(١٦١) هكذا تقرأ .

(١٦٢) فى الأصل : «وعلم» .

بالشفعة .

فتأسفت لهذه الإهمالات . ولما عدت ، كلمت محمد باشا محمود فى شأن الفتحات ، فكلف رشوان بيك أن يتخابر مع حضرة باشمهندس المديرية فى شأنها ، وفى أن ينهيها(١٦٣) فى ظرف يومين .

ثم عزمت على شراء تلك الأرض ، وتصليح مبانى القرية على قدر الأمكان .

وقد أشار علىَّ محمد محمود أن أتوجه إلى إسكندرية ، لتلافى ما عساه يكون قد غير الخاطر الشريف السلطانى من جهتى . ولم يزد عن ذلك !

فتوجهت فى القطار المفتخر ، ووصلت السراى فى الساعة ثلاثة وأربعين دقيقة ، فوجدت جعفر والى باشا عند عظمته إلى الساعة أربعة ونصف . ثم جاء محمود فخرى وقال : إن عظمته دخل الحرم ، لكونه منهوكا من التعب ، وعلم ـ بعد دخوله بوجودكم . وهل تريد البيات [ص ١٢٦٩] فى إسكندرية أو تسافر الليلة ؟

قلت : إنى حضرت على نية العودة ، ولم آت مستعداً للبيات ـ خصوصاً وإنى تركت حرمى مريضة ـ فإذا أمكن أن أقابله الآن ، أو بعد مجلس النظار ، أمكننى أن أعود الليلة فى أى قطار ، أو فى قطار الصعيد . فعرض على أن نتوجه لعيادة سعيد المريض . قلت : حتى أعرف ردا من عظمته !

فذهب ، ثم عاد قائلا : إن عظمة مولانا يسلم عليكم ، وليس فى الإمكان أن يقابلكم الليلة . فإذا بقيتم باكرا يمكن .

قلت : باكر فى أى وقت ؟ فلم يجب ! قلت : الأحسن أن أعود الليلة لمرض الحرم ، ثم أرجع بعد . ونزلت معه إلى سعيد ، وعدناه .

---

(١٦٣) قراءة تقريبية .

وفى أثناء جلوسي فى أودة التشريفات ، حضر الوزراء ، إلا الرئيس ، وإلا فتحى(١٦٤) .

وفهم عدلى منى ما جرى فى خصوص المقابلة ، فتبسم تبسم العارف بشىء ، وسلم علىَّ وفيه برودة ! فلم أتحمل وقلت بصوت شديد : سلم زى الناس ! أنا كنت معاك إمبارح ؟

ثم جلس ، وتكلم فى حادثة وقعت له وهى أنه ألقيت عليه يد عصاة من جلد ، فارتاع منها ، وظنها قنبلة ، ولم يطمئن إلا عقب أن حضر الحكمدار .

وقد انتظرت حتى دخل الوزراء عند عظمته ، ثم نزلت مع محمود(١٦٥) ، وبعد زيارة سعيد شربنا قهوة فى الكلوب .

ثم عدت إلى مصر فى الساعة العاشرة . وعند نزولى من القطار زلقت رجلى ، فسقطت من العجلة وأعْرَجْت(١٦٦) وساعدنى ،وأقامنى راغب الحاجب . وكان خلفى [ص ١٢٧٠] موريس مدير الضبط ، وما سألنى عن شىء بعد أن نهضت ومشيت أعرجا متألما .

وقد كلفت محمود فخرى أن يطلب تحديد جلسة لى ، فقال : أليس الأحسن أن تعود أنت بعد ثلاثة أو أربعة أيام ، أولى من أن تبقى تحت تحكم عظمته ؟ قلت : أبقى تحت تحكمه خير لى(١٦٧) !

---

(١٦٤) إبراهيم فتحى باشا ، وزير الأوقاف .

(١٦٥) يقصد : محمود فخرى باشا ، تشريفاتى السلطان حسين كامل ، أو الأمين الأول .

(١٦٦) أى : وأُصبت فى قدمى .

(١٦٧) لم يلتزم سعد زغلول طويلا بهذا الرأى ، فقد تغلبت عليه كرامته وعوامل أخرى سنراها فى الكراسة ٢٦ .

٣٨

الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الثانى

الكراسة السادسة والعشرون

الجزء الثانى

من ص ١٣٥١ ـ ص ١٤١٧

من ٢٥ سبتمبر ١٩١٥
إلى ١١ أكتوبر ١٩١٦

محتويات الكراسة :

- رواية سعد زغلول عن أسباب غضب السلطان حسين كامل عليه .
- نفى سعد زغلول فكرة دخوله الحزب الوطنى .
- قرار سعد زغلول بعدم استرضاء السلطان ، مع قبوله بمخاطر هذا القرار .
- عرض شركة التأمين الإنجليزية على سعد زغلول تعيينه رئيسا لمجلس إدارة فرعها فى مصر .
- اعدام على صالح عبد اللطيف ، المعتدى على إبراهيم فتحى باشا .
- اعتراف فيلبيدوس بتلفيق مؤامرة المنصورة .
- خلاف فى مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية حول فصل

محمد نجيب الهلباوى المدرس بمدرستها ، والمتهم فى قضية الاعتداء على حياة السلطان حسين كامل يوم ٩ يولية ١٩١٥ .
- تنكر أحمد لطفى السيد لمبادئه الأولى .
- توسط عدلى باشا للمصالحة بين السلطان حسين كامل وسعد زغلول .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين كامل وتصفية الخلاف .
- الاكتتاب لجرحى الحرب البريطانيين ، واستياء السلطان لتهافت الناس عليه .
- اقامة سعد زغلول فى عزبة مسجد وصيف .
- انتخاب سعد زغلول عضوا فى مجلس ادارة الجامعة المصرية .
- هجوم السنوسى على مصر .
- عودة سعد زغلول إلى لعب الورق وبداية محنة جديدة من يناير ١٩١٦ إلى أغسطس ١٩١٦ .
- غرق اللورد كتشنر وأصداء ذلك فى الشعب المصرى .
- تفكير سعد فى الاقتراض من السلطان والبنك العقارى .
- تفكير سعد فى التعيين مستشارا بوزارة الأوقاف خلفا لحسن صبرى .
- انتقال سعد زغلول إلى مسجد وصيف من ٧ أبريل ١٩١٦ إلى ٦ أكتوبر ١٩١٦ .
- مشكلة لجنة بورصة الاسكندرية .
- انتهاء خدمة جراهام ، مستشار الداخلية ، ورفض سعد زغلول حضور الاحتفال بتوديعه .

[ص ١٣٥١]

٢٥ سبتمبر سنة ٩١٥

حدث فى هذا العام ثلاث حوادث فوضوية :

محاولة شاب ، يدعى عباس خليل ، اغتيال عظمة السلطان ، باطلاق النار عليه عند مرور موكبه من أمام « قرة قول »[١] عابدين ، عندما كان ذاهبا لزيارة بعض ذوى البيوتات القديمة .

ومحاولة آخر فى اسكندرية اغتيال حياته بإلقاء قنبلة على عربته ، عندما كان متوجها لصلاة الجمعة .

وطعن إبراهيم باشا فتحى بسكين ، ثلاث مرات فى كتفه وفى وجهه[٢] ، عندما كان يريد السفر إلى الصعيد من محطة مصر .

---

(١) أى : قسم عابدين . وقد حرف العامة هذا اللفظ إلى : « كراكون » .

(٢) فى الأصل : « وفى وجهه بسكين » . وقد حذفنا «بسكين» ، لسابق ذكرها .

توالى هذه الأعمال الفظيعة شغَل بال الحكومة كثيرا ، وأخذت تبحث وتنقب عن مصادرها ، واشتدت فى البحث والتنقيب بعد وقوع الحادثة الثانية . وشايع ذلك أن اتصل بعلمها عزم جماعة من المنصورة على إحداث ثورة فى البلدان ، والإتيان بأعمال تساعد الترك ، وتوقع الإنكليز فى الارتباك .

وقد اهتمت[٣] الحكومة لذلك كل الاهتمام ، وألقت القبض على الكثير من الناس الذين اشتبهت فى أمرهم ، ورأت أن تعتقل أيضا بعض التلامذة ــ خصوصا الذين سبق الحكم عليهم بالطرد[٤] من مدرسة الحقوق ، لتخلفهم عن الدروس يوم أن زارها عظمة السلطان ــ كما اعتقلت[٥] كثيرا من رجال الحزب الوطنى . وكانت علتها[٦] أن الأولين أثبتوا بغيابهم عن المدرسة استعداهم للشر ، وأنهم أهل لإيقاعه ، والآخرين سمموا الأفكار بكتاباتهم وأقوالهم ، وأنه من مصلحة البلاد إعتقالهم اتقاء لما عساه يقع [ص ١٣٥٢] منهم .

ولما علمت بذلك ، تكلمت مع رشدى باشا فى شأن اطلاق سراح التلامذة ، اكتفاء بما وقع من العقاب عليهم ، لأن فى اعتقالهم شيئا من الإرهاق والقسوة ، اللذين[٦م] لا يفيدان إلا كسر الخواطر ، وتنفير الناس من حكومته .

ثم لما علمت باعتقال المكباتى ومحرم رستم ، وكان الأول من زملائى فى الجمعية التشريعية ، وطلب منى حسن خيرى بيك أن أسعى بكلمة

---

(٣) فى الأصل : « فاهتمت » .

(٤) فى الأصل : « بالطرد عليهم » .

(٥) أضفنا : « كما اعتقلت » لسلاسة العبارة .

(٦) فى الأصل : « بعلة » .

(٦ م) فى الأصل : «الذين» .

خير لدى رشدى بخصوصه ، وكان الثانى أعرفه من زهاء الثلاثين سنة ، وتوليت الدفاع عنه مرة فى قضية جنائية ــ كلفت صدقى بيك[٧] ، الذى كان مسافرا إلى اسكندرية ، أن يرجو رشدى باشا فى الإسراع بالنظر فى أمرهما ، والإفراج عنهما ، إن لم يكن هناك ما يوجب استمرار السجن عليهما .

تقابل صدقى مع رشدى ، ولم يكد يبلغه الرسالة حتى قال له : إن المسئلة تحولت على النيابة ، وأصبح الشأن فيها لها .

ثم بلغ عظمة السلطان ذلك ، فتكدر منه ، وأرسل مع أمينه الأول مؤاخذة لى على ذلك . فرأيت من الواجب أن أعرض لعظمته الحقيقة بنفسى ، واستعطفه . فأخر مقابلتى ، وقدم عليها عاطف وفتح الله .

ولم يقنعه ما عرضت من أسباب شفاعتى ، بل يظهر أنه تأول كل كلامى إلى غير قصدى ، حتى ما كان منه واضح المراد ! فلم يعجبه قولى ــ جوابا لتألمه من عمل بعض السفهاء ــ إن العقلاء يقدرون عظمته قدرها ، ولو كان لهم سبيل لابداء آرائهم[٧م] ، لرأى عظمته منهم كل ما يسره ، ولكن السبيل أخذ عليهم بعدم انعقاد الجمعية[٨] .

ففهم أن هذا اعتراض منى على عظمته ــ كما فهمت ذلك أخيرا من رشدى .

ولقد رجوت رشدى ــ بعد ذلك ــ فى على باشا فهمى[٩] ، إجابة

(٧) محمد صدقى بك ، أخو محمود صدقى باشا عديل سعد زغلول .

(٧ م) فى الأصل : آراءهم .

(٨) أى لم يمكنوا من التعبير عن تقديرهم للسلطان بسبب عدم انعقاد الجمعية التشريعية .

(٩) أى رجوت رشدى من أجل على باشا فهمى .

لطلب شكرى باشا وصالح صقر [**ص ١٣٥٣**] وإسماعيل حمدى التلميذ ، أخى حرم الباجورى ، إجابة لرجاء أخته . وفى تلميذ من مدرسة المهندسخانة ، إجابة لرجاء أخيه وأبيه . وفى تلميذ من مدرسة الحقوق يدعى رياض، إجابة لرجاء والدته التى حضرت فى البيت ، وبكت واستبكت أهلى بكاء مرا . وفى أمين الرافعى ، لرجاء أبيه الشيخ الكبير .

ومع ذلك ، فما كنت أزيد مع رشدى عن قولى : إذا كان من الممكن الإفراج عن فلان ، كان الإسراع فيه محمودا . وما كنت ألح عليه ــ خصوصا فيمن يقول لى عنه : إنه ليس من الممكن اخلاء سبيله .

يظهر أن رشدى باشا بلَّغ السلطان بما وقع منى بالنسبة لهؤلاء ، كما بلغه بالنسبة للآخرين . وانضاف إلى ذلك أن محمود أبا النصر ، نقيب المحامين ، وشى للسلطان بأنى أسعى ــ ليل نهار ــ فى تخليص رجال الحزب الوطنى ، لأحل منه محل شاويش وفريد !

فرية كاذب حسود جاهل ! لأنى لم أشفع فى هؤلاء بصفة كونهم رجال حزب ، بل بصفة كونهم أشخاصا ، أعرف بعضهم بكرم الأخلاق ، وبعضهم أجبت فيه داعى النجدة .

أما الحزب الوطنى ، فلست من رجاله ، وأنا أول رجل عاداه(١٠) هذا الحزب ، وآذاه بجرائده وخطبه ، أيام كان محمود أبو النصر ذيلا لمصطفى كامل ، وعضوا من أعضاء حزبه . وما على الذين لا يعرفون هذه الحقيقة إلا أن يطالعوا جرائد الحزب الوطنى ، وخطب رجاله ، يجدونها مملوءة من الطعن فىَّ وفى أخى وغيرنا .

---

(١٠) فى الأصل : « عداه » .

ولو كان فىّ ميل للأحزاب ، لدخلت حزب الأمة ، وهو يضم كثيرا من أصدقائى[١١] . أو لبحثت[١٢] عن رئاسة الحزب الوطنى قبل أن يفشل ، وتذهب ريحه ، وتنقطع برجاله الأوصال . وما الذى يشوقنى لمركز فريد : أغربته أم حاجته ؟

[ص ١٣٥٤]

ألا إن الذين افتروا هذه الفرية لمغفلون فى خبثهم ، وحمقى فى افترائهم . ولكن يظهر أن هذه الفرية ــ رغما عما فيها من الحمق ــ قد أثرت على نفس السلطان ، فانقبضت منى ، وأحس بهذا الانقباض محمد باشا محمود ، فأشار علىّ ــ يوم الثلاث الماضى ، حيث كنت زرته وأنا ذاهب إلى عزبتى ــ بأن أتوجه إلى اسكندرية ، وأقابل السلطان ، إحباطا لعمل أولئك الخبثاء . ولم يزد على ذلك .

فذهبت إلى سراى رأس التين ، وطلبت المقابلة ، فلم أحظ بها . وفهمت من جواب التشريفاتى ، وهيئته ، أن فى الأمر شيئا . فعدت إلى مصر وفى النفس أثر[١٣] من هذا الإغضاء . ورجوت محمود فخرى ، الأمين الأول ، أن يطلب تحديد جلسة ، ويعلمنى بها عند التفضل بها من قبل عظمته . ولكنه إلى اليوم ــ ٢٦ سبتمبر سنة ٩١٥ لم يعلمنى بشىء !

وقد كان رشدى باشا حضر عندى يوم الخميس الماضى . فحكيت له

---

(١١) هذه أول مرة يعترف فيها سعد زغلول بهذا الاعتراف عن حزب الأمة .

(١٢) قراءة ترجيحية .

(١٣) فى الأصل : « أثرا » .

ما وقع ، فقال : إن الخطأ من محمود فخرى ، لأن عظمته قال : إن كان المراد المقابلة قبل الساعة السادسة ، فليس فى الإمكان ، أما بعدها فممكن .

قال : وإن عظمته يتألم أحيانا من فخرى هذا ، لأنه لم يسد مسد خيرى ، ولا يحسن القيام بالأمور التى يكلف بها . وإنى سأجتهد ، مع عدلى ، فى أن يكون لك جلسة .

فلم أقل شيئا ، بل سكت سكوت المرتاح لهذا السعى . ولكى يخفف عنى وقع هذه المسئلة قال دولته : إن السلطان سريع الانفعال ، ولكنه طيب القلب ، ولم يكن بالغضبان منك ، ولكنه مشمئز ! قلت : وما علة هذا الاشمئزاز ؟ وما السبب فى هذا الخفض بعد ذلك الرفع ؟ على أنه إن كان ذنبى لديه أنى تكلمت معك فى بعض المعتقلين ، فلست إلا صديقى ، أناجيك كما أناجى نفسى ، وإذا أنهيت إليك أمرا ولم تر فيه رأيى ، تركت الأمر لك ، وعدلت .

أما إذا كان [ص ١٣٥٥] نُسب إلى أنى سعيت لدى غيرك ، فهو ظلم وبهتان .

ثم افترقنا ، وقد أخذت أفكر فى الأمر طويلا ، وكنت بين السكوت التام عن كل سعى للاستعطاف والاسترضاء ، والسعى فيه :

يُحسِّن الأول أنه يصعب على أن أعتذر عن غير ذنب ، وأن أهين النفس وأذلها طمعا فى رضا لا أقدر على استدامته ، ولا أستطيع التمتع بدوام نعمته ، لأن ذلك يطلب منى تجنب أمور أجهلها ، ومباشرة أمور لا أعلمها ، ولو علمتها ربما لا أتقنها . ثم إنى آنس من نفسى ضعفا عن الجهاد والعراك ، وقناعة عن الجاه العريض والمنصب الرفيع .

ويحسّن الثانى ، أننا فى زمن فتنة وحرب ، يجب على العاقل فيه أن يتقى شره بكل وسيلة لا ضرر فيها بالغير . ومن جهة أخرى فإن عظمة السلطان سريع الرضا ، وغيظه كالبرق اللامع ، وله أياد على العائلة من قبل توليه يجب أن يُتحمل منه فى جانبها ما لايتحمل من سواه . ولو لم يكن له أمل واسع فى مثلى لما لحقه غضب من عملى . ولازلت حائرا بين الأمرين ، لا أدرى أيهما أختار .

قد يلومنى لائم بأنى لم أعدل عن الشفاعة فى بعض المعتقلين ، بعد حادثة المكباتى ، مع أنها كانت درسا عظيما ينبغى الاعتبار به ، والإرتداع عن مثل السعى الذى ارتجيه !

ولكنى لا يمكننى أن أسكت عن نصرة الحق ، والأخذ بيد الضعيف ، ولو كان لى عدوا ! ــ خصوصا إذا التجأ إلىّ فى الدفاع عنه . وإنى أرى من نعم الله علىّ أن يلتجىء الأعداء إلىّ فى الشدائد ، لأنقذهم منها . ويكون أكبر سرورى أن ينجيهم الله على يدى ، كما وقع لى مع(١٤) **[ص ١٣٥٦]** كثيرين .

وللحق على نفسى سلطان أكبر من كل سلطان ، فمتى تجلى لى ، لا يمكننى أن أخالفه ، ولو كان فى مخالفته أكبر سعادة لى . ولهذا لا يمكننى ــ بأى حال ــ أن أوافق على ظلم يصدر من الحكومة ، خطأ أو عمدا ، مهما كان بينى وبين رجالها من الصداقة والود .

نعم ، إنى لاقيت من جراء ذلك صعوبات جمة ، وتجرعت كثيرا من الغصص ، وحرمت كثيرا من المنافع ، ولكن نفسى لا يصفو لها عيش مع

---

(١٤) هذه العبارة مكررة فى الصفحة التالية (ص ١٣٥٦) وقد حذفناها للتكرار .

الباطل ، ولا تخْلُص لها لذة فى غير الحق(١٥) . وكثيرا ما حاولت صدها عن الانفعال ، لما يصيب الغير من أذى تعديا عليه ، فلم أفلح ، بل لم يكن إلا أن تمادت فى تأثرها وكان الصد إغراء !

فإذا كان السبب فى غضب عظمة السلطان علىّ أنى تشفعت فى بعض من حبسوا ، لاعتقادى براءتهم أو لأن أهلهم استغاثوا بى ، فلا ينبغى لى أن أطمع فى رضائه ! لأنى فعلت ذلك ، وأفعله ، ولا يمكننى الاقلاع عنه مادام فعله ممكنا ، والنفع منه متوهما .

نعم ! إن هذا لا يعد عند أهل العصر سياسة ، وربما سماه بعضهم حماقة ! ولكن ليست السياسة أفضل صفات الإنسان ، ولا الحماقة أحسن أخلاقه ! فأفضل من الأولى العدالة ، وأحسن من الثانية إعانة الحاكم على ظلم العباد ! [ص ١٣٥٧] وفضلا عما فى طبعى من النفور من(١٦) الباطل ، والتأذى من الظلم ، فإنى قد عاهدت أمتى ــ أيام الانتخابات ــ أن أكون مدافعا عنها ، ساعيا فى رفع شأنها ما استطعت إلى ذلك سبيلا . وقلت فى الجمعية التشريعية دائما : أنا رجل وضعت فكرى وبيانى تحت تصرف أمتى ، فلا يمكننى أن أخالف هذا العهد أبدا ــ رضيت الحكومة عنى أو غضبت !

وإنى أكون خائنا لهذا العهد ، إذا قضت علىّ علاقة الولاء للسلطان ، والصداقة لأكبر وزرائه ، أن أسكت فى حق ، أو أنطق فى باطل !

---

(١٥) أى لا تجد لها لذة فى غير الحق . وكان سعد زغلول قد كتب عبارة : « ولا تحلو لها حياة » ، ثم شطبها .

(١٦) فى الأصل : « عن » .

٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٥

ولقد عقدت النية على اعتزال السراى إذا لم يفد سعى رشدى ، الذى وعدنى به من تلقاء نفسه ، فى القريب العاجل . لا انتقاما من عظمة السلطان ، لأنه أكبر من أن يتأثر بهذا ، وأنا أضعف من أن أحاوله ، ولكن لأربأ بنفسى عن الذلة والانكسار ، وأترفع بها عن أن تنال ارتفاعا بانخفاض !

صحيح أن فى ذلك ما يشمت الأعداء ، ويؤذى بعض الأقارب فى مصالحهم . ولكن لا يصح أن أكيد الأعداء بتصعير الخد ، وخفض جناح الذل ! وأن أنفع أقاربى بضِعَة نفسى ، والحط من قدرى ! ثم إنى أرى فى التقرب ، بعد ذلك الابعاد ، خفضا من شأن الأمة التى أنا أمثلها بصفة كونى وكيل الجمعية التشريعية .

ولقد يكون من وراء هذا الاعتزال الاعتقال ، لأنه أصبح سهلا ، لا يُطلب له سبب إلا إرادة ولى الأمر ! فاللهم إن السجن أحب إلىَّ [ص ١٣٥٨] من الاستخفاف بأمتى ، وعدم الاحتفاظ بكرامتى(١٧) .

---

(١٧) هذا الحوار بين سعد زغلول ونفسه ، يوضح تماما أن زعامة سعد للأمة كانت قد نضجت على نار الحرب العالمية الأولى ، وما تعرضت له الأمة المصرية من محنة على يد الحماية والحكومة . كما توضح أن سعد زغلول كان قد اختار جانب الأمة فى الصراع النفسى الذى كان يتجاذبه بين السلطة ، بكل ما فيها من حماية له ولأهله ، والأمة ـ بكل ما يترتب على ذلك من محنة تلحقه شخصيا وتلحق أهله . ونحن هنا أمام ارهاصات ما وقع فى أعقاب انتهاء الحرب ، عندما تصدى سعد زغلول على رأس رفاقه للدفاع عن الأمة والمطالبة باستقلالها .

٢١٩٢

٢٧ سبتمبر سنة ٩١٥

شاعت إشاعة بأن فى الحكومة من يميل إلى استعمال التعذيب مع بعض المتهمين ، الذين تكون أدلة الإدانة توفرت ضدهم من اعترافهم أو كتاباتهم أو أخذهم متلبسين بجرمهم ! فلم أصدقها ، لمنافاة ذلك للعدل الإنكليزى . ولقد قال لى ـ بهذه المناسبة ـ حافظ بيك رمضان : إن الطريقة لحمل المتهمين على الاعتراف عمن يكون اشترك فى الجريمة معهم ، هى العمل على ما يضعف الإرادة فيهم ، من الإكثار من سؤالهم ، والإطالة فى التحقيق معهم ، ومضايقتهم بنقلهم من مكان إلى مكان ـ إلى غير ذلك .

ولقد قرأت الليلة فى جريدة المؤيد ، ملخص ما جرى بجلسة اليوم التى عقدها المجلس العسكرى ، لمحاكمة صالح عبد اللطيف ، الذى طعن إبراهيم فتحى باشا يوم ٤ سبتمبر سنة ٩١٥ جملة طعنات فى محطة مصر . ورأيت أن هذا الجانى ، بعد أن اعترف عقب ارتكاب الجناية بجريمته ، وأنه كان مصمما على قتل رئيس الوزارة رشدى باشا ، وثروت باشا وزير الحقانية ، بكل جرأة ووقاحة ـ عاد اليوم ينكر فيه قتل الاثنين ، ويتلمس الأعذار لتخفيف العقوبة عنه !

والظاهر أن ذلك نتيجة ضعف الإرادة عنده . ولا يبعد أنه ، إذا طالت المدة عليه ، يعترف بشركائه ، وبمن وزع عليهم مبلغ الثمانمائة جنيه ، الذى اختلسه قبل الواقعة بيومين .

ولو كان العمل على القانون الإنكليزى ، فإن التحقيق فى هذه القضية [ص ١٣٥٩] يكون باطلا . أما إذا كان العمل بالقانون المصرى ، فإنه يكون صحيحا ، ولكن لا تكون العقوبة بالإعدام . ولا أظن المجلس يلفق بين القوانين ، فيعتبر التحقيق صحيحا بناء على القانون المصرى ، ويحكم بالأعدام بناء على القانون الإنكليزى !

على أنه لا يصح أن يطبق القانون الإنكليزى ، لعدم نشره على المصريين ، إلا أن يقال بأنه ، فى حالة وضع البلاد تحت الأحكام العرفية ، يكون القانون عبارة عن إرادة القائد الذى وقعت الجناية فى دائرته . ولم أدرس هذه المسئلة . وسأدرسها !

٢٩ سبتمبر سنة ٩١٥

توجهت إلى[١٨] عزبة وصيف أمس ، وأبديت بعض الملحوظات للذين يشتغلون فى المنزل . ورأيت القطن أقل رداءة مما كنت أتصور قبل . وساوم تاجر من المنصورة فى الغلة[١٩] على مائة وخمسين قرش ، ودفع العربون ، على أن يكون الخيار لنا مدة يومين . وأبدى مثل هذه الرغبة تاجر من تفهنا العزب . وقد كنت تركت العينة لعرضها على تجار روض الفرج ، فلم يقبلوا أن يشتروه بالوزن . ولذلك عولت على أن لا أبيع الآن وأن أتمهل قليلا من الزمان .

حضر رشدى باشا اليوم ، وما رأيت من اللياقة أن أزوره ، لأنه إن كان فعل ما اقترحه ، ونجح فيه ، كان بادر إلى إخبارى . وإذا لم يكن نجح ، فزيارته إعنات . وعلى كل حال ، فقد عولت أن أترك الأمر لله يتصرف فيه[٢٠] [١٣٦٠] بحكمته ، وفائق قدرته .

وصلتنى أمس دعوة من المحافظة ، بخصوص حضور الاحتفال بالكسوة غدا ، فى الساعة ١٠ . ورأيت أن لا أذهب لعدم العادة ، ولكى لا يُتوهم أنى قصدت التملق لرشدى باشا ، الذى سيرأس هذا الاحتفال بالنيابة عن السلطان .

(١٨) أضفنا « إلى » لتصويب العبارة .

(١٩) هكذا فى الأصل ، ويقصد : المحصول .

(٢٠) أضفنا : « فيه » .

ولقد أعلم أن خطة الاعتزال الذى اخترتها لنفسى تفضى إلى نتائج مكروهة ، أو مضرة ــ ولكنها أخف علىّ وأسهل من ذل الاقتراب والرضا بما لا يرتاح إليه الضمير .

بعد كتابة هذا ، حضر عندى عدلى باشا ، وتحادثنا مليا فى شأن غضب السلطان . فأكد لى أن عظمته لم يفاتحه فى هذا الشأن ، وإنما علم به من رشدى ، وأن الخطأ وقع من محمود فخرى ! فقلت : أريد أن أفهم ذلك ، ولم أجادل رشدى فيه ، ولكنى كلفت محمود فخرى بأن يلتمس لى تحديد جلسة ، ويخبرنى بها ، وإلى الآن لم يصلنى منه خبر . قال : إنه سيفاتح السلطان فى الأمر ، لأن له شأناً كبيرا فيه . ولكنه يعتقد ــ على حسب ما يعلم من حالته ــ أن سبب غضبه منى لا يعدو أن يكون أمرا آخر غير الرجاء فى مسئلة المكباتى .

قلت : لا أعلم شيئا غيره ! قال : سمع من أحد أصدقائك فى الجمعية التشريعية ، أنه يريد انعقادها ، حتى يسأل الحكومة عن سياستها . فربما توهم أنك تقاسم صاحب هذا الرأى رأيه ! قلت : هذه الفكرة لم تدر بخلدى ، وليس موضوع هذه المسئلة من خصائص الجمعية . وعلى فرض أن يكون هذا الرأى رأيى فليس فيه ما يغضب السلطان .

ثم فهمت منه أن السلطان تأثر من رشدى لأنه أفرج عن المكباتى ! وقد أجاب[٢١] السلطان بأنه لا يسوغ إطالة السجن على نائب الأمة ، من غير سبب . فقال عظمته : [ص ١٣٦١] وكذلك أباظة[٢٢] من نواب الأمة ، وأمر باعطائه حرية التنقل فى مديريته . واتخذها[٢٣] لازمة

(٢١) أى أجاب رشدى باشا السلطان . وفى الأصل : « وأجاب » .
(٢٢) يقصد : إسماعيل أباظة باشا .
(٢٣) أى : اتخذها السلطان .

يرددها عند كل مناسبة !

وفهمت منه أيضا أنه سيُفرج عن بعض المعتقلين ، لأن رشدى باشا كان استشاره فى هذا الأمر ، فقال : لا معارضة عندى فى الإفراج . ووعده بأن يعرض عليه الأسماء للوقوف على من تقتضى حالته اطلاق سراحه .

وفى ختام السمر قال لى عدلى ــ وقد رآنى منفعلاً من غضب السلطان : لا تهتم كثيرا فهى سحابة ، وتزول عما قليل ! قلت : إنى لا أطمع الآن فى شىء ، فإن مراكزكم لاتُحسدون عليها . وللسلطان أن يفهم أنه الآن مخوف ، لا مرجو ! ولكنه فى مثل حالته يخاف من أضعف الناس .

وقد تألم لى[٢٤] من دنلوب ، وطول حديثه ، وكثرة تردده فى الأمور ، وبطىء فهمه ، وقال : إن المستشار الحالى يسير الآن على خطة معتدلة ، وطريقة مملوءة من الذوق وحسن المعاملة ، على العكس مما كان من قبل .

قد كان حضر ، قبل عدلى باشا ، زكى باشا من قبل رشدى ، ليفهمنى حقيقة المعاملة التى جرت مع عائلة المرحوم قاسم أمين . فلهذا ، ولما تبينته من حديث عدلى ، غيرت رأيى فى حضور الكسوة ، وحضرت ، ولم أر من أرباب الحيثيات إلا إبراهيم رفعت باشا ثم محمود أبو النصر . وكان الاحتفال باردا ، والمتفرجون قليل .

عاد فى عربتى شكرى باشا ، وشكى من اضطهاد عظمة السلطان لنسيبه عبد الغنى شاكر ، وبحثه عن رفته ، وتعيين مصطفى عبد الرازق بدله ، حتى إن شيخ الجامع ، بعد أن أحسن الشهادة فيه أمام عظمته ،

---

(٢٤) أى تألم عدلى باشا يكن من دنلوب . وكان عدلى يكن وزيرا للمعارف العمومية .

عدل فطلب رفته فى اليوم التالى ! ورجانى أن أرجو عدلى فى أن يتشفع له ، وقال إن رشدى وعده أن يعينه فى مكان آخر ، فقال له : إذن الأحسن نقله إلى ذلك المكان ، ولو اقتضى ذلك قليلا من الأيام ، لأنه لا خطر فى بقائه .

[ص ١٣٦٢]

سافرت العزبة يوم أول أكطوبر سنة ٩١٥ ، وتلاقيت فى القطار مع الدمرداش[٢٥] وشخصا يدعى طرخان بك من صهرجت الصغرى . ولم نفتح الحديث خارج الزراعة[٢٦] وبعض الشؤون الخاصة .

وقد أقمت بالعزبة ليلتين ، وحضرت أمس صباحا . ولم أشتغل بشىء ، ولا افتكرت فى شىء هناك مدة هذين اليومين ، إلا فى عمارة البيت ، وأشغال الزراعة .

بعد عودتى ، وجدت خطابا من وكيل شركة التأمين الإنكليزية ،يطلب فيه مقابلتى . فتكلمت معه بالتليفون ، وحضر اليوم ، فقال : إن الشركة التى يمثلها ، لها مركز فى لوندره ، وتريد أن يكون لادارتها التى فى مصر ، مجلس إدارة يتألف من أجانب ، ويكون مرءوساً بأحد أصحاب النفوذ . وقد وقع الاختيار على مدير بنك الأنجلو ايجبسيان ، ومدير بنك الأوريان ، ومرقص بك سميكه . وطلبنى بصفة رئيس . وسيتعين لكل مرتب ، ولكن لا يكون حصته فى الربح إلا بعد نهاية الحرب . وتعيين المرتب وبقية المشروع تكون بالمخابرة بينك وبين

(٢٥) الدمرداش هو الشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، العضو المنتخب فى الجمعية التشريعية عن القاهرة .

(٢٦) فى الأصل : «خارج عن الزراعة » .

الشركة مباشرة . قلت : إن المسئلة تستحق التأمل ثم أخبرك بعد ثلاثة أيام . وانصرف . ويلوح لى أن المشروع ليس مما يرفض . فى (٤ أكطوبر سنة ٩١٥)

اجتمع عندى أمس ٤ أكطوبر ، كل من شكرى ، وطلعت ، وصدقى . وكنت علمت من قبل أن مجلس الأزهر قرر رفت عبد الغنى ، وأن حسن باشا جلال عارض أشد المعارضة فى رفته ، وتعيين حسن صبرى . وقدم مذكرة طلب اثباتها فى المحضر .

ورأيت شكرى متأثرا من رفت نسيبه ، وميئوسا من أصدقائه فى الوزارة ، الذين أعلنوا بعدم استحقاقه للرفت ، ثم لم يتجرأ واحد منهم على الشفاعة فيه .

وقد قال طلعت : إن صالح [ص ١٣٦٣] لطفى(٢٧) ، الذى حكم عليه بالإعدام ، كان أحضر إليه فى التحقيق حرا من القيد ، ولم يكن حاضرا سوى رشدى وثروت . ثم علم بعد ذلك أن عظمة السلطان غضبان من هذا الاطلاق[٢٨] . وأشير عليه[٢٩] بأن يسترضيه ، خشية أن يبلغ الغضب به إلى الأمر برفته ! فذهب ، وعرض عليه أن هذه عادة المتهمين فى التحقيق ، يحضرون بلا قيد ، ولكنهم يقيدون بعد انصرافهم إلى السجن . فأظهر له الرضا بهذا الإيضاح . ولا يعتقد أن أحدا ــ غير رشدى ــ ألقى هذه العبارة إلى عظمته . فقال شكرى : إنه ربما فعل ذلك خشية أن يسبقه أحد إلى روايته !

نفذ حكم الإعدام أول أمس على صالح عبد اللطيف ! وقال

---

(٢٨) يقصد : عدم تقييد المتهم .
(٢٩) أى على طلعت .

« هارڤى » لشكرى باشا : إنه كان ثابت الجنان ، لم يظهر شيئا من التأثر ، ورفض أن يقابل أى إنسان ، حتى أباه . وقال طلعت : إن ما نشره بعض الجرائد من كون رشدى وثروت قابلاه فى السجن قبيل إعدامه ، صحيح . والغرض من هذه المقابلة كان الحصول منه على اعتراف بما يكون له من الشركة مع الغير ، فأبى أن يبوح بشىء كل الإباء ، رغما عما بذلاه من الوعود الخلابة !

وقال طلعت : إن فيليبيدوس أخبره بأنهم لم يعلقوا أول الأمر أهمية على مسئلة المنصورة ـ أى المؤامرة التى زعموا انعقادها ، ولم يكونوا يريدون التبليغ عنها لاعتقادهم أنها ملفقة ، ولكن رشدى باشا اهتم بها كل الاهتمام عندما علم بها . ثم إن الضابط الروسى بطل الرواية فيها ، أصله من فلسطين ، وكان هرب ودخل الجيش الإنكليزى . فتعرفوه ورفتوه منه واعتقلوه .

أخبرنى محمد بيك يوسف أن أحمد بيك رأفت ، نائب مستشار قضائى فى نظارة الأوقاف ، أكد له ما بلغنا عن سعاية محمود بيك أبى النصر لى عند السلطان ، [**ص ١٣٦٤**] حيث قال له : إن سعد باشا يبث فى الشبان روح جاويش وفريد ! ويفتكر فى أنه قال إنه بلغ الأمر إلى عظمة السلطان أو أنه سيبلغه . وأن رأفت بيك روى هذا إلى عبد العزيز بيك فهمى ، لكى يحذرنى منه ، إذ لم يكن له هو علىَّ من تردد يسمح له ذلك . فقلت لمحمد يوسف : ولكن عبد العزيز لم يخبرنى بشىء من ذلك ! ولعله لاحظ مصلحة صديقه محمود ، أو أنه وبخه على سعايته واكتفى بهذا التوبيخ . والمستقبل كشاف الغيوب . ولقد قلت لمحمد يوسف : من هم أولئك الشبان الذين أبث هذه الروح فيهم ؟ وما هى روح جاويش وفريد ؟ إن هذا افتراء عظيم . (٥ أكطوبر سنة ٩١٥) .

2199

حضر عندى عاطف أمس ، وقال لى : ألا تريد الذهاب إلى اسكندرية ؟ قلت : لا أريد ، لأنى أشعر بانكسار فى قلبى ، ولأنه لا يمكننى أن أوافق على ظلم ، ولا أن أتقرب بباطل . وقد كنت أول الأمر ذا أمل فى العدل وتوزيعه ، ولكنى أصبحت الآن ــ بما رأيت وسمعت ــ منقطع الأمل ، ولا يحلو لى مبدأ من يقول : من أحسن لى وأساء إلى غيرى كان من المحسنين ! بل أنا مع من يقول : من أساء إلى وأحسن إلى الناس عددته من المحسنين ! ولقد حركت هذه العبارة فى نفسى شجونا ، وأثارت كثيرا من الأوهام .

كتبت إلى محمد باشا محمود ، من سبعة أيام ، أرجوه أن يفيدنى عما تم فى مسألة مياه الراحة ، والنفقات اللازمة لها . فلم يجب لغاية الآن . وقد أرسلت إليه مع على بيك عمر يوم الأحد الفائت ، وشكرى باشا يوم الاثنين . ولا أدرى ما السبب فى التأخير عن الجواب . والله أعلم بالصواب .

ما أحرج مركز من كان فى هذه الأمة ذا نفس عالية وهمة ، [ص ١٣٦٥] محبا للخير العام ، مخلصا لمصلحة بلاده ، صادقا فى قوله ؟ إنه لا يحلو له ماؤها ، ولا تصفو له سماؤها ، إذ يكون معرضا لمعاداة كثير من الطبقات ، إلا إذا صانع ووارب ! ولايتفق ذلك مع صفاته التى فرضناها فيه .

إذا جرينا على قول من قال : دعها سارية[31] تجرى ، ولا تبيتن إلا خالى البال ، ألا يكون معنى ذلك أنه لا محل للتضامن بين الناس ، وأن كل واحد منهم يجب أن يعيش بمعزل عن الآخر لا يشعر بألمه ،

---

(٣١) وقد تقرأ : « سماوية » ، بل هى الأرجح ، والمعنى : دع الأرض تجرى

ولا لذته ، ولا يحس بنعمة غمَرته ، ولا بنقمة أصابته ! وهل هذا شيء آخر سوى عيشة الإنعام ، وحياة الهوام ؟

وإذا جرينا على قول الحديث : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » ، ألا يجرّ ذلك إلى التعصب الممقوت ، والتعرض لأخطار لا قبل للواحد بها ، خصوصا إذا لم يعمل الكل به ، بل تهاون الأكثر فيه ، فإن ذلك يكون خطرا كبيرا على من طبق سيرته عليه . (فى ٦ أكطوبر)

٨ أكتوبر[٣٢]

أمس ، ٧ أكطوبر ، توجهت إلى[٣٣] العزبة ، وعدت مساء ، بعد أن باشرت أشغال العمارة والزراعة . وقد علمت عند العودة بنزول أسعار القطن عما كان عليه أول أمس .

وفى صبيحة اليوم ، قالت لى حرمى : إن عائلة خليل جاهين حضرت باكية ، تستغيث بى لأنهم اعتقلوا زوجها والأولاد الأربعة ! قلت : إنى متأسف لعدم إمكانى أن أفعل شيئا لها ، فقد توسطت لغيره ولم أنجح ، ولم تبق المودة بينى وبينهم . وأحسن شيء التوسل بالله .

[ص ١٣٦٦]

علمت من بعض الجرائد أن رشدى باشا حضر أمس إلى العاصمة ، فأردت الاستفهام منه عما فعل مع السلطان فى خصوص ما وعد به من تلطيف خاطره ، فتكلمت معه بالتليفون رغبة مقابلته ، فقال إنه سيحضر عندى ما بين الساعة ثلاثة وأربعة ، وانى انتظر فى هذا الميعاد .

(٣٢) غير مكتوبة فى الأصل .
(٣٣) « إلى » غير موجوده فى الأصل .

ثم قال لى إنه كان يريد أن يتكلم بالتليفون معى لأن بلاغا ورد إليه بأنى أتآمر على قتله مع آخرين ! فضحك وضحكت ، وقلت : ليت قاتليك مثلى !

وإلى الآن لم يحضر الساعة ٤ بعد الظهر يوم ٩ أكطوبر سنة ٩١٥ . وقد علمت بعد ذلك أنه سافر فى قطار الساعة ٤ ! والظاهر أنه نسى وعده على حسب عادته !

أطلق سراح خليل شاهين وأولاده اليوم ، وحضر عندى شاكراً لما أظهرته نحوه من الانعطاف . فقلت له : إنى لم أفعل شيئا أصلا لك ولكنى فى الحقيقة رثيت لحالك ! وقال : إنه لم يعلم إلى الآن سببا لسجنه ، وقيل له إن سجنه بأمر من الداخلية . ولم يتمكن من مقابلة رشدى باشا ، ولم يجدوا عند تفتيشه شيئا سوى صورة عظيمة ثمينة للخديوى السابق ، فأخذوها ، مع كتاب عن تاريخ مصطفى كامل . فقلت له : إن الأحسن لك أن تعتكف فى عزبتك ، اتقاء الفتنة (فى ٩ أكطوبر) .

فى ١٠ أكطوبر سنة ٩١٥

أصبحت اليوم منقبض الصدر . متكسر الأعضاء . وبحثت عن أطلس جغرافى(٣٤) ألمانى كان عندى ، فلم أهتد إليه ، مع أنه كبير الحجم ! ولم أدر أين موضعه .

ورأيتنى أفتكر فى تغير عظمة السلطان منى ! فتارة يخطر ببالى أن أكتب إلى رشدى (. . .)(٣٥) ، وتارة يأتينى أن أذهب إلى اسكندرية ، وتارة أميل إلى السكوت وتفويض الأمر إلى وليه ! [ص ١٣٦٧]

(٣٤) فى الأصل : « جوغرافى » .

(٣٥) عبارة غير مقروءة ، وقد تكون : « الرجوع إلى عظمته نفسه مرة ثانية » .

ومأأنا براج خيرا ، ولكنى أتوقى شرا . ومع ذلك فإن العزة لتأخذنى عن مباشرة أسباب هذا التوقى إلا بالبعد عن مساقط الشبه ، ومواقع التهم . أما بالتوسل والضراعة فلا أكره للنفس منه ، ولا أبغض إليها من توهمه .

وليس أحب إلى الآن من عيشة الخلا ، والاعتزال عن الناس ، والبعد عن مواطن النفاق ، ومجالات القيل والقال ، وملاقاة الوجوه الكالحة ، والصور المتبجحة ، عن قراءة الصحف المضللة والمغفِّلة(٣٦) .

في ١١ أكطوبر سنة ٩١٥

أمس ، انعقدت جلسة مجلس ادارة الجمعية الخيرية ، تحت رئاسة الأمير يوسف(٣٧) ، وبحضور هلباوى ، ولطفى ، وعلى رفاعى ، وأحمد مصطفى ، ودرويش سيد أحمد ، وحسن عبد الرازق ، وعبد الله وهبى .

ولاحظ كل من عبد الله وهبى وأحمد مصطفى ، عند تلاوة محضر جلسة يوليو ، أنه لم تعرض على الجلسة مسألة المدرس الإنكليزى ، وشروط تجديد الاتفاق معه على بقائه مدرساً فى مدرسة الشيخ صالح ، بمرتب ١٨ جنيه شهريا . وتقرر ، بعد مراجعة أوراق تلك الجلسة ، اعادة المداولة فى هذه المسألة ، والتصديق على التجديد ، لوضوح الأمر أمامه .

ثم عرضت مسألة رفت بعض الموظفين فى مدارس الجمعية ، ومنهم ناظر مدرسة اسكندرية . فسئل مدير التعليم عن السبب الذى أفضى إلى رفته ؟ فلم يفصح أول الأمر ، ثم قال : إن خطته فى تحقيق مسئلة القنبلة

---

(٣٦) يقصد سعد بكلمة « الصحف المغفِّلة » الصحف التى تفترض فى القراء الغفلة ، فتستغفلهم !

(٣٧) الأمير يوسف كمال .

كانت خطة سيئة ، فقد دلت عل جهله بأخلاق مرؤسيه ، حيث كان يؤكد كل التأكيد أن هلباوى ، أحد المدرسين ـ حميد السير والسيرة ! وظهر لِدولة رشدى باشا وثروت باشا ، وغيرهما ممن حضروا التحقيق ، [ص ١٣٦٨] أنه جاهل ولا يليق أن يكون ناظر المدرسة[٣٨] .

وقد دلت لهجة قوله واشاراته[٣٩] على أن رفته كان بإيعاز !

ولقد وجدت ، مع هلباوى بك ، أن سبب الرفت يهم ، وأنه لا يمكننا أن نصدق على شيء لم نقف على أسبابه كل الوقوف . فقلت : إننا نريد أن نعرف الأسباب ، حتى إذا كانت وجيهة صدقنا ، وإلا استشفعنا فيه. والأولى أن نقول فى القرار الذى يصدر منا ، إنه من حيث

---

(٣٨) لكى نفهم هذه المسألة ، فإنها تتعلق بحادث القاء القنبلة على موكب السلطان حسين فى الإسكندرية يوم الجمعة ٩ يولية سنة ١٩١٥ من أحد المنازل المطلة على شارع رأس التين .

فقد أسفر التحقيق عن اتهام تسعة من الشبان بتدبير الحادث ، وهم : محمد نجيب الهلباوى (وهو الذى ورد ذكره فى المتن) ومحمد شمس الدين ، ومحمد فريد ، ومحمود عنايت ، وشفيق منصور ، وأحمد سابق ، وعبد الفتاح يوسف ، وعبد الله حسن ، وعلى صادق . وقد استقر رأى النيابة على ادانة اثنين منهم ، وهما محمد نجيب الهلباوى ومحمد شمس الدين . وحوكما أمام مجلس عسكرى بريطانى ، فحكم عليهما بالإعدام شنقا ، وصدق القائد العام للقوات البريطانية ، السير أرشبلد مرى ، على الحكم ، ولكن السلطان حسين طلب تخفيفه ، فأبدله القائد العام بالأشغال الشاقة المؤبدة (الرافعى : ص ٢٦) .

وقد عاد محمد نجيب الهلباوى ليشترك مرة أخرى فى اغتيال السير لى ستاك يوم ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ، وهى الجريمة التى أسقطت وزارة سعد زغلول ، واعترف على زملائه .

(٣٩) أى : قول واشارات مدير التعليم . وقد أضفنا «وقد» .

أن رفت المذكور حصل فى ظروف استثنائية ، فلا ينبغى لمجلس الإدارة أن يبحث فى الأسباب ! فقام حسن عبد الرازق ممتعضا ومستشيطا غضبا ، وقال : إن فى هذه الصيغة استنكار لعمله[٤٠] وجرحا لشخص اشتغل تسع سنوات لخير الجمعية ! قلت منفعلاً : إن هذا النوع من المناقشة غريب ! ليس فى هذه الصيغة استنكار لعملك ، ولا جرح لذلك الشخص ، لأن شخصك خارج عن الموضوع . ولو أننا نريد استنكار عملك لعرضنا به . ولا نقصد جرح ذلك الشخص الذى نقدره ولكننا نريد أن نضع إرادته السامية فوق أبحاثنا . وهذا غاية فى التأدب والاجلال .

وقد كان الهلباوى يؤيدنى بعض التأييد ، أما لطفى فكان يتلاعب بالقول . وبعد أخذ ورد فى هذه المسألة ، تقرر التصديق على الرفت ــ على خلاف رأيى ورأى الهلباوى .

وقد رأيت لطفى يميل مع الهلباوى إلى تضييق دائرة التعليم الثانوى ، والاقلال من قبول أولاد الفقراء فيه ، بحجة كثرة عدد المتعلمين ! ويميلون أيضا إلى الغاء مساعدة العائلات البائسة !

فعارضت فى ذلك ، واستغربت هذه الروح ــ خصوصاً من لطفى[٤١] ! [ص ١٣٦٩] وبعد انتهاء الجلسة ، عند الانصراف ، أخذ حسن عبد الرازق يستعطفنى ، ويعتذر . فلم أظهر كل الارتياح لاستعطافه .

---

(٤٠) أى : لعمل حسن عبد الرازق ، لأنه هو الذى كان مديرا للتعليم فى الجمعية .

(٤١) لا يملك محقق هذه المذكرات إلا أن يستغرب أيضا هذه الروح من أحمد لطفى السيد ، الذى كان يؤكد على التعليم كوسيلة للارتقاء بالأمة ، وموصل لها إلى الاستقلال التام .

وركبت مع علوى ولطفى ، وأمضينا السهرة معا . وأيد لطفى حسن فى كون الصيغة التى وضعتها للقرار فيها استنكار لعمل هذا الأخير . ورأيته قد غير كل مبادئه التى عرفتها ، فلا يتألم لظلم وقع على غيره ، ولا لشرنال سواه . وانعكست الآمال التى كانت تبدو منه فى كتاباته وأقواله ، حتى وجدت الرجل غير الرجل . وزهدت فى صداقته ، وخطأت نفسى فى تكذيب من كانوا يطعنون عليه بالتلون فى المذهب ، والاتجار بالمبدأ ! (فى ١٢ أكطوبر)

فى ١٣ أكطوبر

سافرت العزبة أمس مع عبد الله باشا وهبى . وأشار ببناء مصلى للمزارعين ، وبعض أمور فى العمارة : بناء سلم للسطوح ، وفتح منور فى بير السلم ، وبناء سلم للخدامين . وأمرت باجراء بعض التعديلات .

وعدت فى اليوم ذاته ، وتقابلت فى العودة مع الدمرداش ، ولم نخض فى حديث خارج عن الزراعة إلا قليلا ، على طريقة لم تحرك جدلا ولا مناقشة . (فى ١٣ أكطوبر سنة ١٩١٥)

فى ١٤ أكطوبر سنة ١٩١٥

نمت أمس فى الساعة ١٠ ، وتيقظت سبعة ، وكنت منقبض الصدر نوعا . وجاء التحليل حسن النتيجة .

ولا أزال فى نزاع مع نفسى بين الاستعطاف ، والإعراض ، والتزام جانب الاعتزال التام .

سألنى كثير من الناس عما أذاعته بعض الجرائد حديثا ، من العزم على تعيين فتحى باشا وزيرا للحربية ، وتعيينى مكانه وزيرا للأوقاف .

وكنت أجيبهم بأن لا علم[٤٣] [ص ١٣٧٠] لى بشيء من هذا ، وأن معلوماتى تدل على امتناع حصوله ، أو بُعده ! وبأنى أفضل لنفسى البقاء فى هذا الانزواء ، لأنه أوفق بمزاجى ، وأنسب براحتى .

ولم يكن جوابى بهذا المعنى ، جريا على عادة الكثيرين من التظاهر بالتعفف عن الأمر مع شدة الرغبة فيه ، بل كان مطابقا لما أجده فى نفسى . إذ الوزارة تستلزم فى الأحوال الحاضرة سياسة يستحيل علىَّ أن أجرى عليها ، لمخالفتها لطبعى ومبدئى[٤٤] وللعهد الذى أعطيته لأمتى يوم أن اختارتنى للنيابة عنها .

الوطنية فضيلة فى جميع الأمم ، إلا فى الأمة المصرية ، فإنها أكبر رذيلة ، والمتحلى بها فيها أحمق جاهل !

الوطنية الأجنبية يتغنى بها المصرى ، ويعدد مآثرها ، ويعجب بمظاهرها فى الخارج ، ولكنه يمقتها فى أخيه ، ويعدها جهلا وحمقا .

يحارب الحلفاء دول الوسط لأنها تريد التسلط عليهم ، والانفراد بسياسة العالم . ولا يرضى أصدقاؤهم منا أن نقلدهم فى هذا الإباء .

قال لى علوى باشا ، فى السهرة التى أوردت ذكرها سالفا ، إنهم عدّوا عليك أن قلت لبعضهم : إنك تميل إلى الاستقلال !

سافرت يوم السبت ١٦ أكطوبر إلى عزبة مسجد وصيف ، وعدت منها الأحد مساء . ثم سافرت الاثنين صباحا إلى دمنهور ، وقابلت المدير ، ورأيت أن وزارة الأشغال [ص ١٣٧١] كلفت الهندسة فى البحيرة أن تعمل مباحث[٤٥] عن مياه الراحة اللازم أخذها : إما من

---

(٤٣) عبارة : « بأن لا علم » مكررة فى الصفحة التالية . وقد حذفناها .
(٤٤) فى الأصل : « ومبدأى » .
(٤٥) أى : أبحاث .

٢٢٠٧

ترعة البشنويطى ، أو من ترعة الخندق . فعملتها ، ورفعتها إليه برأى يفيد أن الأوفق عمل هذه الفتحة فى الثانية[٤٦] . ولكن المهندس الذى أجرى المباحث يرى العكس .

وفهمت من وكيل المديرية أن رأى الباشمهندس لكونه يملك أطيانا على ترعة البشنويطى ، ويخشى أن يضرها إجراء الفتحة من هذه الترعة . ولقد علمت من المدير أنه تكلم مع المفتش ، ولكنى أشك فى ذلك ، وأن الذى عمل هو سرى باشا .

وفهمت منه أيضا أنه متضايق من الضغط عليه ، لأنه كلف بأن يطلب رتبة للمنياوى ، فامتنع ، وقال للسلطان إنه يمكنه أن يمنحه بلا واسطة . ولكن رشدى باشا قال : إنه يستحق الرتبة ، لكونه أدى خدمات فى الجمعية التشريعية . وامتنع المدير ، لأنه كان سمسارا للمدير السابق !

قال لى : لولا صعوبة الموقف لا ستعفيت ! فقلت : تصبر ولا تضجر .

ثم ذهبت إلى اسكندرية ، ووجدت اسماعيل سرى مع زملائه عند رستم ، فخرج إلىّ فى قاعة الاستقبال ، ووجدته قد اهتم بالمسئلة ، وبحثها ، وتشبع برأى الباشمهندس فيها . فأقنعته برأى المهندس . ووعد أن ينهى المسألة بعد العيد . وتردد فى مخابرة المفتش عن الإذن بالفتح مؤقتا لحين انتهاء المباحث .

وبعد الغذاء ، ذهبت إلى عدلى ، وفهمت منه أنه تكلم فى مسألتى مع السلطان ، وأنه وعده أن يرسل إلى ، وأكد له أنه لا شيء عنده بالنسبة إلى . ولكن عدلى سأل سعيد ذو الفقار عن ذلك ، فقال إنه لم يرسل لى .

---

(٤٦) أى من ترعة الخندق .

ثم أشار عليَّ على شعراوى بالذهاب إلى السراى غدا - يوم ١٩ منه . فذهبت ، ووجدته[٤٧] على قدم الذهاب إلى زيارة والدته ، حيث حدد لذلك الساعة ١٠ ، ولكنه لم يذهب إلا الساعة ١١ إلا بعض دقائق . وقال لى سعيد ذو الفقار أن أحضر غدا حتما . فأبديت التردد ، فألح .

وفى الغد ، ذهبت ، فأخذ سعيد يعتذر بأن السلطان مريض ، وانه لا شىء عنده ضدك . ثم نودى إلى السلطان ، فذهب ، واستمهلنى . ثم عاد ، فأدخل مظلوم وسعيد ، ثم راتب باشا ، ثم أنا .

[ص ١٣٧٢]

ولما قدمت على عظمته ، نهض ومشى بعض خطوات ، وأخذ يتكلم عن مرضه ، والحرارة الملازمة له ، وأن الطبيب أخذ دما من أصبعه ليحلله ويتبين سبب الحمى . وأن عائلته وبناته أصبن ببعض الشىء ، وأن ذلك من فساد هواء السكن .

ثم انتقل إلى حرب البلقان ، وما سببته[٤٨] من الإشكال . ويظهر من خلال كلامه الاضطراب من نتيجتها[٤٩] وكان يتخلل كلامه شىء من السكوت ، خصوصا عند انتقاله من موضوع لغيره . وكان لا يحدق فى ! ورأيته ضعيفا ، ناحل الوجه ، شاحب اللون ، وأصبعه مربوط بشاش أبيض .

وانتهزت فرصة سكوت عرض ، فقلت : مولاى ، إنى أشعر بتغير خاطركم الشريف ، وما علمت لذلك من سبب !

(٤٧) أى : وجد السلطان .
(٤٨) فى الأصل : « وما سببه » .
(٤٩) فى الأصل : من نتيجته .

فقال : إن هذا وهم ، ولا شيء عندى قبل حضورك إلى اسكندرية أخيرا ، ولكنك حضرت فى وقت ضيق ، لم أكن متمكنا فيه من مقابلتك ، لقرب انعقاد مجلس الوزراء ، ولزوم المكث بعده زمنا مع المستشار المالى ، وقبله مع رشدى باشا ، للمداولة فى المهام التى أكون تدرستها فى البحث . ولكن قيل لى أنك تريد أن تقابلنى قبل الساعة ستة ! ولما كان ذلك غير ممكن ، لم أتمكن من القبول .

فقلت : معاذ الله يا مولاى أن أكون أردت التحكم فى وقتك ، وإلزامك بأن تقابلنى فى وقت معين . وإنى واضع نفسى وعائلتى تحت تصرفك ، فلا يمكن أن أريد إلا ما تريد ، ولا أفعل ما لا ترضاه .

ولكن بلغنى أن قوما وشوا بى لديك ، وكانت حرمى مريضة مرضا شديدا ، فلعدم ضياع الوقت ، تركتها مريضة ، وحضرت لإزالة ما حدث من أثر الوشاية .

فقال مقاطعا : لا تصدق بأنى أصغى للوشاية ، أو أن للناس تأثيرا علىَّ فى أفكارى ، ولم يكن عندى شيء . وإنما بلغنى أنك تدافع عن حسين محرم ، بعد أن قلت لى ، وقلت لرشدى : إنه دنىء سافل ! وكيف يليق برجل ، كان رجل سياسة عظيماً(٥٠) مثلك ، أن يدافع عن مثل ذلك الدنىء ؟ إنى لا أحب خراب البيوت ، ولكن يلزم أن يكون الإنسان على مبدأ شريف لا يتحول ، لا أن يكون اليوم على مذهب وغدا على آخر !

فثقل عندى سماع هذا التقريع ، وانفعلت ، ولكن تصبرت ، وألزمت نفسى السكون . وقلت : مولاى ، المبدأ الشريف هو الذى دعانى لأن أساعد ذلك الرجل ، لأنه التجأ لإستشارتى . ولا يصح — فى

(٥٠) فى الأصل : « عظيم » .

عدلكم ــ أن يكون الطعن فيه سببا فى غضب كتشنر والخديوى منى ، واخراجى من وظيفتى ــ والدفاع عنه [ص ١٣٧٣] سببا فى تغير خاطركم الشريف ؟

وما فعلت شيئا سوى كونى أشرت عليه بأن لا يحضر فى القضية المدنية ، التى كانت مقامة عليه أمام المحكمة المختلطة .

قال : إنه ينادى فى كل مكان أن له محاميا عظيما ، ومدافعا مهما !

قلت : إنى لم أقل إنه ليس مذنباً ولامجرما[٥١] ، ولكن[٥٢] أقول : إنه آخر المجرمين ، وأولهم الخديوى السابق ! فلست متناقضا مع نفسى !

قال : ويقال إن أحمد لطفى أفرج عنه بعد الاعتقال بمساعيكم ؟

قلت : هذا افتراء ، ولا علاقة لى بأحمد لطفى ، ولا أعرف من اعتقله ، ولا من أفرج عنه ! ولكنى أعلم أن محامين انكليزيين ، وأحدهما الذى يدافع عن المجرمين السياسيين أمام المجلس العسكرى ــ سعى له فى الإفراج ، ونجح مسعاه . أما أنا فلا دخل لى مطلقا . وشعرت أن هذا هو بيت القصيد !

ثم قال : وإن الهلباوى اساء أمس فى الدفاع عن أحمد خيرى ، وتتبعت مرافعته فى قضيته ، فما فهمت منها شيئا مقبولا . وأخذ يطعن على خيرى باشا طعنا شديداً، ثم قال : إن إبراهيم راتب نقض العهد وأحرجنى[٥٣] أمام الإنجليز ، لأنه بعد أن ذهب إلى إيتاليا ، توجه إلى

---

(٥١) فى الأصل : «مذنب ولا مجرم» .

(٥٢) فى الأصل : «ولاكن» .

(٥٣) كان إبراهيم راتب بك ، وهو زوج إحدى الأميرات ، قد سجن بطره أربعة أيام ، لاتهامه بتدبير مؤامرة ضد السلطان حسين كامل ، ثم أخرج من السجن =

الآستانة ، ودخل جيش الترك ، وحارب الإنكليز انتقاما لخروجه ، وكان يخاطب اسماعيل شرين الذى كان متحدا معه . ولابد من نفى هذا أيضا ، ولا يمكن أن يبقى .

ثم تدرج من هذا إلى الطعن على الأمة المصرية ــ بما لم أجب عليه . ومنه إلى الآستانة ، وبانفصال يوسف صديق عن الخديو ، بسبب مسألة ثلاث آلاف جنيه(٥٤) وإلى تنازل الخديوى عن الخديوية حتى يرتب له الإنكليز مرتب . وإلى التماس محمد على ، أخيه ، العودة إلى مصر ــ مع الإشارة بأن هذا لا يكون ! وإلى ما كان يبذله من النصائح للخديو فى شأن يوسف صديق ، وعدم اصغائه اليها ! فقلت : وقد رأى عاقبة مخالفته !

وعلى أثر ذلك نهض ، فأردت تقبيل يده ، فامتنع بحجة أن ذلك مخالف لعادته ! ثم رضى ، وهمهم بالسلام على العائلة .

= على شرط عدم البقاء فى مصر والسفر إلى الخارج . ولما كان باقيا يومان على ميعاد سفر الباخرة ، فقد حجز فى منزله تحت الحراسة ، إلى أن سافر مع حسين شيرين . وقد سافر إبراهيم راتب إلى « ويانة » لمقابلة الخديوى عباس حلمى ، ومنها سافر مع زوجته إلى الآستانة .

أما إسماعيل شيرين فقد كان سكرتيرا لمحمد سعيد باشا ، ثم كاتبا بمجلس النظار ، وهو شقيق حسين شيرين ، زوج إحدى الأميرات المصريات ، الذى كان عديلا لإبراهيم راتب ، وقد نفى معه إلى روما . (انظر أوراق محمد فريد ص ٤٧ ، ١١٩ ، ١٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٩٦) وكلمة «وأحرجنى» قراءة اجتهادية .

(٥٤) كان الخديوى عباس حلمى قد حصل فى أثناء نفيه على خمسة ملايين فرنك ليصرفها فى فرنسا وايطاليا ليشترى الصحف وبعض النواب ورجال السياسة لحساب ألمانيا ، وفصل فرنسا عن انجلترا لعقد صلح انفرادى مع ألمانيا . وكان يوسف صديق هو وسيط الخديوى ، وقد احتجز يوسف صديق لنفسه مائة ألف =

وانصرفت شاكرا إلى سعيد ذو الفقار وعدلى ورشدى ، [ص ١٣٧٤] فقال لى كل من الآخرين : أحسنت فيما فعلت . ثم عدت إلى كلوب محمد على ، حيث تغديت . ومن هناك أخذت قطارالساعة أربعة ، وعدت إلى مصر .

ثم حضر ، بعد العشاء صدقى وهلباوى ، وحكيت لهما طرفا من مقابلتى . وقال لى الثانى : إن السلطان لما فاتحه فى دفاعه عن حسين محرم وخيرى ، امتعض هو . ونهض واقفا ، وقال : هل يجب يا مولاى أن نستأذن فى الدفاع عن الناس ؟ وأخشن له القول . وهو يستغرب كثيرا من هذه الخطة(٥٥) .

ولم يحدث شيء بعد ذلك يستحق الإثبات ، سوى أن هذا العيد كان حزينا عند جميع الناس ، ولم ينتعش له أحد كالعادة .

= فرنك ، أودع منها فى بنك زيورخ ٧٥ ألف فرنك ، وصارح أحمد شفيق بحقه فى الانتفاع من المشروع قائلا : « لماذا لا ننتفع أيضا ، إنى أنا الذى تحادثت مع وزير خارجية ألمانيا ، وأنهيت المسألة ، فإذا أخذنا نحن أيضا ثلاثة الاف جنيه فهى قطرة من بحر ! على أن الخديوى حجز على المبلغ فى بنك زيورخ ورفع قضية على يوسف صديق باشا بمبالغ كانت للخاصة الخديوية عنده ، وسويت المسألة بأن دفع يوسف صديق المبلغ للخديوى بعد أن تنازل له هذا عن عشرين ألف فرنك بقية مرتبه! والطريف أن الخديوى عباس حلمى إدعى للألمان أنه صرف المبلغ الذى حصل عليه فيما كلف به ، واحتجر لنفسه مبلغ مليون وستمائة ألف فرنك . ثم اضطر إلى دفعه (أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، القسم الثالث) . وكان أحمد شفيق فى رفقة الخديوى .

ويلاحظ هنا أنه إذا كان السلطان حسين كامل قد عرف فى مصر قصة الخلاف بين عباس حلمى ويوسف صديق ، ومبلغ الثلاثة آلاف جنيه فمعنى ذلك أن خاصة الخديوى كانت تفشى له أسراره وأخبار حاشيته .

(٥٥) كان أحمد خيرى باشا وحسين محرم باشا قداتهما جنائيا : الأول عن مبالغ =

وقد نشرت الجرائد أن كريمة عظمة السلطان ، الأميرة سميحة ، ستدخل على خطيبها اسماعيل غدا ، فى حفلة خاصة من الوزراء والعلماء .

وقد نعت أخبار اسكندرية وفاة المرحومة السيدة توفيقة ، حرم عبد الرحيم باشا صبرى ، بعد داء أعيا الأطباء . وقد شق نعيها خصوصا على حرمى ، فإنها كانت لها صديقة صادقة . وهى تبكى الآن وتذرف الدمع مدرارا ، على ما بها من ضعف فى الصحة والعيون . (فى ٢٣ أكطوبر سنة ١٩١٥ الساعة ٥ بعد الظهر) .

فى ٢٤ أكطوبر

تكلم معى من يدعى محمد بك الوكيل من دمنهور ، بأنه اشترى قطن مستأجرى عزبة دسونس ، بسعر ٤٧٠ قرش القنطار . فقبلت ذلك ، وكلفته أن يدفع ، قبل الاستلام ، إلى البنك الأهلى بدمنهور إلى حسابنا مبلغ ٥٠٠ جنيه ، وأن يشعرنى البنك تلغرافيا بهذا الإيداع . وبأن يدفع الباقى عند الاستلام . وكلفته بأن لا يدفع لأحد غير البنك المذكور .

فى الساعة ٣ تسير جنازة حرم عبد الرحيم صبرى من محطة مصر ، وأنا ذاهب الآن إليها .

[ص ١٣٧٥]

فى ٢٥ أكطوبر

حضرت الجنازة ، وقد رأيت فيها خلقا كثيرا من المنوفية ، وقليلا من

= صرفت من الأوقاف الخديويه وقت إدارته لها ، والثانى عن مبالغ من دائرة سيف الدين التى يديرها . وقد حكم ببراءة الاثنين .

مصر ، وعلمت أن وكيل المديرية لما جاءه من المدير نعى حرمه ، جمع ذلك الجمع الغفير . ورأيتهم هناك بعد العشاء .

لغاية الآن الساعة ٤ ، لم يرد خبر من مشترى القطن فى دمنهور . ولم يحضر الكشف المطلوب .

فى ٢ نوفمبر

شرع السير مكماهون ، نائب جلالة الملك ، فى اكتتاب عام بالقطر المصرى لجرحى الحرب البريطانيين . وعقد لذلك احتفالا باسكندرية ، وآخر فى القاهرة ، خطب فى كل منهما خطبا طويلة ، فى بيان مزايا الصليب الأحمر ، والخدم التى يؤديها ، وإن حاجته إلى المال إنما هى للأمور الكمالية التى تسلى الجرحى ، لا للوازم الضرورية التى تقوم الحكومة بتوفيرها على غاية ما يرام .

وما بلغت هذه الدعوة حكام الأقاليم ، حتى قاموا يحثون الأهالى على الاكتتاب . فأخذ الناس يقبلون عليه ، ويتشاورون فيه ، ويتزايدون عليه ، حتى بلغ المجموع مبلغا عظيما ، قدرناه بمائة ألف جنيه على التقريب .

ولكن الذى ساعد على ذلك الإقبال هو الرهبة من الأحكام العرفية وتنفيذها ـ وان لم يهدد بها الحكام فعلا .

وقد قابلت السير مكماهون أمس ، فأحسن استقبالى ، ورأيته مسرورا من نتيجة الاكتتاب . ولمحت له بمبالغة وزارة الزراعة فى تقدير محصول القطن ، فقال : إن الآراء منقسمة فى ذلك ! فقلت : ولكن رأى الوزارة رأى الأقلية !

كما أشرت إلى عدم ثقة المزارعين بها ! فقال : إن ذلك جارى فى كل البلاد . وبعد ذلك انصرفت ، مودعاً منه بأجمل عبارة .

[ص ١٣٧٦]

وتوجهت إلى محطة مصر ، حيث استقبلت عظمة السلطان . وقد احتشد لإستقباله خلق كثير جدا ، وكان من بينهم من لم يسبق له وجود فى مثل هذه الاحتفالات . وقد سلم عظمته على ضباط الجيش الإنكليزى قبل العلماء ! ولم ينُب أحد عن نائب الملك فى هذا الاحتفال ، وهتف له البعض عند مروره بالشارع الموصل من المحطة إلى عابدين ! وكان يصافح المستقبلين واحداً فواحداً إلا القليل .

وقد ذهبت اليوم إلى عابدين ، فقيل لى : إن عظمته تعاطى شربة ! ولم يخرج للقاء الزائرين .

وحضر الهلباوى ، فذهبت معه لعيادة الشيخ عبد الكريم(٥٦) ، حيث مرض من عدة أيام مرضاً شديداً ، وتعافى منه والحمد لله . ثم عدت وحدى .

قد كنت ذهبت إلى العزبة يوم ٢٧ أكطوبر ، وحضرت منها يوم ٣١ منه ، ومكثت المدة التى أقمتها فيها مشغولا بالعمارة والزراعة غير لاو على شىء آخر . فكنت مستريحاً جدا ، إلا من بعض الأمور التى تحدث من العمال وتضايق وقتياً . وكنت أنام باكراً وأستيقظ كذلك .

ولكنى أشعر بأن كثرة معاشرة أولئك القوم قد تفسد الفضيلة وتقسىّ القلب الطرى على سكان الأرياف ! لأنهم يكذبون ، ولا أمان لهم ، ويخافون ولا يختشون ! وقد عزمت على العودة إلى العزبة غدا ، لمشارفة الأعمال ، وتقييم الأشغال فى العمارة(٥٧) .

---

(٥٦) الشيخ عبد الكريم سلمان .

(٥٧) هذا التقييم من سعد زغلول لسكان الريف ، يذكر بتقييم الجبرتى ، =

[ص ١٣٧٧]

في ٦ نوفمبر

توجهت للعزبة فى يوم ٣ نوفمبر، وأقمت بها لغاية يوم ٥ منه. وصادفت فى الذهاب والعودة الدمرداش، وأخبرنى أن فى نيته أن يخاطب السلطان فى احتجاب الوزراء، وذلك بعد أن انتقد عليهم وعلى السير مكماهون مر الإنتقاد بسبب امتناعهم عن الناس. ولم أشاركه كثيرا.

وبعد عودتى، قيل لى إن سعيد ذو الفقار باشا سأل فى التليفون عنى وأجيب بأنى غائب بالعزبة. وسمعت أن عظمة السلطان مسافر إلى الصعيد تبديلا للهواء، لأنه يشعر بنوع من التعب ولا تفارقه الحمى إلا قليلا.

وقابلنى أمس فى بيت إبراهيم سعيد باشا، عبد الله باشا وهبى. وفهمت منه أن مجلس إدارة الجامعة انتخبنى مع عبد العزيز عضوا فى

= الذى كتب يقول ما معناه: «وإذا جاءهم ملتزم ظالم احترموه ووقروه، وإذا جاءهم ملتزم عادل سخروا منه ووصفوه بأوصاف النساء»!

وليس فى ذلك ما يقلل من شأن سكان الريف، الذين عاشوا فى وسط الأقوياء، وكان عليهم استخدام الحيلة للتعامل معهم، حتى يتمكنوا من البقاء. فالأخلاق ترف لا يتمتع به - غالبا - سوى الأقوياء والقادرون!

ونلاحظ أن طريقة الفلاحين للبقاء تختلف عن طريقة البروليتاريا، التى تساعدها الرابطة الضيقة التى تربطها ببعضها البعض على تنظيم نفسها، والتصدى بالإضراب والعنف عند اللزوم.

ومعنى ذلك أن لكل طبقة جماهيرية طريقتها للبقاء!

مجلس إدارتها . وأن إبراهيم نجيب باشا حضر الجلسة مع كونه كان استعفى وقُبل إستعفائه . وهموا بإخراجه لولا أن تشفع هو له ، فقبلوه مؤقتاً ، على نية ألا يعود لمجلسهم مرة أخرى .

أخبرنى الآن سعيد باشا ذو الفقار ، بأنه تحدد لى اليوم الساعة ٤ ، للمقابلة . وفهمت من بعض عباراته أن هناك شيئا ، لعله سفرى بعد العلم بانحراف عظمته ، وعدم السؤال عنه . ويلزمنى أن أعمل جهدى فى استمالته ، لأن تنفيره لا يفيد ، وقد يُشمت الأعداء .

فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٥

ذهبت إلى عابدين فى الساعة ٤ بعد الظهر ، ووجدت بأودة سعيد باشا ذو الفقار محمود شكرى ، وعلى شعراوى . وانتظرت إلى الساعة ٤,٣٠ . وقال شعراوى إن رشدى دعاه اليوم إلى الداخلية ، وكان عبد الرحيم الدمرداش حاضرا ، وتكلم معه فى شأن تحويل مبلغ المؤتمر [ص ١٣٧٨] الإسلامى ، أو جزء منه ، إلى الصليب الأحمر .

ثم دعيت إلى السلطان. فاستقبلنى كعادته الأولى معى ، وعاد فى حديثه إلى حالته الأولى ، وشكى من ضعف صحته وهمومه ، وأبدى تخوفه من الحرب فى البلقان ، وعدم ارتياحه إلى تغيب كتشنر عن بلاده بمأمورية ، لأنه يتوهم أنه قادم إلى مصر ! ثم تكلم عن صحة الملكة(٥٨) وخطورة حالتها ، خصوصا إعادة ابنه إلى لوندرة عقب إصابته .

ثم تبرأ من اعتقال الناس ، وتبرم من تعدد السلطات فى البلد. وأتى وزارة الزراعة نصيبها من الطعن ، وسخر من رجالها رجلا رجلا ! وامتدح مكماهون .

وقد ذكرت له أنى زرته . وطعنت أمامه على وزارة الزراعة فى

---

(٥٨) هكذا تقرأ ، ويقصد السلطانة .

تقديرها محصول القطن ، وسوء التقاوى التى أرشدت الزراعة عنها .

وأبدى عدم ارتياحه من تهافت الناس على الإكتتابات ، وتقربهم بإيفاد الوفود إلى دار الحماية ، وانتهاره مدير الفيوم ، وتعنيفه مدير[٥٩] الغربية ، وكونه التجأ بعد التعنيف إلى الإنكليز ليسندوه ! ثم امتدح سعيد زغلول كثيراً ، وطعن فى حشمت ، وأشار إلى سعى ستورس فى سنده . ثم قيل له عن قدوم عدلى ورشدى ، فصرفنى وانصرفت .

وفى المساء ، حضر عندى عدلى فى نحو الساعة ١٠ ، ولبث إلى الساعة ١ واحدة بعد نصف الليل . وأغلب الحديث كان فى السلطان ، ورشدى ، وحلمى[٦٠] ، والأحوال العامة .

وقد ذكرت له ما بلغنى ، من كون رشدى وسعيد يتوهمان أنى أخذت على نفسى الدفاع عن حسين محرم لكشف السوء عن إدارتها .

فقال : إنه لا يعلم بشىء من ذلك .

وليس فيما جرى بشأن الأحاديث شىء جديد يستحق الإثبات ، بل كان أغلبه تكرارا لما كنا نتكلم به من قبل .

[ص ١٣٧٩]

قابلت اليوم رشدى باشا فى منزلى ، واستحسن دخولى فى شركة التأمين بصفة رئيس لجنتها الإدارية . وقال إن لها مكافئة يلزمك أن تشترطها ، وأن لا تكون مسئولا عن أعمالها ، وأن تكون الشركة مأمونة .

ونفى كونه توهم أنى أدافع عن حسين محرم بقصد كشف الغطاء عن

(٥٩) فى الأصل : انتهاره إلى مدير الفيوم ، وتعنيفه إلى مدير الغربية .
(٦٠) يقصد أحمد حلمى باشا ، وزير الزراعة .

سوء إدارة محمد سعيد . وقال : إن سعيد هو الذى توهم ذلك ، وتكلم به . وقال : إنه سمع أن كتشنر ذاهب إلى سالونيك ، وربما تعين عضوا فى اللجنة الدولية الحربية نائباً عن دولته .

فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩١٥

ذهبت إلى مسجد وصيف فى ٨ نوفمبر بقطار الساعة ٧ صباحا ، وعدت منها أمس فى الساعة ٥ مساء .

وقد كنت أظهرت لعظمة السلطان الرغبة فى عرض بعض الأمور عليه ، فتذكر ذلك ، وحدد جلسة فى الساعة ستة مساء أمس . وكانت مقابلته جميلة ، استغرقت مدتها ٤٥ دقيقة . وجرى الحديث فيها على شؤون شتى ، يجمعها اهتمامه بمصالح أمته . وقد امتدح فتح الله وحتاته بيك كثيرا ، وأن الإنعام على الأول بالباشا ، وعلى الثانى بالمرتبة الأولى ، وتعيينه مفتشا لديه ، حصل منه خاصة . واعترض على تعيين بعض الضباط فى البوليس لوجود مدرسة لهم . وافتخر بالعفو عن تلامذة الحقوق ، ووعد بالنظر فى إعادتهم إلى مدرستهم . وأشار إلى تأجيل سياحته فى الوجه القبلى ، نظرا للحالة فى البلقان .

ووافق على دخولى فى شركة التأمين ، ولكن أشار بالكلام مع رشدى حتى يستشير سسل . وكذلك على دخولى عضوا فى مجلس إدارة الجامعة ، ولكنه قال : أتقبل أن تكون تحت رئاسته ؟[٦١] قلت :

---

(٦١) يقصد : تحت رئاسة حسين رشدى باشا ، الذى خلف الأمير أحمد فؤاد فى رئاسة مجلس الجامعة فى ٢٠ مايو ١٩١٣ . وفى عهده قام الدكتور محمد علوى باشا ، طبيب خاص الأميرة فاطمة إسماعيل ، باقناعها بأهمية المساهمة فى النهوض بالجامعة والتبرع لها ، فتبرعت فى عام ١٩١٤ للجامعة المصرية بهبة كبيرة تمثلت فى وقف ٦٦١ فدانا من أجود أطيانها فى الدقهلية عليها ، ومنحها قطعة أرض مساحتها ستة أفدنة قرب قصرها ببولاق الدكرور ، خصصتها لبناء دار جديدة للجامعة ، كما =

إن فى مثل هذه الأمور الخيرية لا عبرة بالإمتيازات . وكان معى كالعادة .

[ص ١٣٨٠]

وتقابلت مع عدلى ، وثروت ، وشكرى محمود ، وسعيد ذو الفقار . وكانوا يتكلمون فى الترتيب بين الطبقات ، فاعترضت على تقديم رئيس النظار السابق على رئيس الجمعية التشريعية ، فقال عدلى : إنى خذلت فى هذا الرأى . وجرى الكلام فيما(٦٢) شاع فى الأرياف عن وصول كتشنر إسكندرية ، وتكذيبى له ، فقال شكرى : وأغرب من ذلك ما شاع هنا من كونه وصل القاهرة أمس ، الساعة ٢ بعد نصف الليل .

ولم يقل لى السلطان شيئاً عنه ، ولكنى علمت ـ بعد ذلك ـ بأنه وصل إلى بورسعيد ، وأن السلطان أجل سفره لذلك ، وفى نيته أن يعد له وليمة ، وهو معقول . وتكتم وصوله مفهوم ، حتى يمضى الوقت الكافى ما بين التاريخ الذى أعلن فيه قيامه وتاريخ وصوله . والله يجعل قدومه خيراً على مصر وأهلها !

= تبرعت بجواهر وحلى قيمتها ١٨ آلاف جنيه ، لينفق ثمنها فى إقامة هذا المبنى ، فبلغت قيمة ما تبرعت به نحو مائة ألف جنيه . كما تبرع الأمير يوسف كمال بمبلغ من المال ، وأوقف ١٢٥ فدانا من أطيانه بمديرية القليوبية للجامعة .

وقد احتفل بوضع حجر الأساس للجامعة فى الأرض التى تبرعت بها الأميرة بالدقى فى ٢٠ مارس ١٩١٤ ، وشرع فى بناء الجامعة ، ولكن توقفت عملية البناء بعد نشوب الحرب الأولى ، واستولت الحكومة على المكان مقابل جزء من الأرض التى قدمتها إلى الجامعة لمبانيها الحالية بحديقة الأورمان بالجيزة .

(د. عبد المنعم جميعى : المرجع المذكور) .

(٦٢) فى الأصل : «فى ما» .

حظيت اليوم بمقابلة عظمة السلطان ، فألقيته أقوى مما كان ، وأصح . وقابلنى كعادته السابقة معى من المزاح ، ثم أخذ يشكو من قرار المؤتمر ، ومن تغيب أعضاء جمعية العروة الوثقى عن حضور الاجتماع ، ومن خلل الإدارة ، وتوسع سلطة المفتشين[٧٢] ، وترك الحرية للسنوسيين ، وعدم الدقة فى انتخاب الموظفين ، وقلة الاهتمام بالزارعين ، وإهمال وزارة الزراعة أمر البذرة ، وعدم احضار آلات التبخير من سويسرة ، والإصرار على أن تكون من لوندرة ، أو أمريكا ، حتى ضاعت الفرصة ، وفاتت السنة .

فقلت له : إن وزارة الداخلية تحتاج إلى وزير وحده[٧٣] ، ومعه كثير من الوكلاء . وكان الأولى أن يقتصر رشدى على المهام العظمى !

فقال : تلك مسألة أخرى !

وكان أكثر تبسطا ، ولكنى لا أزال أجد فيه شيئا من المرارة ! والأوفق اتقاؤه ، وعدم التعرض لأذاه ، والأمر فى الباقى إلى الله .

فى يوم ٢٦ ديسمبر

ذهبت مع العائلة إلى عزبة مسجد وصيف ، فى يوم السبت ٣ ديسمبر ، من طريق ميت بره[٧٤] . وكان معنا حرم صدقى بيك وحرم سرهنك باشا وبنتها جلسن . وقد أقامت الثانية ليوم الاثنين ٥ منه ، ثم عادت من الطريق عينه هى وبنتها .

---

(٧٢) يقصد : المفتشين الإنجليز .

(٧٣) كان حسين رشدى باشا يشغل منصب وزير الداخلية إلى جانب منصب رئيس الوزراء .

(٧٤) فى الأصل : ميتبره .

[ص ١٣٨٤]

وقد أعجب الكل بالمنزل أيما إعجاب . ومن المضحكات أننا كنا نأكل فى أودة السفرة جميعا ، ولكن هن على المائدة الكبرى ، وأنا وجلسن على مائدة أخرى ! بحيث كنت مستديرا لهن فى الجلسة ! وقد طاب هناك(٧٥) الهواء ، فلا حر ولا برد ، ولكن أخذ يتغير نوعاً من يوم ٢٤ ديسمبر .

وقد حضرت هناك رتيبة بولديها : مصطفى وعلى(٧٦) ، بعدنا بأسبوع . ولا تزال هناك إلى الآن . وقد استفادوا من هذه الجهة كثيرا .

وقد كنت حضرت فى الأسبوع الفائت ـ أى يوم ١٩ ديسمبر ـ لتهنئة السلطان بعيد جلوسه ، وحضور المأدبة ، التى أقامها فى مسائه بكازينو الجزيرة رشدى باشا . وكانت ليلة رسمية ، حمل فيها الوزراء ورجال البلاد ، الأوسمة الجديدة .

وحملت أنا نيشان البلجيك ، حسب رغبة صاحب الدعوة ، لأن كاتم أسراره تكلم معى بالتليفون أن حضور المأدبة يكون بنياشين السلطنة الجديدة ، أو نياشين دول الحلفاء . وكان الناس يعجبون به ويستغربونه ، ويسألونى عنه . وقد جاء نيشان النيل الأكبر شبيها به فى كثير من ألوانه الرصينه(٧٧) . وكان القوم يهنئون عدلى باشا على حسن اختياره . وقال الكثير منهم إن نيشان النيل أبهى وأجمل من نيشان محمد على الأكبر .

---

(٧٥) يقصد : فى مسجد وصيف .

(٧٦) هذه أول مرة يرد فيها ذكر اسم مصطفى وعلى أمين .

(٧٧) وقد تقرأ «ألوانه الرصيعة» أى «المرصعة» .

وقد أظهر الإنكليز كثيرا من اللطف والمجاملة لى ــ خصوصاً مكماهون وسيسل ــ حتى إن حلمى(٧٨) ، الذى قابلنى أول الليل بفتور ، أخذ يتودد إلى فى آخره ، ويخاطبنى بعبارات الأخوة والوداد ! وقد تخلفت مع الوزراء قليلا ، ولكنهم كانوا يتكلفون السرور ، وعلى الأخص رشدى . وقد ذهبت مع عدلى إلى الكلوب ، ثم إلى عندى ، حيث لبثنا فى سمر إلى الساعة ٢ بعد نصف الليل .

[ص ١٣٨٥]

وفهمت من عدلى أن القوم كانوا يريدون تجنيد ٢٥ ألف جندى من مصر ، بصفة عمال فى الجيش ، ولكن حصلت معارضة فى ذلك ، وانتهت بجعل الأمر مقاولة ، خشية ما يحدث فى نفوس الناس من سوء الأمر .

وفهمت منه أنه غير راض عن ضعف رشدى أمام السلطان ، وأمام الإنجليز ، وعلى الأخص « جراهم » ويشكو ــ من طرف خفى ــ من أن رشدى يبت فى الأمور من غير أن يأخذ آرائهم ، ويوافق السلطان على رغبات ربما لو ناقشه فيها لعدل عنها مع الشكر للناصح(٧٨م)

وسألنى عن علاقتى مع السلطان ، فقلت : إنها الآن ــ على ما أظن ــ حسنة . ولكن لاثقة فى ثباتها ، لكثرة ما يتغير السلطان ! ثبتها الله !

يظهر أنى سئمت عيشة الإجتماع ، وصببت إلى الوحدة ، لأنى أميل إلى سكنى العزبة ، ولا يضجرنى عدم وجود الأنيس !

(٧٨) أى أحمد حلمى باشا ، وزير الزراعة .

(٧٨ م) كلمة «للناصح» قراءة تقريبية ، وكلمة «ناقشه» ، فى الأصل ، «نقش

يوم ٢٧ ديسمبر

كنت عزمت أمس أن أعود اليوم إلى العزبة ، ولكن توفى بهجت ، أخو صدقى بيك ، فالتزمت أن أؤجل السفر إلى غد .

حضر لى اليوم على بيك حسين ، وأخبرنى بأنه اتفق مع عبد الحليم ، المستأجر ، أن يأخذ منه أطيانا وأرضا للبناء بما بقى عنده من الإيجار . وأن يفكه من إيجار السنة الحالية .

وقال (٧٩) إن وطنيا ورومياً يريدان أن يستأجرا الأرض بسعر ٣٧٥ الفدان ، لمدة ثلاث سنوات ، مع أحقيتهما فى تجديد التأجير لمدة ثلاثة سنوات أخرى ، بشرط تصديق المجلس الحسبى . ورغبا كذلك أن يستأجرا وابور الطحين بستة جنيه فى الشهر ، وأنه يحول عدته(٨٠) من فحم إلى غاز ، بشرط عدم الإستمرار بعدة الفحم . وأن زوجة الرومى تملك ٤ فدان وكسور بالقرب من المنتزه(٨١) والوطنى ٣ فدان .

[ص ١٣٨٨]

ولا يمكنهما أن يقدما ضمانة غير ذلك . وإنه لا أحد غيرهما يرغب فى إستئجار الأرض الآن ، لأنها لم تزرع شتوى ، والظروف تقضى بإيجابة الطلب .

فقلت : لا أوافق على ذلك ، لأن فيه تغريرا بحقوق القصّر ! وإذا كنتَ مقتنعاً بصواب هذا المشروع ، فنفذه تحت مسئوليتك ! ولكن لا يكون لى دخل فيه .

---

(٧٩) أضفنا : « وقال » لبداية الفقرة

(٨٠) أى : « ماكينته » .

(٨١) قراءة تقريبية ، وقد تقرأ : « المنزل » .

علمت من رشدى بعد ذلك ، أن كتشنر لم يحضر ، ولكن مكسويل[٦٣] ومكماهون سافرا إلى جهة لا يعلمها . وأكد علىَّ بكتمان الخبر . وقد رأيت كثيرا من الناس يعلمونه ! ويقولون إنهما سافرا ليلا إلى إسكندرية ، وأبحرا منها بعد نصف الليل إلى جهة غير معلومة !

فى يوم ١٥ نوفمبر سنة ٩١٥

سافرت إلى مسجد وصيف[٦٤] ولبثت فيها لغاية يوم ١٤ منه . وقد بت يوم وصولى فى الأودة التى أعددتها فى الدوار .

وفى يوم ١٢ نقلت إلى المنزل الجديد ، وبت فيه ليلة ١٣ وليلة ١٤ . وفى يوم ١٣ غرست البستان الذى حول المنزل ، جعله الله غراساً مباركاً. والذى غرس فيه عدد ١٤٧ شجرة :عشرون من البرتقال السكرى ، والباقى أجناس مختلفة من الشاموت[٦٥] والأحمر واليوسف أفندى . وأول غراس فى البستان كان يوم ١٢ منه ، حيث أحضر العمدة بعض أشجار من الخوخ والتفاح والبرقوق .

[ص ١٣٨١]

وقد كنت مسرورا من بياتى فى المنزل الجديد ، ولكن رائحة البوية أثرت على أعصابى تأثيراً شديداً ، وأورثتنى نوعا من الدوار ، فحملتنى على تعجيل الأوبة ، بعد أن كنت عزمت على تأخيرها يوما .

وقد عدت أمس ، فرأيت عظمة السلطان قد سافر فيه إلى الوجه

(٦٣) الجنرال السير جون مكسويل Sir John Maxwell قائد الجيوش البريطانية فى مصر . وقد خلفه السير أرشيبالد مرى فى أوائل سنة ١٩١٦ .

(٦٤) لم يذكر سعد زغلول تاريخ سفره .

(٦٥) قراءة اجتهادية .

القبلى . ويؤكدون أنه لا يبعد فى سفره عن العياط ، نظراً للأحوال الحاضرة . والناس يهمسون فى الآذان بإشاعات شتى عن حضور كتشنر وحرمه أو أسرته(٦٦) . والله أعلم .

ولقد حضرت جرائد أوروبا . ويستفاد من الإنكليزية منها أن اللورد كتشنر ، إن لم يكن استعفى فهو فى حكم الإستعفاء . وهذا يستنتج من الوقائع الآتية : أولا ، أنه قابل الملك فجأة مقابلة طويلة ، وأنه(٦٧) لم يحضر اللجنة الحربية التى تألفت حديثا وانعقدت فى دار رئيس الوزراء ، وأن هذا الأخير توجه إلى وزارة الحربية ، وباشر أعمالا فيها من غير أن يقابل اللورد كتشنر . وكلام التيمس فى شأنه يشف بجلاء أنه غير مرضى عنه ، وأنه كان فى الزمن الأخير بلا عمل فى وزارته . ويؤيد كل ذلك عدم تعيين ، ولا إيضاح ، المأمورية التى انتدب إليها مؤقتاً — كما تقول الرسميات .

وإلى الآن — يوم ٢١ نوفمبر — لم يكن مقررا(٦٨) معلوما ، ولا ثبت بوجه قاطع أنه زار مصر ، بل الروايات مختلفة فى حضوره . والله أعلم !

٢٩ نوفمبر

يظهر أنه لم يعرج على مصر ، بل ذهب إلى أثينا وسلانيك مستصحباً معه مكسويل ومكماهون . ولم ينشر ذلك فى مصر إلا بعد وصول الأخيرين إلى هنا .

وقد عاد عظمة السلطان من فسحته يوم الجمعة ٢٦ نوفمبر ، وتحدث الناس كثيرا فى هذه العودة .

---

(٦٦) قراءة ترجيحية . وقد تقرأ : وغرقه أو أسره . ولكن السياق يستبعد ذلك .

(٦٧) فى الأصل : « انه » .

(٦٨) فى الأصل : « مقرر » .

[ص ١٣٨٢]

وقد ذهبت يوم السبت صباحا إلى عابدين . ثم حضر من بعدى يعقوب أرتين . وعقب ذلك طُلب هو إلى فوق . وقال لى سعيد : إن عظمة السلطان يود أن يجلس معك كثيرا ، ويؤجل هذه الجلسة إلى ميعاد يتعين من بعد .

فخرجت مستغربا ، وزاد استغرابى لما علمت أن أناسا من بعدى حضروا على غير موعد ، وقابلهم .

وقد تحدد لى ميعاد يوم الإثنين الساعة ١٠ — يعنى اليوم . ولكنى رأيت هذه المعاملة غريبة لا مبرر لها ! وللسلاطين أحوال تغلق عن الأفهام ، ولا تدركها الأوهام !

كنت ذهبت العزبة يوم الخميس ٢٥ نوفمبر ، مع سرهنك باشا وطاهر اللوزى . وعاد الأول ، وبقينا نحن الأخيرين . وعدنا يوم الجمعة مساء .

في ٢٩ نوفمبر

ذهبت أمس إلى(٦٩) دمنهور . ورأيت الحالة على غير تمام المراد . وتكلمت مع المستأجرين بأنى مستعد للتساهل معهم ، على شرط أن يجدوا طريقة مقبولة .

ولم يعجبنى الناظر ، لا فى هيئته ولا فى إدارته ،لأنه خواف،وللكاتب نفوذ عليه ، ومعرفته أوسع منه ، وتصرفه أحسن . وفى ظنى أنه لا ينفع .

كثرت اجتماعات الوزراء هذه الأيام ، والناس يتحدثون بها ، ولا يدرون سببها !

(٦٩) أضفنا : « إلى » .

وقد كان حضر عندى أول أمس عدلى باشا ، بعد أن مرَّ بى قبله مرتين فى ليلتين متعاقبتين . وفهمت منه أن السنوسى أغار على الحدود المصرية(٧٠) ، وأن السلطة العسكرية مشغولة بهذه المسألة .

وفكر فى انتهاز هذه الفرصة ، للعودة إلى فتح باب المخابرة مع رجال الإنكليز فى شأن إعطاء مصر نوعا من الاستقلال .

فقلت : إن هذا الفتح لايصح أن [ص ١٣٨٣] يكون ــ على كل حال ــ من الوزراء ، لأنه ربما تأول بأنهم يساومون الإنكليز مساومة ، وينتهزون فرصة ضيقهم(٧١) ! فاستحسن ذلك .

قلت : ولكن المسألة لا يصح أن تهمل ، والواجب البحث فيما يطلب ، وعمن يَطلب ؟ وانصرف على ذلك بعد محادثة طويلة .

---

(٧٠) كان السنوسى الكبير (السيد أحمد الشريف السنوسى) باتفاقه مع الأتراك ، قد أنفذ حملة على حدود مصر الغربية فى نوفمبر ١٩١٥ ، وانسحبت حاميتا السلوم وسيدى برانى ، ودخلها السنوسيون ، واعتصم الانجليز فى مرسى مطروح ، واتخذوها مقرا لقيادتهم . ودارت معارك عنيفة حولها فى أواخر سنة ١٩١٥ وأوائل سنة ١٩١٦ ، انتهت بارتداد السنوسيين ، واسترداد الإنجليز سيدى برانى بعد معركة « أجاجية » يوم ٢٦ فبراير ١٩١٦ . وفى مارس ١٩١٦ استرد الجيش المصرى الانجليزى السلوم . وفى اكتوبر ونوفمبر ١٩١٦ تم استرداد الواحات الداخلة والبحرية والفرافرة ، كما تم استرداد واحة سيوة فى فبراير ١٩١٧ ، وبذلك انتهت حملة السنوسى .

(انظر : الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ١ ص ٢٩) .

(٧١) يقصد أن الإنجليز ربما تصوروا أن الحكومة المصرية تنتهز فرصة حملة السنوسى على مصر ، وضعف موقفهم لمساومتهم . وقد كانت هذه فكرة عدلى باشا بالفعل ، كما هو واضح مما أورده سعد زغلول ، ولكن سعد زغلول كان يرى أن المفاتحة تكون من الجانب الشعبى ، وهو ما استحسنه عدلى باشا ، ولكن : كيف ؟ .

ولكن نفسى حدثتنى أن أعود بعد العشاء ، فعدت فى الساعة العاشرة ، ومكثت إلى الساعة ٤ ، فخسرت جميع المبلغ وفوقه سبعة جنيهات ! فلمت نفسى كثيرا ، وعزمت أن لا أعود . وعلى الله الإتكال .

فى ٢٩ مايو

لا أزال أتردد بين الرغبة فى اللعب ، والرغبة عنه ! يميل بى إليه الكسب ، ويزهدنى فيه الخسارة . ولا أكاد أعدل عنه حتى أرغب فيه . وأبيت ليلة الخسارة ، وأصبح صباحها ناقماً على نفسى ميلها ، نادماً على ما فعلت ندماً شديدا ، وأشعر من نفسى شعورا حقيقيا بالنفور من اللعب واللاعبين ومكان الإجتماع .

ولكن كلما اقترب ميعاد النادى ، كلما خف الندم ، إلى أن ينعكس الحال ، فأميل إلى النادى ، تدفعنى شهوة قوية ، ويمنعنى عقل ضعيف . وينتهى الحال بأن تتغلب عليه ، وما أشعر إلا وأنا وسط اللاعبين !

ولقد سافرت فى أثناء هذه المدة وعدت ، وما كنت أفتكر اللعب فى السفر ، ولكنى أتحراه فى الحضر . وفى آخر مرة أكدت العزيمة ، عندما عدت ، على عدم العودة إليه . وعولت على أن أتركه فى البيت ولا أذهب إلى النادى إلا وقت العشاء ، [ص ١٣٩٣] ونفذت ذلك ، ولكنى بمجرد أن وصلت إليه ، ودعيت إلى اللعب ، لبيت ، وجلست أنتظر بعد الأكل إجتماع اللاعبين ، ومكثت إلى الساعة ٢ إثنين ونصف ! وقد خسرت ثم عوضت ما خسرت ، وكسبت فوقه أربعين جنيه . ولم أجد فى نفسى اليوم ندامة على السهر . وأشعر أن عاطفة اللعب تقوت ، ولكنى أحاول إضعافها . ولا أدرى إن كنت أصل إلى مرادى ؟ وعلى الله الإتكال !

إن عجزى عن الإقلاع عن هذا الميل الشرير ، مع كل ما أخذت نفسى به ، دليل على قلة تأثير الموعظة عند تحكم الشهوات . وما أعجبنى

أكثر من قول المنفلوطى فى النظرات : إن الفاضل هو الذى يغلب عقله هواه ، فلا يأتى ما يشتهيه من المحرمات .

رأيت لطفى السيد يحضر الإحتفال بالمقتطف ، ويتغنى بثبات أربابه ، وفضل أصحابه . ويقف فى مدرسة الأميركان ، يعدد أفضالها على بنى الإنسان . ويخطب فى حضور السلطان بأنه يملك الناس ! ورأيت صديقه عبد العزيز بيك فهمى يخطب فى المنوفية أمام السلطان ، بأن الأمة رَقَت أعلى درجات الكمال فى عهده ! ويغرق فى مدحه حتى يكاد يجعله الأسمى[٨٥] .

فى ٢٩ أيضا .

تغديت اليوم فى الكلوب ، ودخل علىَّ مستر بوند ، فأكل معى على مائدة واحدة . وأبديت له أسفى من فراقه ، ولمت على حكومته [ص١٣٩٤] عدم حرصها على مثله من الذين خبروا البلاد ، وعرفوا لغتها وعوائدها . فواعدنى على اللقاء[٨٦] قبل رحيله .

وعند غسل الأيدى بعد الطعام ، سألنى عبده الخادم عما إذا كنت مسافرا الريف اليوم ؟ فقلت : سأسافر ! ولم السؤال ؟ ألك ديون ؟ فضحك ، ثم اقترب هو وبشير[٨٧] منى وقالا ما معناه : يشق علينا أن نراك تلعب مع اللاعبين ، فتضيع عليك الصحة والمال ، وما أنت بمحتاج إلى أن تسير مثل هؤلاء . إن طوب الأرض يعرفك ، ويتأسف على هذه الحالة منك !

فأثرت هذه المقالة عندى تأثيرا شديداً ، وقلت : والله إن هؤلاء

---

(٨٥) قراءة تقريبية .

(٨٦) قراءة اجتهادية مستقاة من السياق ، وقد تقرأ : الزيارة .

(٨٧) قراءة تقريبية .

لأعقل منك[٨٨] . ولئن لم ترعو[٨٩] بعد هذا النصح ، الصاعد من الأسفل إلى الأعلى ، لكنت أخسر الخاسرين ، ولحقت عليك اللعنة إلى يوم الدين !

فى يوم أول يونيو

قالت حرمى : إنها رأت فى المنام أخى كأنه شمعة ، لا أثر لحمرة الدم فى وجهه . فقال لها : أنظرى كيف امتص اللعب دمى ! إمنعى أخى منه ، ولا تتركيه يصير إلى ما حدث لى[٩٠] !

فتأثرت أيضا لذلك ، وقوّى هذا عزمى على الترك .

وحلمت كأنى سائر فى طريق ، وقد ألقيت حملا ثقيلا ، وتركته ملقاً ، وعدت لأدرك قطارا مسافرا من المنيا ، فعدوت حتى أدكرت القطار ، ونزلت فى إحدى [ص ١٣٩٥] عرباته ، التى كانت على شكل غير مألوف . وتنبهت ــ أثناء عدوى ــ إلى الحمل الملقى ، فقلت : إنى تعمدت تركه !

وفسرت ذلك بأنى سأنقذ من هذه الورطة .

ولكنى ــ مع ذلك ــ حضرت إلى مصر ، وما رأيتهم يلعبون حتى لعبت ، وخسرت ١٥٠ جنيه ! وندمت ، وعزمت على أن لا أعود .

وإلى الآن ــ ٤ يونيو ــ لم أجد من نفسى ميلا .

ذهبت إلى النادى نحو الغروب مع صدقى ، وقابلنى مدحت ، وقال : إن القوم يريدون أن يلعبوا فوق ! فقلت : ذلك شأنهم ، إنى الليلة غير حر .

(٨٨) هذه قمة مأساة سعد زغلول ! ولكنها توضح مكانته الشعبية .
(٨٩) فى الأصل : « ترغوى » .
(٩٠) فى الأصل : « إليه » .

ثم أردت أن أغسل يدى استعدادا للعشاء ، فدنى منى عبده ، وقال : لا تصغ لقول مدحت ، واجلس مع عبد الرحيم هنيهة ، وروِّح ، ولا تقعد معهم ! فقلت : الحق معك !

ورأيت الليلة مناما ، اختلط الأمر علىَّ فى تفصيل وقائعه ، ولكن أحس منه أنى كنت فى محفل حاشد ، كان فيه الدمرادش ، وكان يقول : إن السلطان يقول إلى فلان (علىّ !) فى لعبه[٩١] . وأنى كنت خجلا جدا من هذا الحديث .

كل هذا يلزم أن يصدنى عن هذا السبيل .

[ص ١٣٩٦]

يوم الأربع ٦ يونيه سنة ٩١٦

نعت التلغرافات غرق اللورد كتشنر ، يوم الاثنين ٤ يونيو ، عندما كان متوجها نحو روسية بمركب حربى ، صادف لغماً ، أو نسفه طوربيد غواصة ألمانية فى المياه الإنكليزية . وغرق معه أركان حربه ، وسكرتيره ، وغيرهم من حاشيته . وقد أحزن غرقه الحكومة الإنكليزية والأمة ، كما اغتم عليه كثير من الناس الذين يعرفونه فى البلاد الأخرى .

وقد كنت بعزبة مسجد وصيف فى يوم الخميس ٧ يونيو ، ووردت الجرائد والأهرام فيها من نسختين ، وفيه صورة الفقيد ، ونبذه من تاريخ حياته . فقرأتها ، وما فهمت سبب طبع الصورة ، ولا إيراد التاريخ : ثم نظرت فى صحيفة أخرى خبر الغرق .

فما حزنت ، ولا سررت ، ولكن أخذنى شىء من الاستغراب !

---

(٩١) يقصد أن السلطان كان يتكلم عنه وعن لعبه .

وكان فتح الله باشا بركات حاضرا ، فانصرف على غير عودة .

في يوم ٣٠ ديسمبر

حضرت اليوم من مسجد وصيف فى الإكسبريس الأول ، بعد أن بت فى العزبة ليلتين ، وذلك لأحضر جلسة الجامعة . فوجدتها تأخرت إلى يوم الخميس القادم . وتقرر أن تجتمع الجامعة فى الخميس الأول من كل شهر – كما بُلِّغت ذلك بالتليفون .

ورأيت الناس يشكون من كون مديرية الغربية كلفت العمد أن يقبضوا على الناس ، ويسفروهم إلى القناة .

وتوجهت إلى رشدى ، وأخبرته بذلك ، فوعدنى أن ينظر فى المسئلة بما يمنع الشكوى . وأخبرت عدلى فى الكلوب بها .

ووعد الهلباوى أن يحضر عندى ، فى العزبة ، يوم الجمعة القادم ٧ يناير سنة ٩١٦ ، على شرط أن يسبقه ، أو يلحقه ، أو يصحبه أحد من الإخوان . وتضرر صدقى – كعادته – ولا أدرى السبب فى هذا التضرر !

فى ٣١ ديسمبر

تلقيت أمس كتابا بأن كبير الأمناء يدعونى إلى المثول بين يدى عظمة السلطان [ص ١٣٨٩] غدا أول يناير سنة ٩١٦ . وكنت على عزم التوجه إلى عابدين اليوم ، فعدلت عنه إلى غد .

٢٢٣٠

حضرت أمس جنازة يعقوب بيك صبرى ، وجاملت بالزيارة فى المساء . ولم يحدث اليوم ما يستحق الإثبات ، غير أنى انتظرت وصول الحرم فى الساعة ١ ، فلم تحضر . ولعلّ الإكسبريس الثانى فاتها ، ولعلها تأتى مع ما بعده . وأخرت الغدا حتى يتكشف الأمر ، الذى أرجو أن يكون خيرا .

سحبت اليوم من البنك الأهلى مبلغ ١٢٠ جنيه بحواله على ورق عادى ، لأنى تركت فى العزبة دفتر التحاويل .

نبهت على سعيد أن يضع ميزانية شهرية للمنزل ، ويعرضها علىّ ، وأن يلاحظ المُصرف فى المنزل .

أرى الناس فى حيرة ، لا يدرون من أمرهم شيئا ، ولا يملكون لأنفسهم (. . .)(٨٣) .

<u>فى أول يناير سنة ١٩١٦</u>

قابلت عظمته ، وطالت الجلسة ساعة . ودار الحديث فيها على موضوعات شتى ـ كالعادة ـ وفهمت منه أنه تقرر منع تصدير البيض ، وأن الإباحة كانت لأجل عيد الميلاد . وأن مدرسة القضاء ستكون تابعة للحقانية . وأنه غير راضٍ تمام الرضا عن رشدى ، وأنه تقرر قبول السبعة عشر تلميذا ، المطرودين من مدرسة الحقوق ، فى الإمتحان ، ما عدا إثنين . وقال ذلك عندما رجوته فى شأنهم . وأنه أمر بالقبض على تلميذين من مدرسة الطب ، لم يقابلاه فى الطريق بالتعظيم اللائق . وإنه شديد الغضب على المفتش الذى رفته من إيتاى البارود . وبعد ذلك انصرفت .

---

(٨٣) لم يكمل سعد زغلول العبارة .

[ص ١٣٩٠]

فى ٣ يناير سنة ١٩١٦

ذهبت أمس إلى نادى محمد على ، ووجدت نفسى متشوقة إلى لعب لورق ، فلعبت مع البرنس فؤاد ، وقطاوى ، وليڤى ، ومحمود صديق بارتيتة صغيرة ، وخسرت ٣٧٥ جنيه ! فندمت على ما فعلت ، وعزمت أن لا أعود أبداً .

وشعرت من نفس اليوم آخر النهار ، الميل إلى الذهاب إلى النادى ، فزجرتها عنه .

حضرت إمرأة الباجورى ، وعرضتُ عليها أن تأخذ الباقى وهو ٢٠٠ جنيه تقريبا ، وأنه الذى(٨٤) يزرع الأطيان ، ولكن لا دخل لى فى ذلك .

فى يوم ٣١ مارث سنة ٩١٦

تلك الندامة لم تفد ، ولم تنفع ! ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض ، فإنى لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسى من التردد على النادى ، ومن اللعب . وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود ! وخسرت فيه مبلغاً طائلاً لغاية ليلة ٣١ مارث .

وما كنت أصغى لنصائح زوجتى ، ولا أرق لتألمها من حالتى ، ولا أرعوى من نفسى . وما كنت أجد ، عندما أفتش عن السبب الدافع لى ، إلا حُب المال ، لا الميل إلى اللهو ، ولا محبة الإجتماع بإخوان ، لأن اللاعبين لم يكونوا من إخوانى ، ولا ممن تميل نفسى إلى معاشرتهم والأنس بهم .

---

(٨٤) قراءة تقريبية .

وقد لمت نفسي كثيراً ، وزجرتها طويلاً ، وجددت العزيمة على الإقلاع عن هذه الخطة الذميمة . ورأيت أن عقوبة الله عادلة ، وأن أحسن ما يجازى الطامع [ص ١٣٩١] أن يذهب منه مثل ما طمع فيه ، أو أزيد . إن هذه حكمة بالغة لمن تدبر . وقد تدبرتها ، وتفكرت فيها ، وعزمت على أن أعصم نفسي فلا أقع فيها . ولعنة الله على من يُخلف وعده ، وينقض عهده . وسلام عل الموفين بعهدهم الراجعين إلى ربهم ، القانعين بالقليل .

كتبت هذا فى الساعة العاشرة من صبيحة اليوم . ولكن بعد أن تغديت ، شعرت بخاطر مر بى يستميلنى إلى اللعب ، علّى أكسب شيئا يعوض ما فات ! فطردت هذا الخاطر ، ونمت . فعاودنى بشدة عند يقظتى فى الساعة ٤ ، ورأيت فؤادى يخفق ، وأحسست بضيق فى الصدر ، ناتج ــ فيما أظن ــ عن حرب بين ما يدفعنى إل اللعب ، وما يمنعنى عنه . ويصحب هذا الضيق حرارة .

فكتبت هذا بعدما قرأت ، ولطّفت القراءة بعض الشيء من تلك الحرارة ، وشعرت بتغلب العقل على الهوى . ولكنى سأتوجه إلى النادى لمقابلة عبد الرحيم باشا ، وأخشى جدا أن ينعكس الحال ! ولكن على الله الإتكال !

فى يوم ٣ أفريل

ذهبت اليوم إلى النادى ، فى نحو الساعة سبعة ونصف مساء ، ولعبت لعبا صغيرا ، خسرت فيه ٢٤ جنيه ! فضقت جدا من عودتى ، [ص ١٣٩٢] ولعنت نفسى المقامرة ، وحملت المبلغ فى اليوم التالى ، وذهبت إلى النادى ، ورأيتهم يلعبون اللعب الكبير ، فقلت فى نفسى : جرب ! فجربت ، ونجحت نجاحا عظيماً ، وكسبت مبلغ ١٨٣ جنيه ، وعدت فى الساعة التاسعة جزلاً .

ورأيت أن الإنكليز ، وإن أكبروا الإغراق ، من حيث كونه فعل عدوهم ، لا يتأثرون بموت كتشنر ، لأنه لم يكن ــ فى آخر الأمر ــ مهما عند عقلائهم ، ورأوا له غلطات كثيرة حتى أدت الحال إلى تجريده من كثير من الأعمال فى نظارة الحربية .

ويلوح لى أن الأمة المصرية لم تحزن عليه ، إن لم تكن فرحت بغرقه ! شأنها مع كل حادثة تغضب الإنكليز ، وتسر أعداءهم . نعم إن البعض أظهروا الحزن والأسى ، ولكن هذا قليل ، وفيه شيء من النفاق ــ على الأقل بالنسبة للمنتخبين(٩١م) منهم .[**ص ١٣٩٧**] ويؤكد ذلك ما صدر من الشيخ الدمرداش ، حيث أرسل إلى مظلوم باشا تلغرافا فى اسكندرية ، بالأصالة عن نفسه ، والنيابة عن لفيف من أعضاء الجمعية التشريعية ، يدعو فيه (. . .)(٩٢) لإرسال تلغراف ، بالنيابة عن الجمعية ، بالتعزية . ونشر هذا الطلب فى الجرائد !!

ولقد ذهبت مع شعورى فى هذه الحادثة ، كما فى غيرها ، فلم أظهر لا فرحا ولا أسفا ! والواقع أن العقل يقضى بأن يكون الإنسان بحيث لا يحزن لفوات مرغوب ، ولا يفرح لنوال مطلوب . وعلى الأخص لا ينبغى له أن يتأثر بالحوادث التى كل انسان محكوم عليه بأن يلاقيها إن عاجلا وإن آجلا .

أعلن رسميا أنه يحتفل بالصلاة على كتشنر فى قشلاق قصر النيل ، يوم الثلاث ١٣ يونيو ، الساعة ستة مساء . وأن كل من أراد ، فله أن يطلب تذكرة دخول : إن كان موظفا ، فمن الوزارة التابع لها ، وإن لا فمن المحافظة . وأن الصلاة مباحة حتى لسكان الأقاليم .

(٩١م) قراءة اجتهادية .

(٩٢) الكلمة غير مقروءة .

ولكن المديرين نبهوا على الأعيان بالذهاب ، وسلموهم التذاكر . وكذلك أرسلت محافظة مصر لكثير من الأعيان والوجوه تذاكر .

وكان الحر شديدا ، ونظام استقبال المصلين مختلا ، والمحل متربا ، والعفار ثائرا . وانتشر ، وقت الصلاة ، على الناس نوع من الهاموش ، ضايقهم مع الحر الشديد . ووقف المصلون ساعة على أقدامهم ، وكانوا من كل الطبقات . [١٣٩٨]

وحضر من العلماء الشيخ بخيت ، ثم الشيخ البكرى ، والشيخ الدمرداش ، ووقفوا مع اثنين من العلماء خلف القس . وكان لشهودهم هذه الصلاة ، ووقوفهم فيها على تلك الصورة ، وقع سيء فى نفوس أغلب الناس . وكان بعض المسيحيين يستلفت نظرى ونظر غيرى اليهم !

ويخيل لى أن هذا الإحتفال كان أفخم وأعم وأشمل من الإحتفال للصلاة على الملك إدوارد السابع ! وأنشأ الإنكليز صيغة يتأسون بها عن فقده ، فقالوا : إنه كان رجلا كبيرا قد أتم عمله ثم ذهب إلى جوار ربه !

فى ٢٠ يونيو

حضرت اليوم إلى مصر فى قطار الصباح . وبينما أنا سائر على شريط السكة الحديد ، ذاهباً من محطة الدلتا إلى محطة بنها ، سقطت[٩٣] ولا أدرى كيف وقعت ، وقمت لا أقدر على المشى إلا بصعوبة على رجلى اليمنى . والحمد لله لم يصب العظم بشيء ، ولكن عضلات الرمانة تأثرت جدا ، وآلمتنى ، ولا تزال إلى الآن تؤلمنى .

أخذ الناس ينسون كتشنر ، ويتركون التوسل بالتمدح به لقضاء

(٩٣) فى الأصل : « قد سقطت » وقد حذفنا « قد » لزيادتها .

حوائجهم . وقد نقل إلىّ ثقة أن السلطان فرح بموته ، لأنه كان ينازعه شارات المُلْك ، ويقف حجر عثرة فى سبيله .

[ص ١٣٩٩]

وقد اقترح بعض المنافقين إقامة تمثال له ! وحبّذ الإقتراح قلينى باشا ، وقبطى آخر . وإقترح اسكيس(٩٤) رئيس وزارة الإنكليز إقامة تذكار له ، لأنه عمل مع كرومر على تحرير مصر ! وخدم دولته خدمات جليلة .

قرأت فى بعض جرائد الأسبوع الماضى ، أن باشكاتب مديرية المنيا نقل لمثل وظيفته فى مديرية جرجا . وهو قبطى . فاحتفل فى المحطة به خلق كثير ، وفى مقدمتهم المدير ، ووكيله ، والحكمدار ، والقاضى الشرعى ، والأهلى ، ووكيل النيابة ، وكثير من الموظفين والأعيان .

إعتزل «بوند» خدمة الحكومة المصرية ، فاحتفل به قضاة الإستئناف ، والمحامون ، وقدموا له هدايا ثمينة ، وامتدحوه فى كتب رفعوها إليه امتداحا لم يبدوه لغيره ! ولم يتنازل ــ مع ذلك ــ لزيارتهم ، بل أرسل سكرتيره إلى كل منهم ورقة زيارة(٩٥) وشيعه أغلبهم ــ مع ذلك للمحطة .

وإعتزل كذلك ميكليرث ، المستشار بالحقانية ، فخصه قضاة الإستئناف المختلطة بكتاب شكر ، وأدب له ناظر الحقانية فى إسكندرية مأدبة دعى إليها الوزراء وبعض موظفى الحقانية ورجال القضاء . وأثنى

---

(٩٤) يقصد Asquith, Herbert Henery, 1'st Earl of Oxford and asquith. وكان رئيس وزراء بريطانيا من ١٩٠٨ ــ ١٩١٦ .

(٩٥) أى بطّاقة .

عليه فى خطبة وداعه ثناء جميلا . فشكره على ذلك ، وأقام له وكيل الحقانية حفلة شاى ، دعى إليها بعض رجال القضاء . ولم يشترك المحامون فى شىء له .

[ص ١٤٠٠]

وقد رأيته صدفة يوم توديع مكماهون إلى إسكندرية ، وأبديت له أسفى . ولكنى لم أره بعد ذلك ، وحاولت أن أراه ، فلم تسمح الظروف إلا يوم ٢٧ الجارى ، حيث قَدِمْتُ مصرَ خصيصا لهذه الغاية ، فذهبت إليه مع شكرى باشا حاملا له صورتى ، وقد كان طلبها قبل اعتزالى ، وتقبلها شاكرا . وبعد تبادل العبارات المألوفة فى هذه الحالة ، انصرفت . وودعته فى المحطة ، وكان بها خلق كثير نوعاً ، من الموظفين الأهلين.وكان ذلك أمس يوم ٢٩ يونيو .

أخبرنى عاطف أن عظمة السلطان قال فى حديث له مع أخيه : إن وقتى قد جاء ! وأضاف عاطف : إنه يريد أن يُكَوِن حزباً من الأمة ، فإنه قد تقبل المراقب(٩٥م) وشركاءه بالبشاشة والهشاشة ، وقال لهم : أنتم أولادى ، وأنا أبوكم ! ولكنى لم أفهم جيداً كيف أنه يريد تأليف حزب ؛ وكيف أن هذا الكلام يدل على ذلك ؟

وأرى أن ذلك إن كان صحيحا ، لا خير فيه . لأن كل مقاومة داخلية للحماية فى مصر لا يترتب عليها إلا أسوأ النتائج . فإن كان المراد بتأليف الحزب أن يلتف الناس حوله ، ويؤمنوا به وبما ينزل من الحكومة ، فذلك لا حاجة إليه ، لأنى أحس بأن روح المعارضة قد انطفأت الآن . والله أعلم !

(٩٥م) قراءة تقريبية .

[ص ١٤٠١]

ألِفت عيشة العزلة ، ولا أبتغى عنها حولا . وصارت تؤذينى الإجتماعات ، لأنى قل ما أصادف فيها كلمة أرتاح إليها ، أو عبارة خالية من الدلالة على ضعف أخلاقنا ، أو رجلاً تركن النفس إلى قوله أو تعتد بعمله .

ولقد كثر تبجح الكثير منا بذمنا ، والطعن فينا ، وتشهير معارضينا[٩٦] ، مجاراةً للطامعين فينا ، ونفاقاً لهم ، وتقرباً منهم ، لا لغرض إصلاح ما فسد من أخلاقنا ، وتنظيم ما اختل من أمورنا . وأغلب ما يقولونه فينا حق ، ولكن يراد به الباطل ! فاللهم احفظنا من شرهم ، واعصمنا من خطئهم[٩٧] وباعد بيننا وبين أوساطهم آمين .

فى ٨ يوليو

توجهت إلى[٩٨] الإسكندرية فى يوم ٣٠ يونيو ، لتهنئة عظمة السلطان بحلول شهر رمضان . ومكثت بها لغاية يوم الثلاث ٤ منه . وترددت على نادى محمد على كل ليلة ، وكانت النتيجة حسنة أحمد الله عليها ، وأرجو أن يوفقنى للإحتفاظ بها[٩٩] .

وقد قابلنى عظمته يوم الجمعة بغاية الهشاشة ، وأشار ــ فى عرض كلامه ــ إلى وجوب النصر . ورأيته ــ كما ظننت ــ غير متأثر لموت كتشنر ، وغير راض عن الداعين إلى إحياء ذكره . وسمعت منه أن مديرا

---

(٩٦) يقصد : مايقوم به المعارضون من التشهير .
(٩٧) فى الأصل : « خطأهم » .
(٩٨) أضفنا « إلى » .
(٩٩) يقصد أنه لم يلعب القمار .

إمتدح له سعيد ! ــ وأخبرنى عدلى أنه محمود نصرت ــ وزين له تغيير رشدى به ! فسفهت قول ذلك الدنس .

[ص ١٤٠٢]

فى يوم ٢٨ يوليو

لم أحتفظ بالنتيجة الحسنة التى وصلت إليها ، لأنى ذهبت إلى إسكندرية يوم الأحد ٩ منه ، ومكثت بها إلى يوم السبت ١٥ منه . فأضعت كل ما كسبت ، وفوقه مبلغاً عظيماً !

وبعد أن عدت إلى العزبة ، ذهبت إلى مصر فى يوم الثلاث ١٨ منه ، وزادت الخسارة . فقفلت راجعاً وندمت كل الندم .

وسأعود غدا حاملاً مبلغ الخسارة إلى ذويه ، وكلى حسرة . وأدعو الله أن يوفقنى إلى ما فيه خيرى وخلاصى .

حضر عندى محمد حتاتة فى يوم الأحد ٢٣ منه ، وأخبرنى أن عاطف سمع من السلطان كلاماً ، ويريد أن يلقيه إليك . فوقع فى نفسى فورا أن هذا الكلام يختص باللعب . فقلت لمحمد بيك : إن كان فى هذا الكلام ما يهم ، فلا بأس أن يمر بى عاطف .

فحضر يوم الإثنين مساء ، وقال لى : إن عظمة السلطان يقول إن فلانا(١٠٠) كسب مبلغا من مصر ، وأضاعه فى إسكندرية على بعض الأروام . وإن هذا معطل لما أدبره له مع عدلى ورشدى . فقال له : إذا رأيت أن تدعوه لتكلمه فى هذا الشأن كان خيراً ! قال : إنى سأحدثه فى ذلك عند حضوره فى العيد .

---

(١٠٠) يقصد : « سعد زغلول » .

[ص ١٤٠٣]

فقلت : إن له وجها في ذلك[١٠١] ، ولكن ما غرضه من إخبارك ، بعد أن أخذ عليك الأيمان ، بأن لا تبوح لأحد بما قال ؟ قال : لا أدرى !

وبعد أن مكث ليلتين عندنا ، ذهب إلى ناحيته . وطلبت منه أن يسلفنى مبلغ ثمانمائة جنيه ! فأجاب : بكل إرتياح . وسرنى منه هذا الإقبال ، ومحى كل ما أوجدته هفواته السابقة من قلبى ، وكتب تحويلا بمبلغ ٣٠٠ جنيه ، ثم إستكتب أخاه آخر[١٠٢] بمبلغ ٥٠٠ جنيه . وأخذ معه رسولا من عندى ، تسلم الأخير وعاد به ، ويتضمن مبلغ الإثنين اليوم .

وافتكرت أن أقترض من البنك العقارى مبلغ ٢٠٠٠ جنيه ، لمدة خمسين سنة ، يَقْرُبْ[١٠٣] القسط كل سنة من مائة و٢٨ ــ ١٢٨ جنيه ــ وبناء على ذلك يكون حالى حسنا جدا . فعرضت هذه الفكرة على البنك ، فقال من كلمته ممن يتولى أموره ــ ولا أعرف اسمه لأنى لم أجد مسيو مرلى الذى أعرفه ــ : سأكلم موسيو مرلى ، وأكتب لك غدا ! قلت : وإن لم يقبل ذلك فإنى مستعد لدفع القسط عما يقبله[١٠٤] ، ووضع[١٠٥] هذا جوابا على خطاب البنك . فقبل ذلك ، وانصرفت .

(١٠١) أى : له حق .
(١٠٢) قراءة تقريبية .
(١٠٣) قراءة تقريبية .
(١٠٤) قراءة تقريبية .
(١٠٥) قراءة تقريبية . والفقرة كلها مكتوبة بخط مضطرب جدا بسبب اضطراب سعد زغلول وحالته النفسية .

[ص ١٤٠٤]

ومما دار بخلدى أن أقصد فيه عظمته[١٠٦] ، إذا فاتحنى فيما فاتح عاطف به ، بأن أقول له : إن الضرورة هى التى ألجأتنى إلى هذه الرذيلة ، فإذا شئت إنقاذى منها ، تفضلت بتسليفى ذلك المبلغ ، ولعنة الله علىَّ إن عدت إلى مائدة اللعب . فإن تعطف وأحظى أسرق بهذا الإحسان ، وفيته حقه فى أقرب زمان .

في يوم أول أوغسطس سنة ٩١٦

فى ليلة ٣٠ رمضان ، وأنا على سرير النوم اتفكر فى حالتى المالية ، وعسرها ، خطر ببالى أن أعمل شيئا أكسب منه ما ييسرها . وكنت علمت أن مدة حسن صبرى فى الأوقاف قاربت الإنتهاء ، وأنه بعد أن أخذت مسئلة استعفائه تتردد بين الإيجاب والسلب ، تقرر عدم التجديد . فقلت : ما الذى يكون ، إذا عرضت نفسى لها ، بشرط أن تعلو مكانتها .

وفى يوم العيد ، ركبت مع رشدى باشا للتعييد . وجرى ذكر صبرى ، فقلت له : هل ترى من المناسب لى أن أكون فى هذا المركز بمكافأة[١٠٧] أعلى ؟ قال : إن ذلك خيرا للأوقاف ، ولكننا ندخرك لمركز سياسى ، أو قضائى عند تنفيذ نظام القضاء الجديد . ثم قال : ولكن ذلك لا يمنع من هذا ، وسأفعل ذلك . قلت تفكر فى الأمر جيداً بصفة صديق لى ، من جهة ، ورئيس للحكومة من جهة أخرى . قال : كذلك .

(١٠٦) أى : يلتمس من عظمته .

(١٠٧) فى الأصل : « بمكافئة » .

وما أخبرت بعد ذلك بالأمر أحداً ! والمكافأة[١٠٨] إذا كانت حوالى ألفى جنيه فى السنة ، فلا بأس بالوظيفة ، لأنها عمل علمى ولا رئاسة فيه ، ومن الصناعة التى كنت استعملها للإجابة برأى له ثقة[١٠٩] بالقضاء والمحامين .

ولا أجد فى نفسى — مع ذلك — ميلا شديدا ، ولكنى أشعر بأنها ، إن تمت ، فلا بأس بها ، وإلا فحالتى ، بعد إنتهاء السلفة التى شرعت فيها ، حالة يُسْر — خصوصا إذا حزمت رأيى ، وتركت القرب من مواقع اللعب . وإنى فاعل ذلك بمشيئة الله .

[ص ١٤٠٥]

أخبرنى مدحت بأن السلطان إستتابه عن اللعب ، فتاب . وقال لى : إنه لا يهمنى غيرك وأخى ، فإن أقلعت عن هذه العادة أصبت خيرا كثيرا .

وقد ذكر لى عدلى أمس ، ما يفيد أن فى النية تعيينه فى إحدى وظائف المعية . وذكر لى هو أن فى نية عظمته تزوجه من إبنة كاظم[١٠٩م] ، وإنه يشعر بأن ليس فى ذلك خير له .

حظيت بمقابلة عظمة السلطان يوم الوقفة . وما لبث حتى حضر رشدى ، فجلس معنا نحو ثلث ساعة ، جرى فيها كلام عمومى . ثم قال لى عظمته : إنى أود أن أراك بعد باكر فى الساعة ١١ .

فعدت إلى مصر لحضور جنازة بهية خانم ، كريمة فخرى باشا ، ثم

(١٠٨) فى الأصل : « والمكافئة » .

(١٠٩) قراءة تقريبية .

(١٠٩م) قراءة ترجيحية .

رجعت إلى الإسكندرية فى الميعاد .

وتغذّيت على المائدة السلطانية ، وجلست بعد الغدا نحو ساعة ولم يأت ذكر اللعب ، لا تلويحا ولا تصريحا . وتحدث فى موضوعات شتى : أولها ، وأهمها ، حكاية بنت أخيه فؤاد مع حفيد فخرى ، حيث ترغب التزوج به ، وتقول : إنها لا تقبل سواه ، وهو قدم عريضة بالخطبة ، فرفضت، وكلف أخوه بأن يقول له أن يعدل عن ذلك . والموضوعات الباقية لا جديد فيها، ولكنها عبارات شتى يجمعها العجز عن فعل ما فيه خير عام !

أحمد الله تعالى على أنى أشعر بشفاء من مرض اللعب ، وقناعة بما فى اليد . والله يوفقنى إلى ما يرضاه ، ويبعد عنى وساوس الهوى ، ويجنبنى مواقع الردى !

فى يوم ١٤ أوغسطس

سافرت أمس صباحا إلى إسكندرية ، وقابلت رشدى تواً ، فألححت عليه فى مسئلة تعيين حتاتة بيك عمدة . فأجاب : نعم سأفعل ذلك . ثم قلت : إنى ذاهب إلى السفر . قال : هل رأيت عدلى ؟ قلت : سأراه الآن . قال : كذلك .

فرأيت عدلى ، وكنت كتبت إليه أرجوه فى إبن صدقى — على — الذى سقط فى إمتحان اللغة العربية شفهيا ، بعد أن نجح نجاحا عظيما فى الكتابى . فأبدى أسفه على عدم إمكانه فعل شىء .

ثم تكلمت معه فى مسئلة مفتش معارف قنا ، ومسئلة الصاوى ، ووالى ، فوعد خيراً .

ثم قال ، بعد أن ذكرت له مقابلة رشدى ، إنى أجد فى نفسى اشمئزازا [ص ١٤٠٦] من وظيفة صبرى ، ولا أرضاها لك بصفة

صديق .

قلت : إنى عرضتها على رشدى بصفة صديق لأخذ رأيه ، فاستحسن ! ولم يستميلنى إليها إلا لأنها وظيفة فنية ولا عيب فى الإشتغال بها لأنه كان يمكن أن أكون محامياً للأفراد ـ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المكافأة(١١٠) إذا عظمت ساعدت نوعاً على الحال !

قال : ولكنك لم تفعل(١١١) إلى الآن ! وأجدك أكبر من ذلك !
قلت : كذلك ، فقد تخليت عنها !

وعدت فى « المفتخر »(١١٢) إلى مصر ، مارا بعزبة دمنهور ، حيث لبثت فيها ثلاث ساعات ، صحبنى فيها خليفة محمود ، ولم يحدث فى نفسى أثراً حسنا منه ، بل استثقلته رغماً عن إجتهاده فى ملاطفتى ، وعرض خدماته(١١٣) علىَّ . ولم أجد الكاتب اللاحظ ، ولا المخزنجى .

ووجدت أن الدودة قد أضرت بالقطن كثيراً ، وهى أنواع شتى : دودة الورق ، واللوز وغيرهما . ووجدت أنفاراً(١١٤) من الأطفال مشتغلين بجمع دود الورق ، فلم أستحسن ذلك ، ولكنى لم أنبه تنبيها صريحا بإبطال النقاوة . وعدت غير مسرور من العمل والعمال ، والزرع والزراع .

ولكن يسرنى جداً أن أشعر من نفسى نفورا من اللعب واللاعبين . وأحمد الله على ذلك كثيراً ، وأدعوه أن يديم علىَّ هذا الشعور ، وأن يقينى

(١١٠) فى الأصل : « المكافئة » .
(١١١) أى : لم تعمل محاميا .
(١١٢) يقصد القطار السريع .
(١١٣) فى الأصل : « خداماته » .
(١١٤) فى الأصل : « أنفار » .

شر هزال النفس ، لأنه أصل كل الشرور ، وطمعها ، لأن الطمع مصرع الأبطال .

قرأت أول أمس فى الجرائد أن عبد العزيز بيك فهمى قابل السلطان . فسبق إلى خاطرى أن لتلك المقابلة علاقة بمسئلة صبرى ، وكاد يتأكد هذا الخاطر بعدمقابلتى لعدلى ، ومكاشفتى بهذا الإشمئزاز . وأخذت من ذلك أنه ربما حصل كلام مع السلطان فى هذه المسئلة ، ولم تتفق الآراء على أمرى فيها ، وتكفل عدلى بإرجاعى عنها بهذا الشكل اللطيف .

وسواء كان ذلك حقيقيا ، أو غير حقيقى ، فإنى — كما قلت أولا — غير مهتم بها كثيرا ، فلا تأثير لعدم تمامها ، [ص ١٤٠٧] ولكن الأهمية تكون بسبب عدم إتمامه ! فإن كان كما قال عدلى ، فهو موجب للسرور ، وإن كان لمعارضة من ولاة الأمور ، فإنه يحملنى على زيادة الرضا بما أنا فيه ، والسرور من عزلتى عن الناس ، وبعدى عن(١١٥) مواطن الذِلّة والإمتهان .

فى ١٨ أوغسطس

عدت من العزبة أول أمس لحضور جنازة والدة السلطان . وحضر لهذه الغاية خلق كثير من المدن والأقاليم ، وأغلبهم مأمور بالحضور ! ولم يمش فى الجنازة عليها السلطان ولا مكماهون .

وكان المشهد غايةً فى عدم الإنتظام ، وسار أغلب الأمراء ، وجميع الوزراء ، وعدد كثير من الناس خلف النعش من محطة مصر إلى مدفن العائلة بجوار الإمام الشافعى . ولم يكن المشيعون ، ولا المتفرجون ، إلا جمهوراً هائصاً ، كالجماهير التى تجتمع فى الزفات الخالية من كل ذوق

(١١٥) أضفنا : « عن » .

ونظام . ولا أثر للحزن فى قلوب الناس ، ولا فى وجوههم ، ولا أدرى إلى أى شىء ينسب هذا ؟

ثم سافرت أمس إلى الأسكندرية لقيد إسمى فى دفتر العزاء . ولما دخلت فى قاعة الإستقبال ، وجدت سعيد ذو الفقار أمام مكتبه ، وعلى يمينه صادق رمضان ، وعلى يمينه طلعت باشا ، وعلى يمينه جميل ثابت ، وعلى يمينه عبد الرحيم باشا صبرى ، وعلى يمينه شحاته باشا ياور السلطان . فقاموا وسلموا إلا طلعت ! وكان خلفى محمد يوسف ، فلما اقترب منه ، قام وسلم عليه ! [ص ١٤٠٨]

فلم أحفل بهذا ، وجعلت أتكلم تارةً مع عبد الرحيم ، وأخرى مع سعيد ذو الفقار . وانصرفت مع محمد يوسف ، وقلت له : أريد أن أصنع نكتة فى طلعت(١١٦) بهذه المناسبة ، بأن أبلغ ما حصل منه لرؤسائه ! فإستحسن ذلك .

ولما ذكرت هذه الواقعة لصدقى ، أخذ يدافع عن طلعت ، مبرراً لعمله ، واحتدّ فى الدفاع ! فتأثرت ، ولكنى كظمت الغيظ ، ثم صدقته استخفافاً بشأن الإثنين ، وإقتناعاً بعدم الفائدة من الإستمرار فيه ، وعدلت عما كنت نويت عليه .

فى يوم ٢٢ أوغسطس

عدت إلى مسجد وصيف يوم السبت ١٩ أغسطس(١١٧) ، ومكثت بها إلى اليوم . وكنت جالساً أقرأ الجرائد ، وإذا بالحاج أحمد عثمان ــ تابعى ــ قد دخل على ، وبيده البوستة . فدهشت لقدومه على غير إنتظار ! ثم ناولنى خطاباً من حرمى يُعلمنى بأنها مريضة مرضاً خفيفاً

(١١٦) أى : يعمل مقلبا .
(١١٧) فى الأصل : « أوغسطس » .

ويطلب منى أن لا أقلق . وأخبرنى أحمد بأن المرض إعتراها أمس ، وفتشوا على طبيب فلم يجدوا . وكان بها حرارة صاعدة نوعاً .

فعدت فى القطار الذى يصل إلى مصر الساعة ٥ ، ووجدتها نائمة على السرير ، ولكن حالتها حسنة ، وقد انخفضت الحرارة نوعاً بعد أن بلغت درجة الأربعين . وفهمت من الطبيب أنها نوبة برد وتزول . وامتدحت صدقى وزوجته لأنهما إعتنيا بها إعتناء شديدا .

[ص ١٤٠٩]

وقد هاجت هذه الحادثة فىَّ كثيرا من الأوهام ، وبعثت فى وهمى كثيراً من الخيالات لا أقدر الآن على تصويرها .

مع كونى فى العزبة فريداً تقريبا ، فإن الإقامة بها آنس إلى قلبى من المكان الآهل بالمعارف والأقربين !

فى ٢٤ أوغسطس سنة ٩١٦

ألحت علىّ ــ كتابة ــ بنت صديق لى توفى من زمان ، أن أراها لتبث شكواها . فلبيت نداها وذهبت إليها . فرأيت فتاة فى العشرين من العمر ، سمينة ، ذات عيون سوداء واسعة ، ورموش طوال ، وقد عرَّت صدرها ولبست شبشب فى رجلها ، وجلست بجانبى من غير حياء ولا احتشام ! ومكثت لديها هنيهة ثم انصرفت .

فألحت ثانية ، وثالثة ! فذهبت إليها اليوم ، وما كانت تنتظر قدومى . فرأيتها وقد صبغت خدودها بالأحمر ، وكذلك شفتيها ، وإكتحلت بالسواد ، ولبست شيئا(١١٨) من الحلى يتدلى على خديها كالذوائب .

---

(١١٨) فى الأصل : شيء .

فقرفت من رؤيتها ، وحزنت حزناً شديدا !

وجاءت أختها الأصغر منها ، فرأيتها أقل منها تبهرجاً . وقد كنت قلت لها : أظنك تريدين الخروج ؟ قالت لا ، ولكن خاطباً من طنطا ، فى الجمعية التشريعية ، أرسل يقول : إذا كانت تقبل أن أتزوج بها فإنى حاضر . فقلت : ما إسمه ؟ قالت : لم يقل ، وأبى إظهاره إلا بعد القبول ! قلت : هذا شىء غير معقول ! كيف يُقبل فى الزواج من هو مجهول الاسم الذاتى ولا يعرف بحال من الأحوال ؟ قالت : هكذا أراد . وقد تهيأت للقاء أولئك القادمين من عنده .

[ص ١٤١٠]

لا أدرى ، فإن الدهشة من حالتها حالت بينى وبين تفهم مقالتها .

ثم قالت : وإنى حيرى ، أسير على غير هدى ، ووالدتى تريد الإنفصال منا(١١٩) ، وتبحث عن بيت ، فهل تعرف لنا من منزل ؟ قلت : هذا ليس شغلى ! قالت : وهل لا تريد أن تضمن والدتى فى مبلغ خمسين جنيها ؟ قلت : لا يمكننى . وكانت أجوبتى جافة ، خالية من اللين . وبعد ذلك حضرت أختها . فسألتها عما إذا كانت دخلت المدارس ؟ قالت : إنها كانت فى la Mére de Dieu (١٢٠) من زمان . ثم خرجت .

وانصرفت متأسفاً على هذه العائلة ، وأنا أردد بالفرنساوية : هذا قرف ! هذا يقرفنى ! وقد استعذت بالله من الزمان وشره ، ومن تقلبات الأحوال .

---

(١١٩) فى الأصل : « منه » ، ولكن السياق يشير إلى « منا » .

(١٢٠) كتب سعد كلمة Mére حسب النطق ، أى Mer .

فى يوم ٢٤ أوغسطس[١٢١] الخميس

كتب إلى البنك العقارى يقول : إنه يقبل أن يسلفنى مبلغ ألف وخمسمائة جنيه ، ليكون ــ بإضافته الى مبلغ الدين القديم ــ دينا مجموعه ٨٥٠٠ جنيه ، بفائدة سبعة ونصف[١٢١] فى المائة . وقد فهمت من ذلك أن هذه الفائدة عن مبلغ الألف وخمسمائة ، ولكن أتى منه بعد ذلك ما يفيد أن هذه الفايدة هى عن عموم هذا المبلغ ! فدهشت لذلك وتعجبت : كيف يمكن أن تعلو فائدة الدين القديم بمناسبة دين جديد ؟

وتوجهت اليوم إلى البنك ، فقابلت موسيو جانيه[١٢٢] ، فأكد لى ما فهمت ! ورأيت موسيو مرلى ، فأيد جانيه ! فأبديت تعجبى ، وإستندت على الخطاب الأول . فقال : إنه لا يفيد إلا ما قلت ! وقرأه ممتعضا شبه غضبان[١٢٣] . قلت : إنى لا أقبل أن يرقى إلى هذا . فجادلنى[١٢٤] ويؤول ما كتب بما يفيد ايهامه[١٢٥] ثم[١٢٦] قلت : عفوا ! إنى فهمت من عبارة الدين الجديد هو مبلغ ١٥٠٠ جنيه ، لذلك وبعد أن فهمت قصدك ، لا يمكننى أن أقبل به ! وقال : إذا أردت أن نعطيك سبعة فى المائة قبلت عن مبلغ ١٥٠٠ جنيه . قلت هذا أرجح ، [ص ١٤١١] ومع ذلك فإنى أقصد دفع معظم القسط المستحق ، وأنتظر لنهاية السنة ، فلربما لا أحتاج إلى هذه السلفة . فقال : وهو كذلك ! ودفعت إليه مبلغ ٣٨٠ جنيه ثلاثمائة وثمانين جنيه ، قدمتها إلى الصراف ،

---

(١٢١) قراءة اجتهادية ، لأن الكلمة مطموسة بالحبر .
(١٢٢) هكذا تقرأ .
(١٢٣) قراءة تقريبية .
(١٢٤) قراءة تقريبية .
(١٢٥) قراءة تقريبية .
(١٢٦) أضفنا : « ثم » .

ووعد أن يرسل الوصل اليوم . وانصرفت على سلام وأمان ، ولكنى تأثرت من هذه المعاملة منهم .

فى يوم ٢٥ أوغسطس سنة ٩١٦

ذهبت إلى دمنهور ، فوجدت الدودة قد فتكت بالقطن فتكا ذريعا ، إذ أتت على الورق ومعظمه . ورأيت بعض الأشجار مجردة عن الورق واللوز ، وبعضها ورقها مثقوبا ثقوبا واسعة ، ولوزها مفسودا ! منظر يحزن ! والله ولى التعويض !

ورأيتهم يهدمون مبانى العزبة القديمة ويمهدون ما انهدم (. . .)[١٢٧] وقد رأيت أن أبنى المحل[١٢٨] الذى أستريح فيه ، فى جهة الجرن البحرية . والدوار وحوش المواشى فى مكانهما القديم . ولم تعجبنى زراعة الأذرة .

وقد عدت فى المفتخر ، وريثما استرحت نزلت ، وكتبت هذا .

فى ٧ سبتمبر سنة ٩١٦

كنت اليوم بدمنهور ، وقل تأثرى من أثر الدودة نوعاً . ورأيت البيت يرتفع ، والغلال تبشر بحسن الختام . وقد نسيت فى القطار علبة فيها عدة الأسنان ، وعدة الحلاقة ، فأرسلت الحاج فى البحث عنهما،ولكن هيهات أن يجدهما ، لعدم تعود عمال مصلحة السكة الحديد والركاب على حفظ الفاقد ورده إلى أربابه عندما يبحثون عنه !

---

(١٢٧) كلمة غير مقروءة .

(١٢٨) يقصد بكلمة : « المحل » ، المكان .

[ص ١٤١٢]

وقد وافقت على بيع التبن بسعر خمسين قرشا للحمل ، تنفيذا لما وعدت به الراغبين .

فى يوم ٦ أكطوبر سنة ٩١٦

قدِمنا أمس الساعة ١١ صباحا من مسجد وصيف ، بعد أن أقمنا بها من ٧ أفريل سنة ١٩١٦ . وكان حرمى مسروراً غاية السرور من هذه الإقامة ، وكذلك الخدم . وحسّن العودة لدينا أن الرطوبة فى الريف ابتدأت تعم(١٢٩) وتُضايق ، خصوصا أرباب الأمراض الصدرية والروماتيزمية .

كل الناس على اتفاق ــ حتى وزارة الزراعة ــ بأن محصول القطن فى هذا العام ردىء . وقد نشر المقطم اليوم فصلا بهذا المعنى ، ولم يستغرب فيه أن تبلغ الأسعار هذا العام إلى ما بلغته زمن الحرب الأمريكية . وقد أورد فى هذا الفصل ما قلته وكررته مرارا ، من أن القطن لم ترتفع أسعاره بنسبة إرتفاع لوازم الإنسان .

والذى علىَّ الآن أن أستمهل أرباب المطلوبات مقداراً من الزمان ، حتى يتسنى لى أن أبيع محصولى بعد ارتفاع الأسعار .

وصلنى أمس تذكرة الدعوة إلى الإحتفال بتكريم « جراهم » يوم الأربعاء الساعة ٤ من يوم ١١ أكطوبر الحالى . وهى بامضاء مظلوم باشا .

[ص ١٤١٣]

فى يوم ٨ أكطوبر

لم يحدث أمس شىء هام غير أنى زرت فيه رشدى باشا ، ووجدت

(١٢٩) قراءة تقريبية .

أحمد عبد اللطيف عنده . وجرى ذكر الحل الذى عملته الحكومة لمسئلة البورصة(١٣٠) ، فقلت : إن الناس كانوا على اتفاق بأن قرار البورصة كان بإيعاز ! وإستندوا على منع الحكومة الاجتماع الذى كان شرع فيه عمر طوسون ، وأن هذا الحل لم يشتمل على شيء يمنع وقوع مثل ذلك الضرر فى المستقبل ، وقد أيد حق السماسرة ، أو أعطى لهم حقاً .

فقال : إن هذا الحل من بنات أفكارى ، وأنا الذى قررته ! قلت : إن الجرائد نسبته للمستشار المالى ! قال : إن ذلك غير صحيح ، وإنى أنا الذى افتكرته ، وأبديته على طريقة ترتّب عليها أن قطعت بأصابعى متكأ الكنبة !

وأكد بأن المستشار المالى كان مُعِيناً له فى هذه المسألة ، حتى إنه قال له : إنه مستعد لأن يعطى لغاية مائة ألف جنيه ! وأن الذى دعاهم إلى هذا الحل ، أن السماسرة توقفوا عن العمل ، وأنه خشى على بورصة إسكندرية ــ إذا أقفلت ــ من أن تسيء إلى(١٣١) سمعة مصر المالية . فقلت : مادمت تؤكد ذلك ، فإننا مضطرون لتصديقك !

انصرفنا من لدنه ، وصحبنى عبد اللطيف إلى المنزل ، ومكث زماناً طويلاً ، حضر فيه صدقى باشا ، وصد‍ ً بيك (١٣١م) وعبد الرحيم باشا

(١٣٠) كانت لجنة بورصة الأسكندرية قد أصدرت فى سبتمبر ١٩١٦ قرارا بتخفيض أسعار القطن ، مما أدى إلى استياء واحتجاج لم تملك معه الحكومة إلا الدخول مشترية لجزء من المحصول بسعر أعلى مما حددته لجنة البورصة .
ويكتب سعد كلمة البورصة على شكل « البورسة » .

(١٣١) أضفنا : « إلى » .

(١٣١ م) أى محمود صدقى باشا ، عديل سعد زغلول ، وشقيقه محمد صدقى بك . والأخير هو ما يشير اليه سعد فى المذكرات باسم «صدقى» . ولايجب أن يذهب الظن إلى أنه اسماعيل صدقى باشا ، فلم يكن هذا الأخير صديقا مقربا لسعد باشا .

٢٢٥٦

صبرى . وفهمت من الأخير أن قطن المنوفية سيكون بمقدار ثلاثة قناطير ونصف إلى ثلاثة قناطير وثلاثة إربع ، وإنه رضى عن إبنه ، إطاعة لأمر سام ! وكان يقول ذلك وعيناه مغرورقتان بالدموع !

هذا يوم عيد الأضحى ، وقد أصبحت ولم أشعر بأنه إمتاز عن غيره من بقية الأيام ، حتى إنى ، مع كونى إستيقظت باكرا ، لم أسمع صوتاً للمدافع ، وإنما كنت أسمع من وقت لآخر كلمة : جزار ! وقد قيل لى على المائدة أن هناك لحما لم ينضج ، ومع ذلك أكلت فولاً وقشدة ، وشربت لبنا .

[ص ١٤١٤]

وما رأيت على خدمى علامة للعيد ، ولا سمعت حركة غير معتادة لذهاب الناس وإيابهم . فجلست بعد الإفطار ، وكتبت هذه السطور . وإفتكرت أن هذا الفتور من أعراض ذلك الإنحلال ، الذى انبث فى الأمة إنبثاث السم فى الأجسام !

رأيت ، بعد طول التفكر والتأمل ، أن الأمة التى ضاع إستقلالها ، ولم تندمج فى غيرها ، لا يمكن أن ينجح شيء فيها . فلا يزرع فيها فكر صالح ، ولا تتربى فى أفرادها فضيلة ، ولا يجمع بينهم شعور عام ، ولا يوجد بينهم أنس ، ولا يجدون عند لقاء بعضهم ببعض إرتياح . وتكون حياة كل فرد منهم قاصرة على نفسه ، فلا يفتكر فى غيره ، ولا يشعر إلا بما يتصل بشخصه من لذة أو ألم ، ويكون همه أن يتقى شر الحاكم عليه أو أن يكتسب رضاه . وكل مظهر من المظاهر القومية منعدم فيهم ، فلا يكون لهم أعياد ، ولا مواسم للإجتماع ، ولا تتحد فيهم عادة فى ميتم أو فرح ، ولا يكون لهم شعر ولا غناء ، ولا تتربى فيهم ملكة الخطابة ، أو حسن الإستماع ، أو العناية بالأشياء الجميلة ــ وبالجملة ،

يفقدون خصائص الإنسان ومزاياه ، ويكونون آلات فى يد الغير يصرفهم بإرادته ، ويوجههم إلى غايته .

زارنى اليوم السير جراهم وكتب على تذكرته علامة التهنئة بالعيد والوداع(١٣٢) .

[ص ١٤١٥]

ولقد تكلمت مع بعض الإخوان ، بأن الإنسان الذى لايعتقد بحياة بعد هذه الحياة ، يلزم أن يكون أحد رجلين : إما أن يكون خامل الذكر ، لا يعنى بشىء من أمور الوجود ، ولا من شئون الغير ، ولا يتأثر لتغير الأحوال العامة ولا الخاصة ، إلا ما كان ألماً جسمانياً ـ وإما أن يكون مجازفاً ، مخاطراً ، يشغل نفسه بنفع الغير وخدمته ، لا يبالى فى هذا السبيل مات أو عاش ، فاز أو خاب !

وجدت كل من رأيت متفقا معى فى عدم الشعور بالعيد ، وإنتقاد عظمة السلطان فى كونه اختار أن يقضى أيامه فى أراضيه ، بعيداً عن غوغاء الملك وضوضائه . ومع ذلك فإنه أعدَّ ما يلزم لاستقبال الوزراء والأمراء والعلماء فى خلوته . فإن هؤلاء ذهبوا إليه فيها ، ولا يذهبون إلا مدعويين ! ورأيت جريدة الأهرام تحث الناس على هذه الزيارة ، وعلى إرسال تلغرافات التهانى على طريق الاخبار بما يفعلون والرواية لما يعملون .

فى يوم ٩ أكطوبر

نمت أمس نوما غير مستريح ، واستيقظت فى الساعة الثامنة . ولم يحدث ما يستحق الذكر ، غير أنى قرأت(١٣٣) أن الوزراء لم يذهبوا إلى

(١٣٢) كتب سعد زغلول هذه العبارة بين قوسين .

(١٣٣) قراءة تقريبية .

عظمة السلطان فى (. . .)[١٣٤] كما قيل من قبل .

يوم ١٠ منه

لم يحصل شىء يستحق الذكر .

[ص ١٤١٦]

يوم ١١ أكطوبر سنة ١٩١٦

هذا اليوم يحتفل فيه بوداع السير جراهام مستشار الداخلية ، تحت رئاسة مظلوم باشا . وقد ترددت كثيرا فى الذهاب ، ولكنى رأيت ــ بعد طول التردد ــ أن أذهب ، دفعا للقيل والقال ، وإلجاماً لأسئلة اللئام .

أشعر بأن رومانيا قريبة السقوط فى يد الألمان ، إن لم تكن سقطت فى هذه الأيام !

زارنى أمس علوى باشا[١٣٥] ، واستشارنى فيما إذا ما كان يحسن إنشاء قسم لتدريس الحقوق بالجامعة ، للطلبة اللذين يريدون أن يدرسوا فى الخارج ، ويقبلوا فى إمتحان مدرسة الحقوق السلطانية ؟

فقلت : لا بأس فى ذلك . ولكن اشتغال الجامعة بتدريس الحقوق فى زمن الأحكام العرفية غريب ! ولا أظن أن الحكومة توافق على ذلك ، ولا أظنها أيضا تسمح لأساتذتها بإلقاء دروس فى الجامعة !

وزارنى اليوم لطفى السيد ، ورأيته لا يختلف فى الفكر عنى ، فى موضوع الإحتفالات لتكريم الراحلين من الموظفين الإنكليز ــ بمعنى أنها لا ترفع من خفض ، ولا تغنى من جوع ، ولا فى أن الحياة بدون الإستقلال ذل للنفوس !

(١٣٤) اسم غير مقروء .

(١٣٥) محمد علوى باشا .

إتفقت اليوم مع شكرى باشا ، على أن أصحبه إلى مكان الإحتفال بتكريم « جراهام » ، فى الساعة ٤ . ولما مرَّ بى ، قلت له : إنى أرى أنه لا معنى لذهابى ، لأنى غير مستحسن لهذا الإحتفال ، وأعد القائمين به غير عاملين بشعورهم(١٣٦) ، بل جارين على مقتضى مصالحهم ! وما من ملزم لى بالإشتراك فى أمر أحسبه نكيراً ، وأعده إدّا(١٣٧) ، خصوصا وأنى وأنى مريض برجلى ، وكل من زارنى فى العيد يقال له هذا العذر .

فقال : إن ما تقوله [ص ١٤١٧] وجيه . وذهب .

وفى الواقع أنه وجيه ! وإذا أنا ذهبت ، فلا أكون إلا واحدا من المنافقين ، بل من أدناهم ، ولا يحق لى أن أتاجر بالعنوان(١٣٨) الذى منحته لى الأمة ، لأن اللذين أنابونى عنهم لم ينيبونى(١٣٩) لأن أكون عباداً للسلطة ، أوجه وجهى حيث ما توجهت ، وأحبذ كل ما يصدر منها . ولست فى المركز الذى أنا فيه لأن أخالف ما فى ضميرى . ولذلك لم أذهب .

وذهب شكرى باشا ، ثم عاد ، وأخبرنى بأن الحفلة كانت بسيطة ، وإن كان الحاضرون كثيراً ! وأن الدمرداش كان يضايق مظلوم ، واتخذ صفة مهماز(١٤٠) ثقيل ! ثم حضر من بعده صدقى بيك ، ثم على باشا شعراوى ، ولطفى بيك السيد ، ثم الهلباوى . ثم حضر محمد باشا سعيد ، فانقبض لما رأى هذا الجمع ، ولكنى اجتهدت فى إزاحة ما حدث من شعور الدهشة والنفور . ومكثنا نتكلم فى موضوع القطن وتقدير

---

(١٣٦) أى : لا يدفعهم إلى ذلك شعور صادق .

(١٣٧) إدًّا ، يعنى أمرا فظيعا .

(١٣٨) أى : باللقب ـ لقب نائب .

(١٣٩) فى الأصل : « ينوبونى » .

(١٤٠) قراءة تقريبية .

أسعاره وحاجاته[١٤١] زماناً طويلا . ثم انصرفوا ، ومكث عطوفته ، وقال : إنهم إتهموه بأنه أغرى الأمير عمر على أن يجمع القوم فى نازلة البورصة ، مع كونه كان أشار عليه بخلاف ذلك . واستشهد به .

وفهمت منه أن السلطان بلَّغه أن الإنكليز يوجهون له التهمة المذكورة ، فتبرأ منها على هذا النحو ! ثم انصرف .

ثم حضر عدلى ، وعبد الرحيم باشا صبرى ، بعد العشاء ، ومكثنا للساعة نصف بعد نصف الليل . وربما أكتب شيئا عن هذه الجلسة بعد .

وفاتنى أن أذكر أنه لم تُقل خطب فى حفلة التكريم ، واختلف الناس فيمن كان السبب فى ذلك السكوت ، لأن الخطب كانت كتبت ، وأعدت ، وتبودلت فعلا ــ كما يؤكده العارفون ، ثم عدل « جراهم » عنها ، فمنهم من يقول لأن سسل لم يرضها ، ومنهم من قال : رشدى !

والله أعلم، وستنكشف لحقيقة[١٤٢] !

---

(١٤١) قراءة تقريبية .

(١٤٢) قراءة اجتهادية .

و توجد بعد هذه الصفحة ٤ صفحات مكتوبة بالألمانية كتابة متفرقة وبها معان كلمات ألمانية بالفرنسية . وهى صفحات أسقطتها فريدة كابس من الترقيم .

ثبت بمصادر ومراجع الدراسة والتحقيق

ابراهيم مصطفى الوليلى : مفاخر الأجيال فى سير أعاظم الرجال ، الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٣٤) .

أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الثانى ، القسم الأول والقسم الثانى (مطبعة مصر ١٩٣٦)

أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الثالث ، عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣ (القاهرة ، دار مجلتى للطبع والنشر) .

أحمد شفيق باشا : حوليات مصر السياسية ، تمهيد ، الجزء الأول (القاهرة ، مطبعة شفيق باشا ١٩٢٦) .

الياس زخورة : السوريون فى مصر ، الجزء الأول (القاهرة : ١٩٢٧) .

الياس زخورة : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر ، ٣ أجزاء (المطبعة العمومية بمصر ١٨٩٧)

طلعت اسماعيل رمضان : الادارة المصرية فى فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢ ـ ١٩٢٢ (دار المعارف ١٩٨٣)

عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ ، الجزء الأول (مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦) .

عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد ، رمز الاخلاص والتضحية (القاهرة ، البابى الحلبى ١٩٤١)

عبد العظيم رمضان ، الدكتور : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ ، (القاهرة ، هيئة الكتاب ١٩٦٨)

عبد العظيم رمضان ، الدكتور : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ ـ ١٩٥٨ مجلدان (بيروت ، ١٩٧٣)

عبد العظيم رمضان ، الدكتور : الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦) (هيئة الكتاب ١٩٧٧)

عبد العظيم رمضان ، الدكتور : مذكرات سعد زغلول ، الجزء الأول ، والثانى ، والثالث ، والرابع (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ و١٩٨٨ و١٩٨٩ و١٩٩١)

عبد المنعم الجميعى : الجامعة المصرية القديمة ، قيامها ودورها فى المجتمع ١٩٠٨ ـ ١٩٢٥ .

عبد الوهاب بكر ، الدكتور : البوليس المصرى ١٨٠٥ ـ ١٩٢٢ ، الجزء الثانى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ١٩٧٧)

فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية (مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٩)

محسن محمد : سعد زغلول ، مولد ثورة (القاهرة : مكتبة غريب ١٩٨٣)

محمد ابراهيم الجزيرى : آثار الزعيم سعد زغلول ، عهد وزارة الشعب ، الجزء الأول (دار الكتب المصرية ١٩٢٧)

محمد أنيس ، الدكتور : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ، الطبعة الثانية (تاريخ المصريين ١٩٨٧)

محمد فريد : أوراق محمد فريد ، المجلد الأول ، مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ ــ ١٩١٩ (هيئة الكتاب ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٧٨)

الموسوعة العربية الميسرة ، جزأن (بيروت دار نهضة لبنان)

المنجد فى الغة والاعلام (بيروت دار الشرق ١٩٨٦)

مراجع أجنبية

Chirol, Sir Valentine, The Egyptian Problem, (London, Macmillan 1920)

Lloyd, Lord G, Egypt Since Cromer, Vol. I (London, Macmillan 1933)

Weeler, Harold, The Story of Lord Kitchner (Edinburgh 1924)

The University Encyclopedia (London 1985)

٢٢٦٥

الكشافات*

* قام بإعداد هذه الكشافات الاستاذ سامى عزيز فرج بمساعدة السيدتان إيزيس راغب وإستر غالى ..

٢٢٦٦

الكشافات

كشاف الأعلام

— ا —

— ب —

— غ —

— ف —

— ق —

● ٢ — كشاف الهيئات

● ٣ — كشاف البلاد والأماكن

● ٤ — كشاف الحوادث

● ٥ — الدوريات

من أهم أعمال المحقق

١ - تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ــ ١٩٣٦)
(القاهرة : دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

٢ - تطور الحركـة الوطنيـة فى مصر (١٩٣٧ ــ ١٩٤٨) ــ مجلدان .
(بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر، من ثورة يوليو الى أزمة مارس ١٩٥٤ .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ ــ ١٩٣٦) .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ ــ ١٩٥٢) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .
٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .
٨ - الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨١) .
٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ ــ ١٩٧٩) .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .
١٠ - الاخوان المسلمون والتنظيم السرى .
(القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .
١١ - الصراع بين العرب وأوربا ، من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية .
(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .
١٢ - حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .
١٣ - مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر .
(القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .
١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان)
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .
١٥ - الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ، وحركات المقاومة .
(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٤) .
١٦ - مصر فى عصر السـادات .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .
١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ ، (القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .

١٩ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان (القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

٢٠ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى (القاهرة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ ــ مصر فى عصر السادات (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨٩)

٢٣ ــ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ ــ الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء ١٩٩٠)

٢٥ ــ حرب الخليج فى محكمة التاريخ (القاهرة : الزهراء ــ ١٩٩٠)

٢٦ ــ العلاقات المصرية الاسرائيلية ١٩٤٨ ــ ١٩٧٩ (القاهرة ــ سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١ .

مع آخرين :

١ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق
(القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ - تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع د . يونان لبيب رزق و د . رءوف عباس
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .
٣ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع د . يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس .
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

١ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر (١٧٩٨ ــ ١٨٨٢) تأليف جون مارلو .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦) .

الفهرست

صفحه

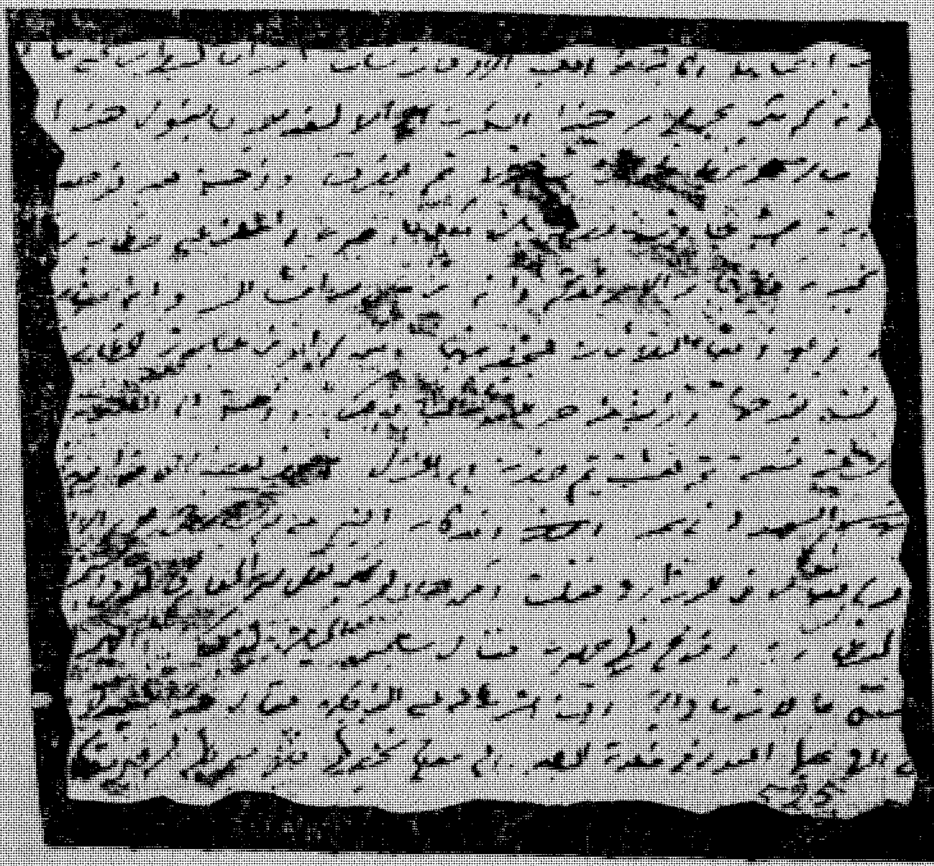
المحتويات :

- مقابلة سعد زغلول للسلطان حسين كامل يوم ٨ مارس ١٩١٥ ، وشكوى السلطان من تلاميذة الحقوق والمعلمين الخديوية ، واستعطاف سعد له من أجلهم .
- السلطان حسين يذكر لسعد زغلول أنه استبقى دنلوب بعد موقف التلاميذ منه .
- السلطان حسين يبدى رأيه فى اختصاصات الجمعية التشريعية ويستبعد منها الأوقاف والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية وسعد يدفافع عن الجمعبة .
- سعد يرى أن السلطان عاجز عن فعل الخير لأمته منذ توليه السلطة .
- تعديلات رشدى باشا على القانون النظامى بخصوص الجمعية التشريعية واعتراضات سعد زغلول عليها ومهاجمته الوزارة .
- إثارة فكرة تعيين سعد زغلول وزيرا لأول مرة . ورد فعل سعد عليها .
- موقف سعد زغلول من حادثة مدرسة الحقوق ، وتدخله لدى رشدى باشا للعفو عن الطلبة .
- رأى سعد زغلول فى سياسة السلطان حسين ، وكيف أدت إلى استخفاف الناس به .
- فكرة عقد الحكومة المصرية قرضا أثناء الحرب ، واعتراض سعد عليها .
- عدول الحكومة عن استدعاء الجمعية التشريعية للانعقاد .
- سعد زغلول يعترض على نفى المواطنين المعارضين للحلفاء بأمر السلطة العسكرية البريطانية .
- عفو السلطان حسين عن تلامذة الحقوق باستثناء سبعة عشر ، ودفاع سعد زغلول عن هؤلاء الطلبة .
- مذكرة رشدى باشا للوكالة البريطانية برأى الحكومة فى مستقبل النظام السياسى فى مصر بعد الحماية بخصوص شكل الدولة ، وعلاقتها بانجلترا ، واختصاصات الجمعية التشريعية ، واعتراض سعد زغلول على المذكرة ، وتنديده بالسلطان والوزارة .
- استياء السلطان حسين من كتاب اللورد كرومر عن عباس الثانى .
- ترويج الجرائد لفكرة تأجيل انعقاد الجمعية التشريعية .
- مقابلة سعد زغلول للسلطان يوم ١٧ مارس ، وحديث السلطان عن الحملة التركية على مصر ، وقصائد الهجاء ضده ، وأحوال الأوقاف الخصوصية ، وصعوبة موقفه .
- حديث رشدى باشا مع سعد زغلول عن مؤامرات محمد سعيد باشا لدى السلطة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٤٨٠٧

ISBN - 977 - 01 - 3065 - 6



٧٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب